**من تراث الإمام الشعراوى**

## الجانب الروحى من حياة الإمام الشعراوى

# أنا من سلالة آل البيت


**إعداد وتحقيق ودراسة**

**مجدى عبد المعطى**



**دار الروضة**

للدراسات الإنسانية



الطبعة الأولى

٢٠١٣م / ١٤٣٤هـ

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٣٧٥٣ / ٢٠١٣

ترقيم دولى

٩٧٨-٩٧٧-٤٥٨-٠٤٨-٢



**دار الروضة** ــ للنشر والتوزيع

٢ درب الأتراك خلف جامع الأزهر

محمول : ٠١٢٢٣٦٠٨٩٩٥

ت: ٢٥٩١٣٤٢٤ ــ ٢٥٠٦٦٨٨٤

darelrwdamms@yahoo.com

# المقدمة

بدأ الشيخ محمد متولي الشعراوي تفسيره على شاشات التلفاز قبل سنة ١٩٨٠م [بحاجة لمصدر] بمقدمة حول التفسير ثم شرع في تفسير سورة الفاتحة وانتهى عند أواخر سورة الممتحنة وأوائل سورة الصف وحالت وفاته دون أن يفسر القرآن الكريم كاملاً. يذكر أن له تسجيلاً صوتياً يحتوي على تفسير جزء عم (الجزء الثلاثون).

يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي موضحـًا منهجه في التفسير: خواطري حول القرآن الكريم لا تعني تفسيراً للقرآن. وإنما هي هبات صفائية. تخطر على قلب مؤمن في آية أو بضع آيات.. ولو أن القرآن من الممكن أن يفسر. لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بتفسيره. لأنه عليه نزل وبه انفعل وله بلغ وبه علم وعمل. وله ظهرت معجزاته. ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتفى بأن يبينّ للناس على قدر حاجتهم من العبادة التي تبين لهم أحكام التكليف في القرآن الكريم، وهي "افعل ولا تفعل..".

## المسلسل:

تم تصوير قصة حياته في مسلسل تلفزيوني بعنوان إمام الدعاة عام ٢٠٠٣ وهو من بطولة حسن يوسف وعفاف شعيب. يستعرض العمل السيرة الذاتية للشيخ محمد متولي الشعراوي منذ ولادته في دقادوس وحفظه للقرآن الكريم في كتاب القرية ونبوغه والتحاقه بالمعهد الديني وتفوقه فيه ثم التحاقه بالأزهر الشريف وسفره للسعودية ثم عودته وتعيينه مديراً لمكتب شيخ الأزهر وذياع صيته في العالم كداعية إسلامي من خلال خواطره في تفسير القرآن الكريم ثم توليه وزارة الأوقاف. وتتوالى الأحداث حتى تنتهي الحلقات بوفاة العالم الجليل.

## أنا من سلالة آل البيت:

في كتابه ( الشعراوي : أنا من سلالة آل البيت .. الشعراوي يبوح بأسراره مع السيدة زينب والحسين ).

أورد الأستاذ " سعيد أبو العينين" ( على لسان الشيخ الشعراوي ). رؤية رآها في منامه عندما كان طالباً في الأزهر . وكان في ذلك الوقت يسكن بجوار مقام السيدة زينب " رضي الله عنها وأرضاها" . وكان الشيخ قد رأى في منامه السيدة زينب . ودار بينه وبينها حوار قصير . واستيقظ الشيخ على صوت طرقات على باب غرفته. فلما فتح الباب رأى والده قد جاءه من البلد بالـ" الزيارة " المعتادة . فقصّ عليه الرؤية . وهنا أمسك والده بكتفه وبجدية سأله سؤال غريب قائلاً فيما فعناه " لما جت لك الست يا وله كانت حاطه طرحة على راسهاأولا كانت راسها مكشوفة .. فلم استغرب الشيخ سؤال والده .. أعاد الوالد السؤال بحزم . فقال الشيخ ..لا كانت رأسها مكشوفة .. وهنا فرح الوالد فرحاً شديداً .. وقال " يبقى إحنا من محارمها " ... أي أن الوالد استنتج أنه طالما ظهرت له في المنام دون " طرحة " أو " حجاب " إذاً فالشيخ من محارمها أي " من سلالة آل البيت " .

وهنا نخرج بنتيجة هامة للغاية . وهي أن الشيخ لم يقل صراحة " أنه من سلالة آل البيت " بل أن المسألة كلها " محض رؤيا " في منام .

والمنامات تخص بالأساس أصحابها ويقيناً لا تؤسس لحكم شرعي أو أمر يستند إليه ويعول عليه في أمور الدين " باستثناء رؤيا الأنبياء " فرؤيا الأنبياء حق لأنها جزء من النبوة والوحي .

وهنا طرحنا السؤال التالي " هل الشعراوي حقاً من سلالة آل البيت " في شكل هذا الكتاب . والحقيقة لا يوجد من يقرر هذه الحقيقة بشكل يقينياً .

وسواء كان " رحمة الله عليه " من آل البيت أم لا .. فهذا أمر بالتأكيد لا يؤثر على مكانة الشيخ الشعراوي في مصاف العلماء المجتهدين . وأنه من حملة كتاب الله الكريم ونحسبه من أهل القرآن . وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته وهل يوجد منزلة مثل هذا المنزلة يحظى بها المسلم ويكرمه الله بها .

ومسألة النسب مسألة غاية في الأهمية ولا تقررها رؤية وخاصة النسب إلى سلالة آل البيت وإنما العبرة بالعمل والخواتم الصالحة . ونسأل الله الرحمة الرضوان لشيخنا الجليل وأن يجزيها عنا خيراً ويلحقه بالصالحين. وأن يلحقنا جميعاً في زمرة سيد المرسلين " محمد عليه صلوات الله وسلامه" وآل بيته الكرام وصحابته الميامين .

# تعريف بالشيخ

**محمد متولي الشعراوي** (١٥ أبريل ١٩١١ - ١٧ يونيو ١٩٩٨م)
عالم دين ووزير أوقاف مصري سابق. يعد من أشهر مفسري معاني القرآن الكريم في العصر الحديث؛ حيث عمل على تفسير القرآن بطرق مبسطة وعامية مما جعله يستطيع الوصول لشريحة أكبر من المسلمين في جميع أنحاء العالم العربي، لقبه البعض بإمام الدعاة.

## مولده وتعلمه

ولد محمد متولي الشعراوي في ١٥ أبريل عام ١٩١١م بقرية دقادوس مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية بمصر، وحفظ القرآن الكريم في الحادية عشرة من عمره. في عام ١٩٢٢ م التحق بمعهد الزقازيق الابتدائي الأزهري، وأظهر نبوغاً منذ الصغر في حفظه للشعر والمأثور من القول والحكم، ثم حصل على الشهادة الابتدائية الأزهرية سنة ١٩٢٣م، ودخل المعهد الثانوي، وزاد اهتمامه بالشعر والأدب، وحظى بمكانة خاصة بين زملائه، فاختاروه رئيسًا لاتحاد الطلبة، ورئيسًا لجمعية الأدباء بالزقازيق، وكان معه في ذلك الوقت الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى، والشاعر طاهر أبو فاشا، والأستاذ خالد محمد خالد والدكتور أحمد هيكل والدكتور حسن جاد، وكانوا يعرضون عليه ما يكتبون. كانت نقطة تحول في حياة الشيخ الشعراوي، عندما أراد والده إلحاقه بالأزهر الشريف بالقاهرة، وكان الشيخ الشعراوي يود أن يبقى مع إخوته

لزراعة الأرض، ولكن إصرار الوالد دفعه لاصطحابه إلى القاهرة، ودفع المصروفات وتجهيز المكان للسكن.

فما كان منه إلا أن اشترط على والده أن يشتري له كميات من أمهات الكتب في التراث واللغة وعلوم القرآن والتفاسير وكتب الحديث النبوي الشريف، كنوع من التعجيز حتى يرضى والده بعودته إلى القرية. لكن والده فطن إلى تلك الحيلة، واشترى له كل ما طلب قائلاً له: أنا أعلم يا بني أن جميع هذه الكتب ليست مقررة عليك، ولكني آثرت شراءها لتزويدك بها كي تنهل من العلم.[بحاجة لمصدر]

التحق الشعراوي بكلية اللغة العربية سنة ١٩٣٧م، وانشغل بالحركة الوطنية والحركة الأزهرية، فثورة سنة ١٩١٩م اندلعت من الأزهر الشريف، ومن الأزهر خرجت المنشورات التي تعبر عن سخط المصريين ضد الإنجليز المحتلين. ولم يكن معهد الزقازيق بعيدًا عن قلعة الأزهر في القاهرة، فكان يتوجه وزملائه إلى ساحات الأزهر وأروقته، ويلقى بالخطب مما عرضه للاعتقال أكثر من مرة[بحاجة لمصدر]، وكان وقتها رئيسًا لاتحاد الطلبة سنة ١٩٣٤م.

## التدرج الوظيفي

تخرج عام ١٩٤٠ م، وحصل على العالمية مع إجازة التدريس عام ١٩٤٣م. بعد تخرجه عين الشعراوي في المعهد الديني بطنطا، ثم انتقل بعد ذلك إلى المعهد الديني بالزقازيق ثم المعهد الديني بالإسكندرية وبعد فترة خبرة طويلة انتقل الشيخ الشعراوي إلى العمل في السعودية عام ١٩٥٠ ليعمل أستاذاً للشريعة في جامعة أم القرى.

اضطر الشيخ الشعراوي أن يدرِّس مادة العقائد رغم تخصصه أصلاً في اللغة وهذا في حد ذاته يشكل صعوبة كبيرة إلا أن الشيخ الشعراوي استطاع أن يثبت تفوقه في تدريس هذه المادة لدرجة كبيرة لاقت استحسان وتقدير الجميع. وفي عام ١٩٦٣ حدث الخلاف بين الرئيس جمال عبد الناصر وبين الملك سعود. وعلى أثر ذلك منع الرئيس عبد الناصر الشيخ الشعراوي من العودة ثانية إلى السعودية، [بحاجة لمصدر] وعين في القاهرة مديراً لمكتب شيخ الأزهر الشريف الشيخ حسن مأمون. ثم سافر بعد ذلك الشيخ الشعراوي إلى الجزائر رئيساً لبعثة الأزهر هناك ومكث بالجزائر حوالي سبع سنوات قضاها في التدريس وأثناء وجوده في الجزائر حدثت نكسة يونيو ١٩٦٧، وقد سجد الشعراوى شكراً لأقسى الهزائم العسكرية التي منيت بها مصر — و برر ذلك "في حرف التاء" في برنامج من الألف إلى الياء بقوله "بأن مصر لم تنتصر وهي في أحضان الشيوعية فلم يفتن المصريون في دينهم" وحين عاد الشيخ الشعراوي إلى القاهرة وعين مديراً لأوقاف محافظة الغربية فترة، ثم وكيلاً للدعوة والفكر، ثم وكيلاً للأزهر ثم عاد ثانية إلى السعودية، حيث قام بالتدريس في جامعة الملك عبد العزيز.

وفي نوفمبر ١٩٧٦م اختار السيد ممدوح سالم رئيس الوزراء آنذاك أعضاء وزارته، وأسند إلى الشيخ الشعراوي وزارة الأوقاف وشئون الأزهر. فظل الشعراوي في الوزارة حتى أكتوبر عام ١٩٧٨م.

اعتبر أول من أصدر قراراً وزارياً بإنشاء أول بنك إسلامي في مصر وهو بنك فيصل حيث إن هذا من اختصاصات وزير الاقتصاد أو المالية (د. حامد السايح في هذه الفترة)، الذي فوضه، ووافقه مجلس الشعب على ذلك.

وفي سنة ١٩٨٧م اختير عضواً بمجمع اللغة العربية (مجمع الخالدين).

## وفيما يلي التدرج الوظيفي الكامل للشيخ الشعراوي:

المناصب التي تولاها:

عين مدرساً بمعهد طنطا الأزهري وعمل بـه، ثـم نقـل إلـى معهـد الإسكندرية، ثم معهد الزقازيق.

أعير للعمل بالسعودية سنة ١٩٥٠م. وعمل مدرسـاً بكليـة الشـريعة، بجامعة الملك عبد العزيز بجدة.

عين وكيلاً لمعهد طنطا الأزهري سنة ١٩٦٠م.

عين مديراً للدعوة الإسلامية بوزارة الأوقاف سنة ١٩٦١م.

عين مفتشاً للعلوم العربية بالأزهر الشريف ١٩٦٢م.

عين مديراً لمكتب الأمام الأكبر شيخ الأزهر حسن مأمون ١٩٦٤م.

عين رئيساً لبعثة الأزهر في الجزائر ١٩٦٦م.

عين أستاذاً زائراً بجامعة الملك عبد العزيز بكلية الشريعة بمكة المكرمة ١٩٧٠م.

عين رئيس قسم الدراسات العليا بجامعة الملك عبد العزيز ١٩٧٢م.

عين وزيراً للأوقاف وشئون الأزهر بجمهورية مصر العربية ١٩٧٦م.

عين عضواً بمجمع البحوث الإسلامية ١٩٨٠م.

اختير عضواً بمجلس الشورى بجمهورية مصر العربية ١٩٨٠م.

عرضت عليه مشيخة الأزهر وكذا منصب في عدد من الدول الإسلامية لكنه رفض وقرر التفرغ للدعوة الإسلامية.

*******

## أسرة الشعراوي

تزوج محمد متولي الشعراوي وهو في الثانوية بناء على رغبة والده الذي اختار له زوجته، ووافق الشيخ على اختياره، لينجب ثلاثة أولاد وبنتين، الأولاد: سامي وعبد الرحيم وأحمد، والبنتان فاطمة وصالحة. وكان الشيخ يرى أن أول عوامل نجاح الزواج هو الاختيار والقبول من الطرفين.

## الجوائز التي حصل عليها

منح الإمام الشعراوي وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى لمناسبة بلوغه سن التقاعد في ١٩٧٦/٤/١٥ م قبل تعيينه وزيراً للأوقاف وشئون الأزهر .

منح وسام الجمهورية من الطبقة الأولى عام ١٩٨٣م وعام ١٩٨٨م، ووسام في يوم الدعاة .

حصل على الدكتوراه الفخرية في الآداب من جامعتي المنصورة والمنوفية .

اختارته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عضوًا بالهيئة التأسيسية لمؤتمر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية، الذي تنظمه الرابطة، وعهدت إليه بترشيح من يراهم من المحكمين في مختلف التخصصات الشرعية والعلمية، لتقويم الأبحاث الواردة إلى المؤتمر.

جعلته محافظة الدقهلية شخصية المهرجان الثقافي لعام ١٩٨٩م والذي تعقده كل عام لتكريم أحد أبنائها البارزين، وأعلنت المحافظة عن مسابقة لنيل جوائز تقديرية وتشجيعية، عن حياته وأعماله ودوره في الدعوة الإسلامية محلياً، ودولياً، ورصدت لها جوائز مالية ضخمة.

## مؤلفات الشيخ الشعراوي

للشيخ الشعراوي عدد من المؤلفات، قام عدد من محبيه بجمعها وإعدادها للنشر، وأشهر هذه المؤلفات وأعظمها تفسير الشعراوي للقرآن الكريم، ومن هذه المؤلفات:

الإسراء والمعراج – محمد متولي الشعراوي .

الإسلام والفكر المعاصر – محمد متولي الشعراوي .

الإسلام و المرأة ، عقيدة ومنهج – محمد متولي الشعراوي .

الإنسان الكامل محمد ﷺ – محمد متولي الشعراوي .

الأحاديث القدسية – محمد متولي الشعراوي .

الأدلة المادية على وجود الله – محمد متولي الشعراوي .

الآيات الكونية ودلالتها على وجود الله تعالى – الشعراوي .

البعث والميزان والجزاء – محمد متولي الشعراوي .

التوبة – محمد متولي الشعراوي .

الجنة وعد الصدق – محمد متولي الشعراوي .

الجهاد في الإسلام – محمد متولي الشعراوي .

الحج الأكبر – حكم أسرار عبادات – محمد متولي الشعراوي .

الحج المبرور – محمد متولي الشعراوي .

الحسد – محمد متولي الشعراوي .

الحصن الحصين – محمد متولي الشعراوي .

الحياة والموت – محمد متولي الشعراوي .

الخير والشر – محمد متولي الشعراوي .

الراوي هو الشعراوي – محمد زايد .

السحر – محمد متولي الشعراوي .

السحر والحسد – محمد متولي الشعراوي .

السيرة النبوية – محمد متولي الشعراوي .
الشعراوي بين السياسة والدين – سناء السعيد .
الشورى والتشريع في الإسلام – محمد متولي الشعراوي .
الشيخ الشعراوي وفتاوى العصر – محمود فوزي .
الشيخ الشعراوي وقضايا إسلامية حائرة تبحث عن حلــول – محمــود فوزي .
الشيخ الشعراوي ويسألونك عن الدنيا والآخرة – محمود قوزي .
الشيطان والإنسان – محمد متولي الشعراوي .
الصلاة وأركان الإسلام – محمد متولي الشعراوي .
الطريق إلى الله – محمد متولي الشعراوي .
الظلم والظالمون – محمد متولي الشعراوي .
الغارة على الحجاب – محمد متولي الشعراوي .
الغيب – محمد متولي الشعراوي .
الفتاوى – محمد متولي الشعراوي .
الفضيلة والرذيلة – محمد متولي الشعراوي .
الفقه الإسلامي الميسر وأدلته الشرعية – محمد متولي الشعراوي
القضاء والقدر – محمد متولي الشعراوي .
الله والنفس البشرية – محمد متولي الشعراوي .
المرأة في القرآن الكريم – محمد متولي الشعراوي .
المرأة كما أرادها الله – محمد متولي الشعراوي .
المعجزة الكبرى – محمد متولي الشعراوي .
المنتخب في تفسير القرآن الكريم – محمد متولي الشعراوي .
النصائح الذهبية للمرأة العصرية – محمد متولي الشعراوي .
الوصايا – محمد متولي الشعراوي .

إنكار الشفاعة – محمد متولي الشعراوي .
أحكام الصلاة – محمد متولي الشعراوي .
أسرار بسم الله الرحمن الرحيم – محمد متولي الشعراوي .
أسماء الله الحسنى – محمد متولي الشعراوي .
أسئلة حرجة وأجوبة صريحة – محمد متولي الشعراوي .
أضواء حول اسم الله الأعظم – محمد السيد أبوسبع – الشعراوي
أنت تسأل والإسلام يجيب – محمد متولي الشعراوي .
بين الفضيلة والرذيلة – محمد متولي الشعراوي .
جامع البيان في العبادات والأحكام – محمد متولي الشعراوي .
حفاوة المسلمين بميلاد خير المرسلين – محمد متولي الشعراوي .
خواطر الشعراوي – محمند متولي الشعراوي .
خواطر قرآنية – محمد متولي الشعراوي .
سورة الكهف – محمد متولي الشعراوي .
عداوة الشيطان للإنسان – محمد متولي الشعراوي .
عذاب النار وأهوال يوم القيامة – محمد متولي الشعراوي .
على مائدة الفكر الإسلامي – محمد متولي الشعراوي .
فقه المرأة المسلمة – محمد متولي الشعراوي .
قصص الأنبياء – محمد متولي الشعراوي .
قضايا العصر – محمد متولي الشعراوي .
لبيك اللهم لبيك – محمد متولي الشعراوي .
مائه سؤال وجواب في الفقه الاسلامي – محمد متولي الشعراوي – عبد القادر أحمد عطا .
معجزة القرآن – محمد متولي الشعراوي .
من فيض القرآن – محمد متولي الشعراوي .
نظرات في القرآن – محمد متولي الشعراوي .

نهاية العالم – محمد متولي الشعراوي .

هذا ديننا – محمد متولي الشعراوي .

هذا هو الإسلام – محمد متولي الشعراوي .

وصايا الرسول – محمد متولي الشعراوي .

يوم القيامة – محمد متولي الشعراوي .

## الشاعر

عشق الشيخ الشعراوي اللغة العربية، وعرف ببلاغة كلماته مع بساطة في الأسلوب، وجمال في التعبير، ولقد كان للشيخ باع طويل مع الشعر، فكان شاعرا يجيد التعبير بالشعر في المواقف المختلفة، وخاصة في التعبير عن آمال الأمة أيام شبابه، عندما كان يشارك في العمل الوطني بالكلمات القوية المعبرة، وكان الشيخ يستخدم الشعر أيضًا في تفسير القرآن الكريم، وتوضيح معاني الآيات، وعندما يتذكر الشيخ الشعر كان يقول "عرفوني شاعراً"

يقول في قصيدة بعنوان "موكب النور":

أريحي السماح والإيثار        لك.إرث يا طيبة الأنوار

وجلال الجمال فيك عريق        لا حرمنا ما فيه من أسرار

تجتلي عندك البصائر معنى        فوق طوق العيون والأبصار

## الشعر ومعاني الآيات

ويتحدث الشيخ الشعراوي في مذكراته التي نشرتها صحيفة الأهرام عن تسابق أعضاء جمعية الأدباء في تحويل معاني الآيات القرآنية إلى قصائد شعر. كان من بينها ما أعجب بها رفقاء الشيخ الشعراوي أشد الإعجاب إلى حد طبعها

على نفقتهم وتوزيعها. يقول إمام الدعاة ومن أبيات الشعر التي اعتز بها، ما قلته في تلك الآونة في معنى الرزق ورؤية الناس له. فقد قلت:

تحرى إلى الرزق أسبابه

فإنــك تجــهل عنــوانه

ورزقــك يعرف عنوانك

وعندما سمع الشيخ الذي كان يدرس لنا التفسير هذه الأبيات قال لي: يا ولد هذه لها قصة عندنا في الأدب. فسألته: ما هي القصة: فقال: قصة شــخص اسمه عروة بن أذينة. وكان شاعراً بالمدينة وضاقت به الحال، فتذكر صداقته مع هشام بن عبد الملك. أيام أن كان أمير المدينة قبل أن يصبح الخليفة. فذهب إلــى الشام ليعرض تأزم حالته عليه لعله يجد فرجاً لكربه. ولما وصل إليــه اســتأذن على هشام ودخل. فسأله هشام كيف حالك يا عروة؟ فــرد: والله إن الحــال قــد ضاقت بي. فقال لي هشام: ألست أنت القائل:

لقد علمت وما الإشراق من خلقي أن الذي هــو رزقي سوف يأتيني

واستطرد هشام متسائلاً: فما الذي جعلك تأتي إلى الشام وتطلــب منــي. فأحرج عروة الذي قال لهشام: جزاك الله عني خيراً يا أميــر المــؤمنين.. لقــد ذكرت مني ناسياً، ونبهت مني غافلاً. ثم خرج. وبعدها غضب هشام من نفســه لأنه رد عروة مكسور الخاطر. وطلب القائم على خزائن بيت المال وأعد لعروة هدية كبيرة وحملوها على الجمال. وقام بها حراس ليلحقوا بعروة في الطريــق. وكلما وصلوا إلى مرحلة يقال لهم: كان هنا ومضى. وتكــرر ذلــك مــع كــل المراحل إلى أن وصل الحراس إلى المدينة. فطرق قائد الركب الباب وفتح لــه عروة. وقال له: أنا رسول أمير المؤمنين هشام. فرد عروة: وماذا أفعل لرسول

أمير المؤمنين وقد ردني وفعل بي ما قد عرفتم ؟ فقال قائد الحراس: تمهـل يـا أخي. إن أمير المؤمنين أراد أن يتحفك بهدايا ثمينة وخاف أن تخرج وحدك بها. فتطاردك اللصوص، فتركك تعود إلى المدينة وأرسل إليك الهـدايا معنـا. ورد عروة: سوف أقبلها ولكن قل لأمير المؤمنين لقد قلت بيتا ونسيت الآخر. فسـأله قائد الحراس: ما هو ؟ فقال عروة:

أسعى له فيعييني تطلبه          ولو قعدت أتاني يعينني

وهذا يدلك -فيما يضيفه إمام الدعاة- على حرص أساتذتنا على أن ينمو في كل إنسان موهبته، ويمده بوقود التفوق.

*******

# مـــواقفـــه

يروي إمام الدعاة الشيخ الشعراوي في مذكراته وقائع متفرقـــة الــرابط بينها أبيات من الشعر طلبت منه وقالها في مناسبات متنوعة. وخرج مـــن كـــل مناسبة كما هي عادته بدرس مستفادٍ ومنها مواقف وطنية.

يقول الشيخ: وأتذكر حكاية كوبري عباس الذي فتح على الطـــلاب مـــن عنصري الأمة وألقوا بأنفسهم في مياه النيل شاهد الوطنية الخالد لأبناء مصـــر. فقد حدث أن أرادت الجامعة إقامة حفل تأبين لشهداء الحـــادث ولكـــن الحكومـــة رفضت. فاتفق إبراهيم نور الدين رئيس لجنة الوفد بالزقازيق مع محمود ثابـــت رئيس الجامعة المصرية على أن تقام حفلة التأبين في أية مدينة بالأقاليم. ولا يهم أن تقام بالقاهرة. ولكن لأن الحكومة كان واضحاً إصرارها علـــى الـــرفض لأي حفل تأبين فكان لابد من التحايل على الموقف. وكان بطل هذا التحايـــل عضـــو لجنة الوفد بالزقازيق حمدي المرغاوي الذي ادعى وفاة جدته وأخـــذت النســـاء تبكي وتصرخ. وفي المساء أقام سرادقا للعزاء وتجمـــع فيـــه المئـــات وظنـــت الحكومة لأول وهلة أنه حقاً عزاء. ولكن بعد توافد الأعداد الكبيـــرة بعـــد ذلـــك فطنت لحقيقة الأمر. بعد أن أفلت زمام الموقف وكان أي تصد للجماهير يعنـــي الاصطدام بها. فتركت الحكومة اللعبة تمر على ضيق منها. ولكنها تدخلت فـــي عدد الكلمات التي تلقى لكيلا تزيد للشخص الواحد على خمس دقائق. وفي كلمتي بصفتي رئيس اتحاد الطلبة قلت:

شباب مات لتحيا أمته وقبر لتنشر رايته

وقدم روحه للحتف والمكان قربانا لحريته ونهر الاستقلال

ولأول مرة يصفق الجمهور في حفل تأبين. وتنازل لي أصحاب الكلمة من بعدي عن المدد المخصصة لهم. لكي ألقى قصيدتي التي أعددتها لتأبين الشهداء البررة والتي قلت في مطلعها:

نداء يابني وطني نداء | دم الشهداء يذكره الشباب
وهل نسلوا الضحايا والضحايا | بهم قد عز في مصر المصاب
شباب برِّ لم يفرِق.. وأدى | رسالته، وها هي ذي تجاب
فلم يجبن ولم يبخل وأرغى | وأزبد لا تزعزعه الحراب
وقدم روحه للحق مهراً | ومن دمه المراق بدا الخضاب
وآثر أن يموت شهيد مصر | لتحيا مصر مركزها مهاب

## خواطره حول تفسير القرآن

بدأ الشيخ محمد متولي الشعراوي تفسيره على شاشات التلفاز قبل سنة ١٩٨٠م[بحاجة لمصدر] بمقدمة حول التفسير ثم شرع في تفسير سورة الفاتحة وانتهى عند أواخر سورة الممتحنة وأوائل سورة الصف وحالت وفاته دون أن يفسر القرآن الكريم كاملاً. يذكر أن له تسجيلاً صوتيًا يحتوي على تفسير جزء عم (الجزء الثلاثون).

يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي موضحاً منهجه في التفسير: خواطري حول القرآن الكريم لا تعني تفسيراً للقرآن. وإنما هي هبات صفائية. تخطر على قلب مؤمن في آية أو بضع آيات.. ولو أن القرآن من الممكن أن يفسر. لكان رسول الله ﷺ أولى الناس بتفسيره. لأنه عليه نزل وبه انفعل وله بلغ وبه علم وعمل. وله ظهرت معجزاته. ولكن رسول الله ﷺ اكتفى بأن يبين للناس على قدر حاجتهم من العبادة التي تبين لهم أحكام التكليف في القرآن الكريم، وهي " افعل ولا تفعل..".

## اعتمد في تفسيره على عدة عناصر من أهمها:

اللغة كمنطلق لفهم النص القرآني .

محاولة الكشف عن فصاحة القرآن وسر نظمه .

الإصلاح الاجتماعي .

رد شبهات المستشرقين .

يذكر أحيانا تجاربه الشخصية من واقع الحياة .

المزاوجة بين العمق والبساطة وذلك من خلال اللهجة المصرية الدارجة.

ضرب المثل وحسن تصويره .

الاستطراد الموضوعي .

النفس الصوفي .

الأسلوب المنطقي الجدلي .

في الأجزاء الأخيرة من تفسيره آثر الاختصار حتى يتمكن من إكمال خواطره .

## في التلفاز

تم تصوير قصة حياته في مسلسل تلفزيوني بعنوان إمام الدعاة عام ٢٠٠٣ وهو من بطولة حسن يوسف وعفاف شعيب. يستعرض العمل السيرة الذاتية للشيخ محمد متولي الشعراوي منذ ولادته في دقادوس وحفظه للقرآن الكريم في كتاب القرية ونبوغه والتحاقه بالمعهد الديني وتفوقه فيه ثم التحاقه بالأزهر الشريف وسفره للسعودية ثم عودته وتعيينه مديراً لمكتب شيخ الأزهر وذياع صيته في العالم كداعية إسلامي من خلال خواطره في تفسير القرآن الكريم ثم توليه وزارة الأوقاف. وتتوالى الأحداث حتى تنتهي الحلقات بوفاة العالم الجليل.

*******

# هيئة النبي صلى الله عليه وسلم

## من حوار للشيخ الشعراوي :

## كيف كانت هيئة النبي ﷺ

- يظل السؤال الكبير مرفوعاً، منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان ، وسوف يبقى كذلك على لسان عشاق النبي ﷺ .

كيف كانت صورة البي؟

كيف كانت ملامحه؟

كيف كان لون بشرته؟ لون عينيه؟ لون شعره ؟

كيف كانت الصورة العامة للنبي ﷺ؟ .

** تلك أسئلة تطوف بذهن عشاق النبي كلما سمعوا اسمه ،وصلوا وسلموا وباركوا عليه وعلى أهله وصحبه والتابعين له إلى يوم الدين.

وهي أيضًا الأسئلة التي طرحتها على الشيخ ونحن في رحاب السيدة نفيسة حفيدة رسول الله ﷺ. والتي كانت بداية الحديث ومدخله إلى " أهل البيت " .

** مع بداية الحديث، قال الشيخ الشعراوي( لقد وصف النبي ﷺ أخوانه من الرسل والأنبياء الذين رآهم في ليلة الإسراء .

وصفهم لأصحابه الذين سألوه لقد رأيت الأنبياء ..فصفهم لنا ؟

فقال لهم النبي : أما موسى فرجل " آدم طوال " كأنه من رجال " أسد شنوءة" أي أنه أسمر وطويل.

وقد شبهه برجال قبيلة في العرب اشتهرت بطول الأجسام وهي قبيلة شنوءة.

وقال النبي : وأما عيسى فكثير " خيلان الوجه " أي أن وجهه كثير الحسنات ، يقطر عرقا، كأنما يخرج من ديماس . أي كأنه خارج من حمام .. وهو أشبه بصاحبكم عروة بن مسعود الثقفي.

وقال النبي : وأما إبراهيم.. فأشبه بصاحبكم هذا .. وأشار إلى نفسه. أي أشبه بالنبي محمد ﷺ.

وهكذا وصف النبي لأصحابه صورة موسى وعيسى وإبراهيم عليهم السلام .

وهكذا قال الشيخ.

*******

## صورة النبي .. الملامح والقسمات:

**والسؤال : ماذا عن صورة النبي؟**

كيف وصفه صحابته الذين عاصروه وعايشوه في السلم والحرب، والذين شاهدوه وصافحوه واقتربوا منه في السوق والمسجد والبيت ؟

قال الشيخ : أجمع ما قيل وما روى في ذلك هو ما أخرجه يعقوب ابن سفيان الحافظ عن الحسن بن علي رضي الله عنه . فماذا قال الحسن ؟

قال الحسن : سألت خالي هند بن إبي هالة بن اسيدة خديجة ( وكانت السيدة خديجة قبل زواجها من رسول الله ﷺ زوجة لأبي هالة وأنجب منها " هند "وهو اسم رجل ) وكان هند " وصافاً" أي عينه كالفوتوغرافيا تلتقط ، ولسانه يعبر .. سألته عن "حلية " رسول الله ﷺ.. أي عن "أوصافه " فقال :

- كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً، يتلألأ وجهه كالقمر ليلة البدر.
- أطول من المربوع ..وهو الرجل الذي ليس بطويل مفرط ولا بقصير.
- وأقصر من المشذّب .. والمشذّب هو الرجل الفارع الطول.
- عظيم الهامة .. والهامة هي الرأس .
- ممـوج الشعر . والشعر يوصف مرة بأنه " جعد " وهو الأكرت..ويوصف مرة أخرى بأنه " سبط " وهو الذي نقول عنه أنه شعر سايح. ورسول الله كان شعره بين هنا وذاك.
- واسع الجبين .
- أدعج شديد سواد العين . أي أن الحدقة شديدة السواد .
- سهل الخدين ..أي أن خده كان سهلا .. لم يكن عاليا منتفخاً أو متورما .
- ضليع الفم – أي واسع الفم .
- مفلج الأسنان– أي منفرج الأسنان.
- عنقه جيد دمية في صفاء الفضة – أي أن رقبته كانت طويلة متناسقة
- مشبح الصدر .. بعيد ما بين المنكبين .

- ضخم الكراديس . أي أن عظامه قوية.
- أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر .
- طويل الزندين .
- رحب الراحة.
- شثين الكفين والقدمين.. أي يميلان إلى الغلظ والقصر.
- سبط العصب– أي عظامه فارعة .
- إذا التفت التفت جميعا.
- خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء .
- جل نظره الملاحظة .
- يبدأ من لقيه بالسلام.
- إذا وضع صحابي يده في يده تظل يده في يد الصحابي إلى أن يترك الصحابي يده.

* * * * * * *

# تفاصيل الملامح ..ومعالم الجسم .

هذا ما قاله الشيخ :

وتبدو الصورة أكثر وضوحاً.. عندما نطالع تفاصيل الملامح ومعالم الجسم التي أوردها الأمام البيهقي في كتابه دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة . استناداً إلى كل ما قيل في وصف النبي ﷺ . يقول البيهقي"

( قال رجل للبراء : أكان وجه رسول الله صلى النبي الله عليه وسلم حديدا مثل السيف ؟

فقال البراء : لا ، لكنه مثل القمر .

وقال علي بن أبلي طالب :كان في الوجه تدوير.

وهناك إجماع على أن النبي كان حسن الوجه " ومليح الوجه" .

- **عن لون البشرة :**

قال أنس بن مالك : كان أبيض ، بياضه إلى الحمرة .

وقال علي بن أبي طالب. كان رسول الله مشربا وجهه حمرة .

وهناك إجماع على أن الأجزاء غير المعرضة للرياح والشمس من جسم النبي كان لونها أبيض.

- **عن العين :**

هناك إجماع على أن عيني النبي كانتا واسعتين .

الحدقة شديدة السواد .

والبياض فيه شيء من الحمرة.

وكانت الأهداب غزيرة تتشابك من غزارتها.

قال جابر بن سمره: كنت إذا نظرت إليه عليه الصلاة والسلام . قلت أكحل العينين وليس بأكحل.

## • عن الجبين والحواجب :

كان واسع الجبين .. دقيق الحاجبين .. لا يتصلان . بل بينهما فاصل يجري فيه عِرق يظهر عند الغضب.

## • عن الأنف والخدين:

كان سهل الخدين . طويل الأنف.

## • عن الرأس :

قال علي بن أبي طالب : كان رسول الله ﷺ ضخم الرأس واللحية . وقالوا : كث اللحية . وحسن اللحية .

## • عن الفم والأسنان:

قال الحسن بن علي : كان النبي ضليع الفم . أشنب ، مفلج الأسنان.

وقالوا في وصف فم الرسول . كان حسن الثغر .

وقال ابن عباس : كان رسول الله ﷺ أفلج الثنيتين "أي أن هناك مسافة بين السنتين الأماميتين في فمه " وكان إذا تكلم رئي كالنور بين ثناياه.

## • عن الشعر :

كان شعر رسول الله ﷺ يضرب كتفيه ، وكان شعراً أسود ،له موج ، وكان يمشطه منسدلا بعد البعثة . ثم فرقه بعد ذلك، وكانت له خصلات يضفرها أربع ضفائر حول أذنيه أحياناً كما تقول أم هانئ.

وقد نفى أنس بن مالك أن يكون النبي قد استعمل الحناء . فقد توفي رسول الله وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء ، وإنما كانت حمرة هذه الشعريات من أثر الطيب.

وكان هذا الشيب القليل عند " الفنفقة " أي الشعر الذي تحت الشفة السفلى، وفي الصدغين ، وفي مفرق الرأس .

- ## عن القامة:

كان ليس بالذاهب طولا ، وفوق الربعة . وهذا وصف علي بن أبي طالب لقامة الرسول .

وقال أبو هريرة : كان رجلا ربعة وهو إلى الطول أقرب.

- ## عن الصدر والأطراف:

كان بعيدا ما بين المنكبين ، ضخم القدمين ، ضخم الكفين . " شبح الذراعين" أي طويل الذراعين ، ضخم الكراديس– أي المفاصل والعظام – قليل لحم القصب . غليظ الأصابع .

وقالت ميمونة بنت كروم : " ما نسيت طول أصبع قدمه السبابة على سائر أصابعه " وكانت ميمونة قد رأته على ناقة في مكة .

وكان الرسول أشعر الذراعين والمنكبين وأعلى الصدر .

- ## عن الشامة وخاتم النبوة:

كان بين كتفي النبي " شامة كبيضة الحمامة " وكانت الشامة أقرب إلى الكتف اليسرى .

وق اقترح رجل على رسول الله ﷺ أن يعالجها له قائلاً: "يا رسول الله أني كأطب الرجال .. افأعالجها لك؟ "

قال ﷺ : لا .. طبيبها الذي خلقها.

وقال أبو سعي : الختم الذي بين كتفي النبي ﷺ . لحمة ناتئة .

- ## عن الصورة العامة :

قال إبراهيم بن محمد "من ولد علي " . قال ما معناه " أن النبي ﷺ كان متوسط القامة . شعره مموج .. غير بدين .. في الوجه

تدوير/.. وهو أبيض مشرب بحمرة .. في رؤوس العظام وأصابع الأطراف ضخامة.. إذا التفت ألتفت معا.. شديد سواد العين .. طويل الأهداب . يمشي بقوة كأنه ينزل من منحدر . من رآه بديهة " أي فجأة" هابه.. ومــن خالطــه معرفة أحبه.

وكان يرتدي من الألوان " الأحمر والأخضر" وفي هــذين اللــونين بالذات كان يبدو آيع في حسن الرجولة.

ويجمع كل من وصفه عن معاشرة أنه كان إذا غضب تلون وجهــه واحمرت عيناه، وأنه ما ضرب في حياته امرأة أو رفع يده على خادم .

قال أبو سعيد الخدري " كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها.. "

وكان – كما قالت عائشة رضي الله عنها – بشرا من البشر . يحلب شاته . ويخدم نفسه ، ويخصف نعله ويخيط ثوبه .

وكان – كما قال انس بن مالك – كان رسول الله ﷺ من أفكه الناس مع صبي.

وكان إذا مر على صبين سلم عليهم . وكان يضطجع على الحصير ويقول لمن يخفف من قسوة فراشه:

" مالي وللدنيا ؟ إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شــجرة .. ثــم راح وتركها" .. وكان يركب الحمار ،ويلبس الصوف ، بسيطا .

قال جابر بن سمرة : كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه حتــى تطلع الشمس ، فإذا طلعت قام.

قال إياد بن أبي رمثة: انطلقت مع أبي نحو رسول الله ﷺ فلما رأيته قال لي هل ترى من هذا ؟

قلت : لا

قال : أن هذا رسول الله .

فاقشعررت حين قال ذلك . وكنت أظن رسول الله ﷺ شيئاً لا يشبه الناس .فإذا به بشراً .

( ويحدثنا الشيخ الشعراوي عن أخلاقيات الرسول ﷺ فيقول : كان دائما خافض الطرف.. أي ليس مفتحا دائما في الكون ، وينظر إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء . ويسير وصحابته أمامه وهو خلفهم . ولما سئل عن هذا قال " حتى يظل ظهري إلى ملائكة ربي" . وكان يبدأ من يقابله بالسلام .

ويقول الحسن نقلاً عن خاله هند بن أبي هالة : " وكان رسول الله ﷺ دائم الأحزان" أي أنه كان يحزن لمهمة التي كان يقوم بها.

ويجب أن ننتبه إلى أمر هام وهو أن الحزن كان لا يتعلق بشيء يخصه هو ، ولكن كان يتعلق بشيء ينال من الآخرين.

وكان دائم الفكر لأن مهمته تستوجب منه هذا كيف يكون منهج الدعوة ؟ وماذا يصنع مع أتباعه المضطهدين ؟ وماذا يكون تصرفه مع قوم يتكالبون على الضعفاء ويريدون أن يصرفوهم عن دينهم ؟

وكان طويل السكوت.. وكان يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه يعني لا يتكلم من طرف أنفه ، ولكن الكلام كان يأتي بملء فمه ومن الشدقين .. أي من زاويتي الفم .

وكان يتكلم بجوامع الكلم.. بمعنى أن الكلمة تحمل معاني كثيرة لأنه كان عنده إعجاز ويستطيع أن يمرر كثيراً من المعاني في اللفظ الواحد المعبر ، ويقول القول فصلا أي لا زيادة فيه ولا نقصان عن غير المطلوب.

وكان لا يحب زواقا ولا مديحاً . حتى لا يفهم خطأ أن من لم يمدحه يكرهه.

وكان لا يغضب لنفسه ولا يستفزه شيء .. وإذا أشار فبكفه كلها، أي لا يشير بالأصابع على عادة الناس جميعا.. لماذا لأنه لا يشير بأصبعه إلا للتوحيد فقط.

وإذا تعجب صار يقلب كفيه.

وإذا غضب أعرض وأشاح. وهذا يعني أنه كان رئيفاً حتى في غضبه ولا يحب أن يرى من أغضبه وجهه.

وإذا فرح غض طرفه .. وإذا ضحك تبسم ولا يقهقه.

*******

# حكاية الشيخ
# مع السيدة " زينب" " أم هاشم "

في حوار للشيخ سجل في كتاب " أنا من سلالة أهل البيت "
يقول الشيخ رحمه الله :

( أنا جاورت " ستنا زينب " سبع سنوات .. من سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٤٢ .

كنت أسكن في شارع البرنس عزيز .. عند قلعة الكبش .. في حي السيدة زينب.

وكنت وقتها طالبا.

وحدث وأنا أستعد لدخول الامتحان في الشهادة العالية . أنني مرضت واشتد بي المرض . ولم أدخل الامتحان فاتني الامتحان في الدور الأول. وفاتني في الدور الثاني أيضًا . وزعلت وحزنت . لئن كنت مجتهدا.

وقلت للسيدة زينب : أحنا سكنين جنبك ، وبنصلي عندك.. وفاتنا الامتحان في الدور الأول والدور الثاني . وضاعت السنة .

و .. " خاصمتها" !

ولم أعد أصلي في مسجدها.

كنت أصلي في زاوية أسمها زاوية " الحبيبة" .

وقال الشيخ : وفي تلك الأيام كان لي صديق من العارفين بالله أسمه الشيخ محمد عبد الفتاح . كان أستاذاً في كلية الشريعة وفوجئت به يحضر لزيارتي في ليلة المولد .. مولد " ستنا زينب " وكانت الليلة هي الليلة الكبيرة .

وقل لي وكأنه يأمرني .

قوم يا وله .. قوم ألبس هدومك!

فسألته ليه ؟ .. وعلى فين حنروح ؟

قال : قلت لك قوم ألبس هدومك .

فقلت : خير .. حنروحوا فين؟

قال : حاروح أصالحك على " الست" . على ستنا زينب" !

واندهشت !

كيف عرف أنني زعلان من " الست"

كيف عرف أنني "خاصمتها" ؟!

وفعلا أخذني .. ورحنا " للست " رحنا للسيدة زينب .

دخلنا المسجد. وصلينا ركعتين ..وزرنا " الست" .:وسلمنا عليها . وقعدنا . وصلينا العشاء .

وقضينا الليل في المسجد..وعند الفجر عدنا للبيت لكي ننام ونستريح شوية

.

في البيت . نام الشيخ عبد الفتاح على السرير.

ونمت أنا على الكنبة في الصالة .

لم يمض وقت طويل حتى سمعت طرقات على الباب . أيقظتني من " رؤيا جميلة " .

من يكون هذا الذي يجيء في هذا الوقت!

وقمت وفتحت الباب فوجدت والدي.

جاء من البلد ومعه " الزوادة " بتاعتنا.

وقلت له وأنا أرحب به وأحمل عنه " القفة " وأفسح له الطريق أنت صحتني من " رؤية حلوة " !

.

كانت فعلا في " رؤيا جميلة " عندما أيقظتني " خبطات " والدي على الباب .

فسألني والدي باهتمام : رؤية إيه يا وله ؟

قلت : رؤية الست .. ستنا .

فسألن باهتمام أكبر ويده على كتفي تهزني .

أنت شفتها يا وله ؟ وكان وجهها عريان وإلا متغطي بطرحة ؟

قلت له : إيه عريان ؟ وإيه متغطي ؟

قال وهو يعيد السؤال :

كان وجهها عريان ؟ ولا متغطي ؟

قلت : كان عريان .

فاحتضنني وقبلني .

سألته : معناه إيه أن وجهها عريان يا أبويا ؟

قال : معناها أن أحنا من أهلها.. من محارمها يا وله . من أهلها؟

وسألني: وقالت لك إيه يا وله ؟

قلت وأنا أمسكِ بيده تعال نتكلم في " الأوضة الثانية "

فسألني : مين اللي عندك هنا؟

قلت : الشيخ عبد الفتاح وهو نائم في السرير ولا نريد أن نوقظه بكلامنا.

ودخلنا " الأوضة الثانية .

وقبل أنت نتكلم فوجئتِ بالشيخ عبد الفتاح وقد استيقظ من نومه وأخذ يناديني ولم يكن قد عرف أن والدي قد جاء .

وسمعته يسألني وهو في السرير:

قالت لك إيه يا وله ؟ .. تعال هنا وقوللي .

فقلت : قالت لاي . أنت زعلان مننا؟

وعاد يسألني : وأبوك قال لك إيه ؟

قلت : أبويا سألني .. "وشها " كان عريان. ولا متغطي بطرحة ؟

قال: وقلت له إيه ؟

قلت : كان عريان ؟

قال : وأبوك قال لك إيه ؟

قلت : قال أءنا من محارمها.. من أهلها.

قال الشيخ عبد الفتاح : صدق .. صدق .

وعاد الشيخ عبد الفتاح يسألني:وستنا زينب قالت لك إيه يا وله ؟

قلت : قالت لي أنت زعلان مننا ؟

إن كانت راحت منك سنة حنعوضها لك بخمسة .

فقال الشيخ عبد الفتاح : والخمسة دي تبقى إيه ؟ ومعناها إيه ؟

قلت : الله أعلم ! .

ومضى الشيخ الشعراوي يقول : لم أدرك معنى عبارة السيدة زينب " سنعوضها لك بخمسة " إلا بعد فترة .

فقد حدث بعد ذلك أن تخرجت في الأزهر واشتغلت بالدرجة السادسة .

وكان من المعمول به أن تتم الترقيات إلى الدرجات الخالية ليس بالأقدمية فقط ، وإنما هناك نسبة ٢٥% من الدرجات الخالية تعطى بالاختيار للموظفين المجيدين في أعمالهم .

وقد فوجئت بترقيتي من الدرجة السادسة إلى الدرجة الخامسة بالاختيار وليس بالأقدمية !.

وهنا تذكرت عبارة السيدة زينب " سنعوضها لك بخمسة " !!

ويومها أيضًا استأذنت من عملي في الزقايق وجئت إلى القاهرة لزيارة " الست" .

وقال الشيخ الشعراوي : هناك من لا يصدق مثل هذه الأشياء ، بل ويعتبر قائلها من " المجاذيب " أو " المجانين " وهؤلاء معذورون لنهم لم يرو شيئاً!

وقال : في بلد عربي سألني بعضهم .. قالوا أنت تتكلم عن الأولياء وتحكي عن وقائع وحكايات لا سند لها.

فقلت لهم: تعالوا نتجادل جدل " العلماء " وليس جدل "العوام "

وسألتهم : أنتم تؤمنون بالمعراج أليس كذلك ؟

قالوا : نعم

قلت : وهل تؤمنون أن النبي صعد وقابل موسى ليلة المعراج ؟

قالوا : نعم

قلت : وتكلم معه ؟

قالوا : نعم

قلت : طيب . موسى " ميت " بقانون الأموات .

ومحمد ﷺ حي بقانون الأحياء.

وقد التقى " الميت " بقانون الأموات . " بالحي " بقانون الأحياء

وعملوا عملا واحدا . صلوا معاً.

وعمل "الميت " بقانون الأموات " للحي " بقانون الأحياء عملا . فقد ردده على ربه ليخفف الصلاة . فتردد محمد إلى أن صارت الصلاة خمسا بعد أنت كانت خمسين .

وسألتهم. من فعل ذلك ؟ وقلت لهم : الذي فعلها هو موسى . ، وموسى "ميت بقانون الأموات.

إذن " فالميت " قد يعمل عملا للغير ينتفع به . عملا للغير وليس لنفسه .لأن عمله لنفسه قد انقطع .

هذا ما قلته للذين جادلوني في بلد عربي.. وهو ما أقوله للذين يجادلون جدل " العلماء " وليس جدل " العوام " .

## الحاج أحمد . وعتاب السيدة زينب !

ويحكي الشيخ حكاية أخرى عن السيدة زينب ..وهي حكاية جرت لواحد من أصدقائه القريبين إليه واسمه الحاج أحمد .

يقول الشيخ : الحاج أحمد كان من " محاسيب" السيدة زينب ، ولا يزال .

وكان هناك واحد من "خدّام " الست يعطف عليه الحاج احمد ويقدم له بعض المساعدات .

وفي يوم دعا هذا الخادم الحاج أحمد إلى بيته ليشرب عنده قهوة . فذهب الحاج أحمد إلى بيت الخادم .فوجد البيت مؤسس بأثاث فخم جداً.. ومفروش فرش يدل على السعة الثراء .

وخطر بباله خاطر يقول : كيف أعطي هذا الرجل فلوسي وهو يعيش عيشة أحسن مني !

وفي نفس الليلة حدث شيء رواه لي الحاج أحمد وهو يقسم بالله.

قال أنه استيقظ لصلاة الفجر كعادته .

استيقظ من " رؤيا " رأي فيها السيدة زينب وهي واقفة في شرفة " بلكونة " وتقول له :

يا حاج أحمد . مالكش دعوة بخداميني!

واختفت !

وبعدها لم يعد الحاج أحمد يسأل أو يعترض على شيء ! .

ويقول الشيخ معقباً في دهشة .

إيه ده ! مسألة " تشيّب" !

وقال الشيخ : لما سألني الحاج أحمد قلت له : " الخـدامين بيعطـوا صورة عن البيت اللي بيخدموا فيه .

هناك خادم مُكرم من أصحاب البيت ، وخادم غير مكرم.

وقلت له : أنت عايز " خدام " الست .. ستنا زينب" يبقـى شـحات يعني !

فسألني ..وما معنى هذا الكلام الذي قالته الست لـي ؟ هـل هـي غاضبة مني ؟

قلت له : هذا يدل علـى أنـك أهـل للعتـاب ! يعنـي محسـوب عليها .. على " ستنا " !

*******



# أهل البيت ... في مصر

## سيدنا الإمام الحسين

هو سيد الشهداء الإمام الحسين بن الإمام على كرم الله وجهه زوج السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله والذي ولد في الخامس من شعبان سنة ٤هـ واستشهد يوم الجمعة العاشر من محرم سنة ٦١هـ (يوم عاشوراء) وعمره ٥٦ عاما.

زوجاته وأولاده :

• السيدة (سلافة) وكان اسمها بالفارسية (شاه زنان) بمعنى ملكة النساء بنت يزدجرد بن انوشروان (ملك الفرس) وأنجب منها الإمام على الأصغر وكنيته أبو محمد ولقبه (زين العابدين) .

• السيدة (ليلى) بنت أبى مرة بن عروة بن مسعود الثقفى وأنجب منها على الأكبر .

• السيدة (قضاعة) وأنجب منها (جعفر) .

• السيدة (رباب) بنت امرئ القيس بن عدى (الكلبية) وأنجب منها (السيدة سكينة الكبرى) وعبد الله رضى الله عنهما.

• السيدة أم اسحق بنت طلحة بن عبيد الله (التيمية) وأنجب منها (السيدة فاطمة النبوية) رضي الله عنها.

*******

## السيدة زينب الكبرى

هي بنت الإمام على كرم الله وجهه زوج البتول بنت سيدنا رسول الله وأخت الحسنين ، وولدت رضي الله عنها في شهر شعبان سنة ٦ هجرية أي بعد مولد الإمام الحسين بعامين وتوفيت في ١٥ رجب سنة ٦٢ هـ أي عاشت من العمر ٥٦ عاما مثل عمر الإمام الحسين.

تزوجت من ابن عمها سيدي عبد الله بن جعفر (الطيار) في عهد الإمام عمر بن الخطاب بالمدينة وولدت له خمس وهم (على وعون وعباس ومحمد وأم كلثوم). وأهل البيت جميعا كانوا يرجعون إلى رأيها فأطلقوا عليها (صاحبة الشورى).

ودخلت مصر في شعبان سنة ٦١ هـ وكان الوالي ورجاله يعقدون جلساتهم بدارها وتحت رئاستها فأطلقوا عليها (رئيسة الديوان).

وكانت دارها مأوى لكل ضعيف ومريض ومحتاج فأطلقوا عليها (أم العواجز).

لها مشهد عظيم ومسجد معروف بميدان السيدة زينب بالقاهرة يؤمه الزوار من جميع البقاع للتبرك والدعاء وهذا المكان مشهور بإجابة الدعاء فيه.

*******

## السيدة سُكينة الكبرى

هي بنت الإمام الحسين وأمها السيدة رباب بنت امرئ القيس بن عدى بن أوس (الكلبى) ولدت رضي الله عنها سنة ٤٧ هـ.

تزوجت من سيدي عبد الله بن الإمام الحسن السبط بن الإمام على كرم الله وجهه، ثم تزوجت من مصعب بن الزبير وولدت له الرباب.

كانت السيدة سُكينة رضي الله عنها سيدة نساء عصرها ومن أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقا ، اشتهرت رضي الله عنها بالشعر وكان يحضرها (من وراء حجاب) أمراء الشعر مثل الفرزدق وجرير ونصيب وجميل وغيرهما.

توفيت رضي الله عنها سنة ١١٧ هـ وقيل توفيت في ٥ ربيع الأول سنة ١٢٦ هـ ودفنت رضي الله عنها بمصر ولها مقام مشهود في المراغة بمصر المحروسة.

## السيدة فاطمة النبوية

هي بنت الإمام الحسين وأمها السيدة أم إسحاق (التيمية) بنت طلحة بن عبيد الله، وتزوجت من ابن عمها سيدي حسن المثنى بن الإمام الحسن السبط بن الإمام على وولدت له:

سيدي عبد الله ويلقب بالشريف المحض

وسيدي إبراهيم ويلقب بالقمر

وسيدي الحسن ويلقب بالمثلث

ثم مات عنها زوجها سيدي حسن المثنى وتزوجت بعده من سيدي عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وولدت له القاسم ومحمد .

وكانت متكفلة بـ ٧ بنات يتما و لذلك سميت ( أم اليتامى )

توفيت رضي الله عنها سنة ١١٠ هـ ودفنت بالدرب الأحمر بمصر المحروسة.

## السيدة عائشة

هي بنت الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام على زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام على ، وأمها السيدة حُمَيدة وأبيها الإمام جعفر الصادق .

وأخيها الإمام موسى الذي لقب (بالكاظم) ولقبه الذي لقب به يغنـــى عن التعـــريف به لأنه قيل في معنى الكاظم الكثير منها: الإمام الكبير القدر الأوحد الحجة، ومنها كاظم الغيظ.

ففي وسط هذا المناخ المتوهج بنور النبوة تربت العابـــدة المجاهـــدة السيدة عائشة ، وكانت لها دلال مع الله حتى أنه ورد عنها أنها كانت تناجى ربها فتقول : وعزتك وجلالك لئن أدخلتني النار لآخـــذن توحيـــدي بيـــدي وأطوف به على أهل النار وأقول وحدته فعذبني.

وهذه المناجاة إن دلت فإنما تدل على شدة القرب مـــن الله، وشـــدة العشم في الله، والدلال معه سبحانه وتعالى.

توفيت سنة ١٤٥هـــ ولها مشهد عظيم ومسجد معمور بمنطقة القلعة بمصر المحروسة .

## السيدة نفيسة

هي بنت سيدي حسن الأنور بن الإمام زيد الأبلج بن الإمام الحســـن الســـبط بن الإمام على ، ولدت رضي الله عنها بمكة سنة ١٤٥هـــ وتوفيت سنة ٢٠٨هـــ أي عاشت ٦٣عاما.

تزوجت من إسحاق بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد البـــاقر بن الإمام على زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام على ، وكان يدعى (إسحاق المؤتمن) وولدت له القاسم وأم كلثوم رضي الله عنهما.

عاشت بالمدينة وحجت أكثر من ثلاثين حجة أكثرهـــا ماشـــية ولـــم تفارق حرم النبي ثم هبطت إلى مصر بعد زيارة سيدنا إبراهيم الخليل ســـنة ١٩٣هـــ.

وكان الإمام الشافعي في زمانها إذا مرض يرسل لها ليسألها الـــدعاء فلا يرجع الرسول إلا وقد شفى الشافعي من مرضه، فلما مـــرض مرضـــه

الذي مات فيه أرسل للسيدة نفيسة يسألها الدعاء كعادته فقالت: متعه الله بالنظر إلى وجهه الكريم، فعلم الشافعي بدنو أجله.

وكان لها مجلس يحضره أعلام الإسلام في مصر .. وكان يسألونها و يرجعون إليها....لذلك سميت (نفيسة العلوم )

دفنت رضي الله عنها بالمراغة بمصر المحروسة.

*******

# الإمام الشافعي

هو محمد بن إدريس الشافعي ، ويجتمع مع رسول الله في عبد مناف.

ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ

وقال الربيع: دخلت على الشافعي ليلة موته، فقلت له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلا ولإخواني مفارقا ولكأس المنية شاربا ولسوء أعمالي ملاقيا وعلى الكريم واردا ثم بكى.

من نظمه :

يا آل بيت رسول الله حبكم

فرض من الله في القرآن أنزله

يكفيكم من عظيم الفخر أنكم

من لم يصل عليكم لا صلاة له

ولد في غزة وتفقه في مكة على يد الشيخ مسلم بن خالد الزنجى ثم قدم المدينة ولزم الإمام مالك ثم رحل إلى اليمن ثم إلى العراق ثم إلى مصر سنة ١٩٩هـ

و هو أحد أعلام هذه الأمة وله مذهب باسمه يسير عليه الكثير من المسلمين

وتوفى بمصر سنة ٢٠٤ هـ أي عاش ٥٤ عاما.

***

# طريق آل البيت

طريق آل البيت يطلق على طريق في القاهرة القديمة بمصر يضم مقابر وأضرحة عدد من أهل البيت المدفونين بمصر. وقد قامت الحكومة المصرية في الآونة الأخير ببدء تجديد وترميم هذا الطريق ويعتقد الكثيرون أن هذا الطريق من الممكن أن يصبح من أهم عناصر الجذب السياحي بمصر. ويطلق لفظ طريق آل البيت أحيانا من قبل المصريين ليدل على مقامات أهل البيت في القاهرة بصفة عامة.

يبدأ الطريق من منطقة فم الخليج حيث مشهد زين العابدين الذي يضم رأس زيد بن علي على بعض الأقوال أو كان منزل علي زين العابدين في مصر عندما جاء ليزور عمته زينب بنت علي على رواية المصريين.

وينتهي الطريق بمشهد السيدة زينب بالقاهرة.

قائمة المشاهد في طريق آل البيت

- مشهد زين العابدين
- مشهد السيدة نفيسة
- مشهد ابن سيرين
- مشهد رقية بنت علي
- قبة الجعفري
- مشهد سكينة بنت الحسين
- مشهد السيدة زينب بالقاهرة

وهناك مشاهد أيضًا لأهل البيت ولكنها خارج طريق أهل البيت

مشهد القاسم الطيب بن محمد المأمون بن جعفر الصادق.

مشهد فاطمة النبوية بالدرب الأحمر.

مشهد عائشة بنت جعفر الصادق بمنطقة السيدة عائشة.

مشهد يحيى الشبيه بن القاسم الطيب.

مشهد كلثم بنت القاسم الطيب.

مشهد الإمام الحسين بالقاهرة.

مشهد فاطمة بنت محمد الباقر أو ما يسمى بأم الغلام بمنطقة الحسين

***

# رحلة أهل بيت النبوة إلى مصر

## أهل البيت في مصر

بدأت رحلة أهل بيت رسول الله (ﷺ) إلى مصر في منتصف القرن الأول الهجري وتحديدا في سنة إحدى وستين للهجرة، أي بعد وفاة رسول الله (ﷺ) بخمسين عاما لاغير، وذلك عندما خرج الإمام الحسين ومعه ذريته وأهل بيته من مدينة رسول الله (ﷺ) إلى مكة رافضا البيعة ليزيد بن معاوية كخليفة على المسلمين وخلفا لأبيه وقال لمن جاء يأخذ منه البيعة ( إن مثلي لا يبايع يزيد ) وكان يزيد هذا يعرف لشدة فسقه وفجوره بيزيد الخمور ويزيد الفجور، وتوجه الإمام الحسين ومع الذرية الطاهرة إلى مكة التي ما كاد أن يصلها حتى أرسل يزيد إلى واليه على مكة أن يأخذ الحسين أخذا شديدا ولا يتركه حتى يبايع، كان يزيد لا يريد من الإمام الحسين إلا أن يعطيه البيعة ولا يعارضه في استبداده بالملك وتسلطه على الرعية وفي المقابل هو على استعداد أن يترك للإمام الحسين وشأنه يفعل ويطلب ما يشاء، ومرة أخرى رفض الإمام الحسين وقال لرسول يزيد ( لن أقر إقرار العبيد ولن أعطيكم إعطاء الذليل .. على الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد، والله لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى ما بايعت يزيد ) لم يستطع أهل مكة أن ينصروا الإمام الحسين أمام يزيد وجنده كما كان من أهل المدينة، فخرج الإمام الحسين من مكة قاصدا الكوفة وكان أهلها قد علموا بموقف الإمام الحسين من يزيد فأرسلوا إليه أن يأتيهم وسيحمونه مما يحمون منه أنفسهم وأولادهم !!!

وفي الطريق إلى الكوفة التقت قافلة أهل البيت بإحدى طلائع جيش يزيد التي أرسلها لتقطع على الإمام الحسين وجهته لئلا يلتقي بأنصاره هناك ويتقوى

بهم عليه وفي مكان يسمى كربلاء حوصر الإمام الحسين وأرسل قائد السرية إلى ابن زياد والي يزيد على الكوفة أنه قد أوقف الحسين ومن معه فأرسل له ابن زياد كل ما عنده من جند فاجتمع في كربلاء أربعة آلاف فارس على أقل الروايات وثلاثون ألفا على أكثرها عددا في مواجهة الإمام الحسين وأهل بيت رسول الله ﷺ وهم يومئذ سبعون فردًا لا غير، وكان ما كان في كربلاء مما ذكره الرواة وانتهت المعركة بقتل الإمام الحسين وذبحه ومن معه وأسر الذرية الطاهرة واقتيادهم إلى يزيد بن معاوية في موكب مهيب عرف في التاريخ باسم موكب الرؤوس،على مقدمته رأس الإمام الحسين.. ثم تليه رؤوس أبنائه وأبناء إخوته أحفاد رسول الله ﷺ ... ثم رؤوس أصحابه زهير بن القين وحبيب بن مظاهر والحر بن يزيد الرياحي وغيرهم ... وفي المؤخرة كانت السبايا، حرائر أهل بيت النبوة ... بنات رسول الله ﷺ ...السيدة زينب النبوية عقيلة بنى هاشم والسيدة أم كلثوم أخوات الإمام الحسين والسيدة سكينة والسيدة فاطمة النبوية بنتا الإمام الحسين وغيرهن ...من بنات السيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وقد وضعوهم على أقتاب البغال والجمال بغير سروج وغطاء مكبلات بالحديد مهتكات حاسرات يسقن كما تساق الإماء والجواري ... وكان معهم الابن الوحيد من أبناء الإمام الحسين الذي نجا من القتل بعد أن منعه مرضه الشديد من الاشتراك في المعركة وحفظ الله في صلبه نسل رسول الله ﷺ لئلا تخلو الأرض من الذرية الطاهرة، وهو علي الأوسط، الذي عرف فيما بعد بالإمام علي زين العابدين.

وبعد أن وصل الركب إلى دمشق عاصمة الخلافة الإسلامية يومئذ وأدخلوا على يزيد ومع وزيره ابن زياد الذي ابتدر السيدة زينب أخت الحسين قائلا : كيف رأيت صنع الله بأخيك وأبناء أخيك ؟

ففاجأته عقيلة بني هاشم بكل ثقة ورباطة جأش : ما رأيت إلا جميلاً إنهم قوم قد كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم

فتختصمون عنده، فحسبك القيامة موعدًا والله حكمًا ومحمدًا ﷺ خصمًا وانظر لمن يكون الفلج يومئذ يابن مرجانة.

أيقن يزيد أنه قد نال من الإمام الحسين وأهل بيته بقتلهم وذبحهم في صحراء كربلاء القاحلة ، لكن جواب السيدة زينب عليه ورباطة جأشها دفعه إلى أن يخرجها من البلاد ويطلق سراحها ومن معها.

أبصرت السيدة زينب ومعها أخواتها وبناتها أين تذهب في أرض الله الواسعة فأهل المدينة خلوا بهم ولم ينصروهم من يزيد وجنده كذلك أهل مكة وعلى أرض العراق قتلوا وذبحوا والى الشام أخذوا أسرى ولم تجد السيدة زينب من كل بلاد الله أرضا تستضيفها وتحميها من بطش يزيد وجلاوذته غير أرض مصر !!! فقررت الهجرة إليها، تماما كهجرة جدها المصطفى ﷺ إلى يثرب قبل أربعين عاما من بطش قريش وأهلها معه وأصحابه، وهكذا ولت العقيلة وجهها شطر أرض الكنانة علم أهل مصر بقدوم آل بيت رسول الله ﷺ إلى بلادهم .. فذاب قلب مصر في جوفها.....وخرج أهلها أفواجا ليكونوا في استقبال آل بيت رسول الله ﷺ ويا لها من كرامة ويا له من شرف أن يتخذ أولاد رسول الله ﷺ من أرض الكنانة مقرًا ومستودعًا لهم، ومن ثم كان اللقاء عند قرية بلبيس بمحافظة الشرقية الآن وأحاط أهل مصر بأولاد رسول الله ﷺ السيدة زينب عقيلة بني هاشم والسيدة أم كلثوم أختا الإمام الحسين والإمام علي زين العابدين بن الحسين والسيدة سكينة والسيدة فاطمة النبوية بنتا الإمام الحسين واحتضنوهم وفي القلب والعين أسكنوهم، وكان المصريون يداومون على زيارة عقيلة بني هاشم يلتمسون بركتها وينهلوا من علمها وفقهها الذي هو تراث جدها المصطفى ﷺ، ثم كان من بعدها قدوم السيدة نفيسة رضي الله عنها وأرضاها من مدينة رسول الله ﷺ إلى أرض مصر، وكالعادة خرج الرجال والنساء بالهوادج والخيول لاستقبال السيدة نفيسة العلم وكان اللقاء عند مدينة العريش وعادوا بها إلى الديار فرحين

مهللين، وكانت مجالس العلم والفقه تعقد في دار السيدة نفيسة رضـــي الله عنهـــا وأرضاها ويحضرها كبار العلماء ورجالات الدين في مصر.

هؤلاء هم آل بيت رسول الله في مصر وهذه مساجدهم وديـــارهم إلـــى اليوم يقصدها الملايين صباحا ومساء يرقبون فيهم رسول الله ﷺ عملا بقوله (ﷺ) ارقبوا محمدًا في أهل بيته.

وعلى أرض مصر نمت وترعرعت شجرة أهل بيـــت النبـــوة، وتـــدلت أغصانها وتهدلت واستظل الناس قرونا ومازالوا بتلكم الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها لأهل هذا البلـــد الطيـــب الذي يخرج نباته بإذن ربه، ومن ثم كانت قاهرة المعز لدين الله الفاطمي، وكانت الدولة الفاطمية اكبر وأعظم دولة في التاريخ والتي قامت على أســـس وتعـــاليم الإمام جعفر الصادق سادس أئمة أهل البيت عليهم السلام، وكان الجامع الأزهـــر منارة الحكمة والمعرفة وكعبة العلم لكل أقطار الأرض، وقد قام شيوخ الجـــامع الأزهر وعلمائه أمثال الشيخ محمود شلتوت والشيخ سليم البشري والشيخ عبـــد المجيد سليم والشيخ عبد الحليم محمود والشيخ الغزالي بحفظ التراث النبوي لآل بيت رسول الله ﷺ من خلال مئات الكتب والمؤلفات التي ذخرت بهـــا المكتبـــة الإسلامية وتوجها الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية بشرح نهـــج البلاغـــة لأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب هذا غير مـــا قدمـــه قامـــات الفكـــر الإسلامي في مصر أمثال الأستاذ العقاد والدكتور طه حسين والأستاذ توفيق أبو علم والأستاذ علي احمد شلبي والأستاذ إبراهيم دسوقي والأستاذ عبـــد الـــرحمن الشرقاوي والدكتورة بنت الشاطئ والعشرات غيرهم للمكتبـــة الإســـلامية مـــن مؤلفات ومراجع عن فكر وفقه آهل بيت رسول الله ﷺ كان لها أبلغ الأثر في نمو وازدهار حركة الثقافة والحضارة في مصر وتعددت جوانبها لتشمل كل مظـــاهر

الحياة في الفكر والأدب والفن والعمارة و.... ومن ثم كانت أرض مصر هي الأرض المناسبة لانتشار وازدهار علوم الدين الإسلامي التي شملت كل جوانب الحياة والمجتمع كما جاء به وفصله أهل بيت رسول الله ﷺ وتلقاه الناس عنهم وانعكس على حياتهم، أو قل أن مرامي الدين الإسلامي الحنيف وجوهره الشريف وآدابه النبيلة وأخلاقياته السامية وتوجهاته في بناء المجتمعات والحضارات وعمارة الأرض كانت تحتاج إلى تربة خصبة ثرية وشعب عريق موسوم بالحيوية والحضارة الضاربة في أعماق التاريخ لينمو عليها آخر الأديان السماوية ويؤتي ثماره إلى العالم من على أرضه.

* * *

# في رحاب السيدة نفيسة رضي الله عنها وأرضاها.

## نفيسة العلم (نفيسة بنت الحسن)

كانت من العابدات الزاهدات القانتات لله، كما كانت مصباحًا أضاء الطريق للسالكين الحيارى، وقدوة احتذاها أهل التقوى والإيمان.

في مكة المكرمة، ولدت نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبى طالب، وكان ذلك اليوم السعيد بعد مائة وخمسة وأربعين عامًا من هجرة الرسول ( عام ١٤٥هـ.)

وفي البلد الحرام عاشت نفيسة مع أحفاد رسول الله ﷺ، فتأثرت بهم، وسارت على منهجهم؛ فحفظت القرآن الكريم، وأقبلت على فهم آياته وكلماته، كما حفظت كثيرًا من أحاديث جدها .

نظرت نفيسة إلى الدنيا، فوجدتها فانية زائلة، فأعرضت عنها، وزهدت فيها، وأقبلت بوجهها إلى الله، تستغفره، وتتوسل إليه، وتطلب منه العفو والغفران، ولما بلغت نفيسة مبلغ الشابات؛ تقدم لخطبتها ابن عمها إسحق المؤتمن بن الإمام جعفر الصادق، فرضيته زوجًا لها.

وفي المدينة المنورة، عاشت نفيسة آمنة مطمئنة، وفتحت بيتها لطلاب العلم، تروى لهم أحاديث رسول الله ﷺ، وتفتيهم في أمور دينهم ودنياهم، حتى أطلقوا عليها اسم: "نفيسة العلم والمعرفة".

وفي عام مائة وثلاثة وتسعين من الهجرة (١٩٣هـ)، وصلت السيدة نفيسة إلى مصر بصحبة والدها وزوجها، واستقرت في الفسطاط بدار ابن

الجصاص وهو من أعيان مصر، وقد أُستقبلت استقبالا حافلا، وسر أهل البلاد بقدوم حفيدة رسول الله ﷺ.

واستمرت نفيسة في حياة الزهد والعبادة، تقوم الليل، وتصوم النهار، حتى طلب منها زوجها ذات يوم أن ترفق بنفسها، فقالت: "من استقام مع الله، كان الكون بيده وفي طاعته". وكانت تعرف أنها لكي تفوز بجنة الخلد، فلابد لها أن تجتهد في العبادة، وأن تبتعد عن ملذات الدنيا، تقول: "لا مناص من الشوك في طريق السعادة، فمن تخطاه وصل".

وداومت السيدة نفيسة على زيارة بيت الله الحرام، وقيل: إنها أدت شعائر الحج ثلاثين مرة، تذهب إلى هناك تتطهر من ذنوبها، وتجدد العهد مع الله على الطاعة، والاستجابة لأوامره، والابتعاد عن كل ما يغضبه، ثم تعود إلى مصر.

وكانت عظيمة القدر والمكانة عند أهل مصر، فكانوا يذهبون إليها، يلتمسون عندها العلم والمعرفة، بل كان يقصد دارها كبار العلماء، فقد تردد عليها الإمام الشافعي، فكانت تستقبله من وراء حجاب، وتناقشه في الفقه وأصول العبادة وأحاديث الرسول.

وحين مرض الإمام الشافعي أرسل إليها يطلب الدعاء له بالشفاء، لكنه مات بعد أيام بعد أن أوصى أن تصلي عليه السيدة نفيسة، فصلت عليه بعد أن صلى عليه الرجال، وحزنت من أجله. وكانت – رضي الله عنها– تجير المظلوم، ولا تستريح حتى ترفع الظلم عنه، فقد استجار بها رجل ثرى من ظلم بعض أولى الأمر، فساعدته في رفع الظلم عنه، ودعت له، وعاد مكرمًا معززًا؛ فأهداها مائة ألف درهم شكرًا لها واعترافًا بفضلها، فوزعتها على الفقراء والمساكين، وهى لا تملك ما يكفيها من طعام يومها.

وبعد سبع سنوات من الإقامة في مصر، مرضت السيدة نفيسة، فصبرت ورضيت، وكانت تقول: "الصبر يلازم المؤمن بقدر ما في قلبه من إيمان، وحسب الصابر أن الله معه، وعلى المؤمن أن يستبشر بالمشاق التي تعترضه،

فإنها سبيل لرفع درجته عند الله، وقد جعل الأجر على قدر المشقة، والله يضاعف لمن يشاء، والله واسع عليم". وتقول أيضًا: "لقد ذكر الصبر في القـرآن الكـريم مائة وثلاث مرات، وذلك دليل على قيمة الصبر وعلو شأنه وحسن عاقبته".

ولما أحست السيدة نفيسة أن النهاية قد اقتربت، أرسـلت إلـى زوجهـا إسحاق المؤتمن، تطلب منه الحضور وكان بعيدًا عنها.

وفي صحن دارها، حفرت قبرها بيدها، وكانت تنزل فيه وتصلى كثيرًا، حتى إنها قرأت فيه المصحف مائة وتسعين مرة وهى تبكى بكاء شديدًا.

وكانت السيدة نفيسة صائمة كعادتها، فألحوا عليها أن تفطر رفقًـا بهـا، وهى في لحظاتها الأخيرة، لكنها صممت على الصوم برغم أنها كانت على وشك لقاء الله، وقالت: وا عجبا، منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقاه وأنا صـائمة، أأفطر الآن؟! هذا لا يكون. ثم راحت تقرأ بخشوع من سـورة الأنعـام، حتـى وصلت إلـى قولـه تعـالى: ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

ففارقت الحياة، وفاضت روحها إلى الله، فبكاها أهل مصـر، وحزنـوا لموتها حزنًا شديدًا، وحينما حضر روجها أراد أن ينقل جثمانها إلى المدينة، لكن الناس منعوه، ودفنت في مصر. فرحمة الله عليها.

## نفيسة العلم والمعرفة

هي السيدة نفيسة، ابنة الإمام الحسن الأنور بن زيد الأبلج بـن الإمـام الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب، مـن العابـدات الزاهـدات القانتـات لله، ومصباحًا أضاء الطريق للسالكين الحيارى، وقدوة احتذاها أهل التقوى والإيمان، فضلًا عن أنها امرأة قوية الشخصية، راجحة العقل، ذات علم ومعرفة وأدب جم.

ولدت في مكة المكرمة سنة ١٤٥هـ، في الحادي عشر من ربيع الأول، فرحت بها أمها زينب بنت الحسن، واستبشر بها أبوها، ويقال إن أباها كان يأخذها وهي صغيرة لزيارة جدهما المصطفى ﷺ ويقول: " إني راضٍ على ابنتي نفيسة؛ فجاءه رسول الله في المنام، وقال له إني راضٍ على ابنتك نفيسة برضائك عنها، وإن الله راضٍ عنها برضائها عليك ".

نشأت في مكة، حتى صحبها أبوها مع أمها إلى المدينة المنورة؛ فكانت تذهب إلى المسجد النبوي تتلقى الحديث والفقه من علمائه، حتى لقبها الناس بلقب (نفيسة العلم والمعرفة)، وذلك قبل أن تصل لسن الزواج.

تقدم إليها الخطاب من السلالة النبوية الشريفة من بني الحسن والحسين(رضي الله عنهم)، والكثير من أشراف قريش؛ لما عرفوه من كمالها وصلاحها، فكان أبوها يأبى إجابة طلبهم ويردهم ردًا جميلًا؛ حتى جاء إسحاق المؤتمن بن الإمام جعفر الصادق يخطبها من أبيها، فصمت، فرأى والدها في المنام رسول الله ﷺ يقول له: " يا حسن! زوّج نفيسة من إسحاق المؤتمن "، فزوجه إياها، في بيت أبيه سنة ١٦١هـ، وكان إسحاق مشهود له بالصلاح، وقد أخذ عن أبيه الكثير من علومه وآدابه وأخلاقه، حتى أصبح له شأن ومقام...أنجبت له ولدًا وبنتًا؛ هما القاسم وأم كلثوم.

لم تكشف كتب التاريخ الدوافع التي أدت إلى قدوم السيدة نفيسة مع زوجها إلى مصر، وهل كانت دوافع سياسية ناتجة من الضغوط التي كان يواجهها آل البيت من قبل القوى الحاكمة؛ حيث كان والدها واليًا على المدينة من قبل أبي جعفر المنصور، ثم غضب عليه وعزله، ومن ثم رحلت معه وزوجها إلى مصر، أم أن هناك دوافع أخرى.

جاءت إلى مصر في رمضان عام ١٩٣ هجرية، ويحكى أن أهالي مصر شُغفوا حبًّا بالسيدة نفيسة، فخرج لاستقبالها أهالي الفسطاط (القاهرة) وأعيانها؛ حتى العريش، بالتكبير والتهليل، وخرجت الهوادج والخيول تحوطها وزوجها، حتى نزلا بدار كبير التجار وقتها " جمال الدين عبد الله الجصاص ".

وصلت السيدة نفيسة إلى القاهرة يوم السبت ٢٦ رمضان ١٩٣ هجرية؛ قبل أن يأتي إليها الإمام الشافعي بخمس سنوات، ونزلت بدار سيدة من المصريين تُدعى " أم هانئ " وكانت دارًا واسعة؛ فأخذ يقبل عليها الناس يلتمسون منها العلم، حتى ازدحم وقتها، وكادت تنشغل عما اعتادت عليه من العبادات، فخرجت على الناس قائلة: « إني كنت قد اعتزمت المقام عندكم، غير أني امرأة ضعيفة، وقد تكاثر حولي الناس فشغلوني عن أورادي، وجمع زاد معادي، وقد زاد حنيني إلى روضة جدي المصطفى»

ففزع الناس لقولها، ورفضوا رحيلها، حتى تدخّل الوالي " السري بن الحكم "، وقال لها:

« يا ابنة رسول الله إني كفيل بإزالة ما تشكين منه »، ووهبها دارا واسعة، ثم حدد يومين في الأسبوع يزورها الناس فيهما طلبًا للعلم والنصيحة، لتتفرغ هي للعبادة بقية الأسبوع، فرضيت وبقيت.

## كراماتها:

قيل إنه كان بجوارها امرأة يهودية لها ابنة مشلولة مقعدة لا تقدر على الحركة، فأرادت الأم أن تذهب إلى الحمام، فسألت ابنتها أن تأخذها معها إلى الحمام فامتنعت البنت، وقالت: " أشتهي أن أكون عند جارتنا الشريفة حتى

تعودين؛ فجاءت الأم إلى السيدة نفيسة، واستأذنتها في ذلك فأذنت لها؛ فحملتها ووضعتها في زاوية من البيت وذهبت، ثم إن السيدة نفيسة توضأت؛ فجرى ماء وضوئها إلى البنت اليهودية، فألهمها الله أن أخذت من ماء الوضوء شيئًا بيدها، ومسحت به على رجليها؛ فوقفت في الوقت بإذن الله ".

في الوقت الذي كانت فيه السيدة نفيسة مشغولة بصلاتها، ولم تعلم ما جرى؛ ثم إن البنت سمعت مجيء أمها من الحمام خرجت من دار السيدة نفيسة إلى دار أمها فدخلت البنت وعانقت أمها؛ فلم تعرفها الأم لأن ابنتها مقعدة، ولما أخبرتها بقصتها كاملة، قالت الأم: " هذا والله الدين الصحيح "، وأسرعت تقبل قدم السيدة نفيسة، وقالت لها: " أمددي يدك، أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن جدك رسول الله "؛ فشكرت السيدة نفيسة ربها عزّ وجلّ وحمدته على هداها وإنقاذها من الضلال؛ فلما حضر أبو البنت وكان اسمه أيوب ولقبه أبو السرايا، وكان من أعيان قومه، ورأى البنت على تلك الحالة ذُهل، وما أن عرف بالقصة حتى رفع رأسه إلى السماء، وقال: " والله هذا الدين الصحيح، ولا دين إلا دين الإسلام "، ثم شاع خبر البنت وإسلامها وإسلام أبيها وأمها وجماعة من الجيران اليهود.

وتوقف النيل عن الزيادة في زمنها؛ فحضر الناس إليها وشكوا من توقف النيل؛ فدفعت قناعها إليهم، وقالت: " ألقوه في النيل "؛ فألقوه فيه؛ فزاد حتى بلغ اللّه به المنافع.

وقيل إنه لما ظلَمَ أحمد بن طولون، استغاث الناس من ظلمه، وتوجهوا إلى السيدة نفيسة يشكونه إليها. فقالت لهم : " متى يركب ؟"، قالوا: " في غدٍ ". فكتبت رقعة، ووقفت بها في طريقه، وقالت: " يا أحمد بن طولون "؛ فلما رآها عرفها فترجل عن فرسه، وأخذ منها الرقعة وقرأها فإذا فيها: " ملكتم فأسرتم، وقدرتم فقهرتم، وخولتم ففسقتم، وردت إليكم الأرزاق فقطعتم، هذا وقد علمتم أن

سهام الأسحار نفاذة غير مخطئة، لا سيّما من قلوب أوجعتموها، وأكباد جوعتموها، وأجساد عريتموها، فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم، اعملوا ما شئتم فإنّا إلى الله متظلمون، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون"!

يقول القرماني: فعدل من بعدها ابن طولون؛ فرفع المظالم عن الناس.

وكان الأمراء يعرفون قدرها وقدرتها على توجيه عامة الناس، بل دفعهم للثورة في الحق إن احتاج الأمر، حتى أن أحد الأمراء قبض أعوانه على رجل من العامة ليعذبوه فبينما هو سائر معهم، مرّ بدار السيدة نفيسة فصاح مستجيرًا بها، فدعت له بالخلاص قائلة: " حجب الله عنك أبصار الظالمين "، ولما وصل الأعوان بالرجل بين يدي الأمير، قالوا له: إنه مرّ بالسيدة نفيسة فاستجار بها، وسألها الدعاء؛ فدعت له بخلاصه، فاستغفر الأمير وصرف الرجل، وتصدق ببعض ماله.

وكانت عظيمة القدر والمكانة عند أهل مصر، يذهبون إليها، يلتمسون العلم والمعرفة، ويقصد دارها كبار العلماء.

تردد عليها الإمام الشافعي؛ فكانت تستقبله من وراء حجاب، وتناقشه في الفقه وأصول العبادة وأحاديث الرسول.

وحين مرض أرسل إليها يطلب، وأوصى أن تصلى عليه، فصلت عليه بعد أن صلى الرجال، وحزنت من أجله.

وللسيدة نفيسة أثر علمي في فقه عالمين كبيرين من أئمة المسلمين، وهما الشافعي وأحمد بن حنبل من أئمة السنة.

كانت من أفضل النساء في رعاية زوجها وبيتها وأسرتها، وأحسنهنَّ إتقانًا لفن إدارة المنزل الذي كانت تعمره بالعبادة والذكر والتربية الحسنة، وحسن التعامل مع زوجها، الذي كان يسعد بها كلّ السعادة ويصرِّح لها بجمال ما أودع الله فيها من صفات حسنة، شكلاً ومضمونًا، فما تردّ عليه إلا بوجهٍ بشوش، وكلماتٍ راقيةٍ تدل على أدبها الجم.

## ومن أقوالها المأثورة:

شكا لها البعض تعسف الولاة قالت: (كيفما تكونوا يولى عليكم)؛ أي أصلحوا ذات بينكم يصلح الله لكم ملوككم.

وتقول: (كم حاربتني شدة بجيشها، وضاق صدري من لقائها وانزعج، حتى إذا يئست من زوالها، جاءتني الألطاف تسعى بالفرج).

من أراد النجاة من الفقر فعليه بقراءة سورة الواقعة، وقد ذكر هذا عبد الله بن مسعود.

ومن أراد الثبات على الإسلام فعليه بقراءة سورة تبارك.
ومن أراد النجاة من عطش يوم القيامة فعليه بقراءة الفاتحة.
ومن أراد الشُرْب من حوض النبي - ﷺ - فعليه بقراءة إنا أعطيناك الكوثر. ما أجمل الثبات على الحق وأسعد صاحبه.

## عباداتها:

استمرت السيدة نفيسة في حياة الزهد والعبادة، تقوم الليل، وتصوم النهار، حتى طلب منها زوجها ذات يوم أن ترفق بنفسها، فقالت:(من استقام مع الله، كان الكون بيده وفي طاعته).

كانت تعرف أنها لكي تفوز بجنة الخلد، فلابد لها أن تجتهد في العبادة، وأن تبتعد عن ملذات الدنيا، تقول:( لا مناص من الشوك في طريق السعادة، فمن تخطاه وصل).

وفي صحن دارها، حفرت قبرها بيدها، وكانت تنزل فيه وتصلي كثيرًا، حتى إنها قرأت فيه المصحف مائة وتسعين مرة، وهي تبكي بكاءً شديدًا.

وداومت السيدة نفيسة على زيارة بيت الله الحرام، وقيل: إنها أدت شعائر الحج ثلاثين مرة، تذهب إلى هناك، لتجدد العهد مع الله على الطاعة، والاستجابة لأوامره، والابتعاد عن كل ما يغضبه.

## وفاتها:

وبعد سبع سنوات من الإقامة في مصر، مرضت السيدة نفيسة، فصبرت ورضيت، وكانت تقول: " الصبر يلازم المؤمن بقدر ما في قلبه من إيمان، وحسب الصابر أن الله معه، وعلى المؤمن أن يستبشر بالمشاق التي تعترضه، فإنها سبيل لرفع درجته عند الله، وقد جعل الأجر على قدر المشقة، والله يضاعف لمن يشاء، والله واسع عليم ".

وتقول أيضًا: " لقد ذكر الصبر في القرآن الكريم مائة وثلاث مرات، وذلك دليل على قيمة الصبر وعلو شأنه وحسن عاقبته ".

وكان لأخيها يحيى (المتوّج) بنت واحدة اسمها (زينب) انقطعت لخدمة عمتها، تقول:

(لقد خدمت عمتي نفيسة أربعين سنة، فما رأيتها نامت بليل أو أفطرت بنهار، إلا في العيد وأيام التشريق).

وكانت السيدة نفيسة صائمة كعادتها، فألحوا عليها أن تفطر رفقًا بها، فرفضت، وقالت:

اصرفوا عني طبيبي ودعوني وحبيبي ... أدني شوقي إليه وغرامي ونحيبي

فانصرف الأطباء، وقد شدّهم الإعجاب بقوة يقينها وثبات دينها، فسألوها الدعاء فدعت لهم.

وبينما كانت تتلو سورة الأنعام، حتى إذا بلغت آية: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام١٢٧ غشي عليها.

تقول زينب – بنت أخيها – فضممتها إلى صدري، فتشهدت شهادة الحق، وصعدت روحها إلى بارئها في السماء.

ولما فاضت روحها أراد زوجها أن ينقلها إلى البقيع عند جدها عليه الصلاة والسلام، ولكن أهل مصر تمسكوا بها وطلبوا منه أن يدفنها عندهم؛ فأبى، ولكنه رأى في منامه الرسول يأمر بذلك؛ فدفنها في قبرها الذي حفرته بنفسها في مصر.

*******

# قصة الشعراوي مع السيدة سكينة

## ويأتي الحديث عن السيدة سكينة .

ويقول الشيخ زيارتي للسيدة سكينة لا تنقطع .وفي مرة رحت لزيارتها .

كنت عند " ستنا فاطمة النبوية " ، وخرجت من عندها ورحت على السيدة سكينة مباشرة .

وزرت .. وقعدت ..

وفوجئت برجل يقترب مني .. ويقول لي :

" أبقى تعالي من الناحية الثانية"!

وفهمت ماذا يريد أن يقوله لي ..واندهشت .

فقد كان من عادتي ... وهي عادة في الكثيرين . أن يذهبوا أولا لزيارة السيدة نفيسة.. ويخرجوا من عندها لزيارة السيدة سكينة.

لكنني هذه المرة جئت من عند السيدة فاطمة النبوية مباشرة إلى السيدة سكينة ..ولم أمز على السيدة نفيسة كما هي العادة .

وفهمت الرسالة .

وقال الشيخ : هناك أسرار في الكون .. وإذا ملم تكن مثل هذه الأسرار موجودة ،،،، يبقى الكون ملخبط .

والسؤال : متى جاءت السيدة سكينة إلى مصر؟

وهل كانت في صحبة عمتها السيدة زينب عند حضورها إلى مصر؟ .. ذلك السؤال تأتي الإجابة عليه في سياق ما يقوله المؤرخون عن السيدة سكينة.

نشأت السيدة سكينة وتربت بين أبوين متحابين ..وككل نماذج البيت النبوي والمسلمين الصالحين الملتزمين ، حفظت القرآن ووعته ودرسته ..وكانت

قدوتها المثلى أمها الرباب وعمتها السيدة زينب وسلكت السبيل القويم لوالـــدها .. الإمام الحسين ، واقتبست منه الصلاح والتقوى والخلق العظيم.

وكان الإمام الحسين يحب ابنته سكينة وأمها الرباب حباً كبيرًا ولم يجـــد حرجاً في التعبير عن هذا الحب ، الذي لاحظه بعض أهله فأنشد يقول :

لعمرك أنني لأحب دارًا

تحل بها سكينة والرباب

أحبهما وأبذل كل مالي

وليس لعاذل عندي عتاب

ولست لهم وأن عابوا معيبًا

حياتي أو يغيبني التراب .

وعندما وقعت مذبحة كربلاء.. كانت الســـيدة ســـكينة صـــبية عمرهـــا ١٢ سنة . وكانت من بين شهود تلك المذبحة التي استشهد فيها والـــدها الإمـــام الحسين ،وسيقت ضمن موكب الأسرى والسبايا مع أمها الرباب وعمتها الســـيدة زينب .. إلى الكوفة .. ثم إلى دمشق حيث مقر خلافة الطاغية يزيد بن معاوية.

ويقول لرواة أنه لما نقل الأسرى والسبايا من أهل بيت الإمام الحسين ، إلى دمشق عاصمة الخلافة حينذاك .. عقد يزيد بن معاوية مجسا مـــن أشـــراف الشام .. وأدخل عليهم الأسرى والسبايا .. فقام أحد الرجال وطلب من يزيد بـــن معاوية أن يهب له " سكينة " فاستجارت الصبية بعمتها السيدة زينب ..وأمســـكت بثيابها فنظرت السيدة زينب إلى الرجل الذي طمع في ابنة أخيها، وقالت له فـــي جرأة وعزيمة : كذبت ولؤمت .. ما ذلك لك ولا له .

فغضب يزيد وقال : لو شئت لفعلت ، فـــردت الســـيدة زينـــب كـــلا . ما جعل الله لك ذلك . إلا أن تخرج من ملتنا .. وتدين بغير ديننا . فقال يزيد : أبهذا تستقبلينني؟

فردت السيدة زينب : بدين الله ودين أمي وأبي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدك .. أنت أمير تظلم وتقهر بسلطانك .. أنسيت قول الله تعالى: { ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم .. إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين }.

ويأول الرجل الطامع في سكينة مرة ثانية..أن يأخذها.. ويلح على يزيد بن معاوية في ذلك ويقول له :

يا أمير المؤمنين. هب لي هذه الجارية .. فيرد يزيد في حنق، وقد أدركته بقية من خجل بعد كل ما سمع من السيدة زينب ، ويقول له : أغرب .. وهب الله لك حتفا قاضياً.

وعادت السيدة سكينة .. بعد ذلك إلى المدينة مع أمها الرباب وعمتها السيدة زينب وشقيقها على زين العابدين وبقية أهل السحين.

وفي المدينة عاشت السيدة سكينة مع أمها الرباب .. وكانت أمها وفية للأمام الحسين ، ورفضت كل الذين تقدموا لها من أشراف قريش للزواج بها .. وقالت : ما كنت لأتخذ زوجاً بعد الحسين. وكان موتها حزناً وقهراً عليه.

وكانت الرباب شاعرة .. وقيل أنها رثت زوجها الإمام الحسين عند استشهاده ،وكان من بين ما قالته في رثائه:

إن الذي كان نورًا يستضاء به بكربلاء قتيل غير مدفون سبط النبي جزاك الله صالحه عنا وجنبت خسران الموازين قد كنت لي جبلاً صعبًا ألوذ به وكنت تحبننا بالرحم والدين من لليتامى ومن للسائلين ومن يغني ويأوي إليه كل مسكين والله لا أبتغي صهراً بصهركم حتى أغيب بين الرمل والطين .

وبعد وفاة أمها الرباب، عاشت السيدة سكينة مع أخيها علي زين العابدين ، الوحيد الذي نجا من مذبحة كربلاء .. وقد أراد الله بنجاته أن يحفظ نسل الإمام الحسين على الأرض.

كانت السيدة سكينة قد بلغت الخامسة عشرة عندما انتقلت لتعيش في كنف شقيقها علي زين العابدين .

وقيل أنها ظلت سبع سنوات بعد مذبحة كربلاء رافضة للزواج . ثم تزوجت وهي في العشرين من عمرها.. من مصعب بن الزبير بن العوام.

لكن مصعب بن الزبير لم يكن أول من ارتبط بها.

فعندما كان عمرها ١٢ سنة . تمت خطبتها إلى أبن عمها عبد الله ابن الحسن.. إلا أنه استشهد ..قبل الدخول بها . في مذبحة كربلاء . ولم يكن قد بلغ السابعة عشرة.

كان زواج السيدة سكينة من مصعب بن الزبير سنة ٦٧ من الهجرة ، وكل الرواة الذين تحدثوا عن هذا الزواج . وصفوا السيدة سكينة بأنها كانت من أجمل نساء عصرها. وكان مضرب المثل في العفة والتقوى والإيمان..ووصفوا زوجها مصعب بأنه كان شابا يجمع بين الشجاعة والكمال ..والرشاقة والجمال .. مع اتصاف بالمروءة وعزة النفس.

وروى بعضهم أن " جميل " الشاعر الذي أحب " بثينة " رأى مصعب بن الزبير يوما في عرفات فبهره جماله ، وقال : إن هنا شابا أكره أن تراه بثينة! .. فكان يخشى أن تتحول عنه إلى مصعب لجماله ورشاقته وشجاعته.

وكان مصعب قد تولى إمارة البصرة والعراق من قبل أخيه عبد الله بن الزبير . فعادت معه السيدة سكينة إلى العراق .

وبعد أن رزق مصعب بابنته فاطمة من زوجته السيدة سكينة . استشـــهد سنة ٧٢ من الهجرة في موقعة بالعراق كانت بين جيشه وجــيش عبــد الله بــن مروان القادم من الشام .

وقيل أنه حين جاءت لحظة خروجه للحرب . ثقل على الســيدة ســكينة وداعه . وألم بها دوار ،فأمسك بها مصعب يشجعها .. وقال :

ما ترك أبوك يا سكينة لابن حرة عذراً.

فقالت:

واحزناه عليك يا مصعب .

وكانت المرة الأولى التي تصرح فيها بحبها لزوجها .

فالتفت إليها وقال :

أكان كل هذا لي عندك ؟

فقالت: وما خفي أكثر.

فقال وقد أزفت لحظة الرحيل :

لو كنت أعلم .. لكان لي ولك يا سكينة شأن آخر .

وقيل أن مصعب قتل غدراً.

وعقب استشهاده جاء إلى السيدة سكينة وفد من أهل الكوفة لتعزيتهــا . فلما انتهوا مما أرادوا أن يقولوه ، قالت لهم في حزن وهــدوء : الله يعلــم أنــي أبغضكم.. فأنتم يتمتموني صغيرة ثم أملتموني كبيرة .

ثم انصرفت عنهم وخرجت من الكوفة إلى المدينة.

كانت السيدة سكينة في الثالثة والعشرين من عمرها . عنــدما استشــهد زوجها مصعب..وقيل أنها ظلت بالمدينة ..ولازمت طاعة الله بصيام النهار وقيام الليل . وإن مجلسها كان مجلس علم وفقه وثقافة نبوية حتى لقيت ربها عام ١١٧

في اليوم الخامس من شهر ربيع الأول سنة ١١٧ من الهجرة ، وهي في السبعين من عمرها.

وقد تعرضت السيدة سكينة لكثير من الافتراءات ..وصـــورتها بعـض الكتب في صورة المفتونة بالدنيا.ووصفوها بأوصاف غير تلك التي نعرفها عــن سيدات النبوة.. فهي " الغادة الهاشمية" و" الحسناء القرشية " وصـــاحبة " الطـــرة السكينية " أي صاحبة تسريحة الشعر المميزة أي " القصة " التي كانت تقلدها كل الفتيات .وكانت لها أساليبها في التأنق أيضًا.. بل وكان مجلسها مجلس طـــرب وغناء !

وكل تلك الافتراءات التي لا أساس لها جاءت في قالب تمجيد ومباهاة .

وبعض الذين تصدوا لتلك الافتراءات .. قالوا أنها تخص سكينة أخرى ، غير سكينة بنت الحسين.

وقيل أنها كانت أول من أقامت ندوات نسائية في المدينة المنـــورة . وأن ندوتها امتازت بالأدب والعلم الغزير ..وأن الشعراء اجتمعوا ببابهـــا ينشـــدونها أشعارهم..وأن الفرزدق وجرير وجميل وكثيرين غيرهم . اجتمعوا فـــي موســـم للحج واتفقوا على الذهاب إلى السيدة سكينة يحتكمون إليها من يكون أشـــعره .. فأخذ كل منهم ينشدها شعره من وراء حجاب . حتى إذا جاء دور جميل وأنشد :

لكل حديث بينهن بشاشة
وكل قتيل بينهن شهيد
يقولون جاهد يا جميل بغزوة
وأي جهاد غيرهن أريد
وأفضل أيامي وأفضل مشهدي
إذا هيج بي يوما وهن قعود

فقالت له السيدة سكينة : أنت الذي جعلت قتيلنا شهيداً.. وحديثنا بشاشة .. وأفضل أيامك يوم تذب عنا وتدافع ،ولم تتعد ذلك إلى قبيح .. خذ هذه الألف درهم ، وأبسط لنا العذر وأنت أشعرهم.

وجاء في بعض الكتب أنه أجتمع في دارها ذات يوم خمسة من فحول الشعراء وهم . جرير والفرزدق وأبو فراس وكثير عزة وجميل بثينة..وعرض كل منهم شعره ليها. فعلقت على شعر كل منهم بما اقتنع به صاحبه..وقدمت لكل منهم ألف دينار ، إلا جميل فقدمت له ثلاثة آلاف دينار !

أي أنها أنفقت في يوم واحد على هؤلاء الشعراء سبعة آلاف دينار !

وقال الذين تصدوا لهذه الحكايات.. أن المعروف عن أهل البيت النبوي الكريم .أنهم زهدوا الدنيا وزخرفها ، وأن قوتهم كان كفافا. وعلى قدر حاجتهم ، فكيف كان لها تلك الألوف من الدنانير التي قدمتها في يوم واحد لهؤلاء الشعراء .

ووصف كتاب الدر المنثور في طبقات ربات الخدور .. السيدة سكينة بأنها كانت سيدة نساء عصرها .. ومن أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقاً. ولها نوادر وحكايات ظريفة مع الشعراء .

*******

## • الرد على الافتراءات :

وتناقش الدكتورة بنت الشاطئ – في " موسوعة آل البيت " – ما ورد في سيرة السيدة سكينة من أنها كانت مزاحة تجالس الشعراء ولامغنين.. فتقول : إن كثيراً من الروايات التي تظهرها في مظهر التبذل مختلقة مفتعلة .. فقد كانت السيدة سكينة في شغل عن ذلك بمصرع والدها وأخوتها وذويها في كربلاء ...وكانت قد شهدت هذه الموقعة للرهيبة . هذا ولا يخفي أن الأمويين دعوا إلى التنقيص من أهل البيت وذرية على والحسين خاصة ، حتى يغضوا من منزلتهم في نفوس الناس . فلا يبعد أن يكون ما نسب إليها من حديث لقائها مع عمر بن أبي ربيعة والمغنين المشهورين في ذلك الوقت مشكوكاً فيه .

وينقض ذلك الروايات الغريبة أيضًا ما ورد على لسان والدها الإمام الحسين.

فين جاءه الحسن المثنى – ابن أخيه للحسن – لخطبتهْ .. قال له عمه : إن سكينة مستغرقة في الله .. تصوم النهار .. وتقوم اتليل .. فهي لا تصلح لرجل.. وزوجه أختها السيدة فاطمة النبوية .

وكانت السيدة سكينة تعتز بنسبها ..وقيل أنها حضرت مأتماً، وكانت هناك بنت عثمان بن عفان . فأخذت بنت عثمان تفاخر بنفسها..وقات : أنا بنت الشهيد . فأنكر الحاضرون أن تفخر بأبيها على مسمع من بنت سيد الشهداء ~.وسكتت السيدة سكنية ولم تعلق .. وعندما أذن المؤذن من مسجد الرسول للصلاة. قال : أشهد أن محمد رسول الله . ألتفتت سكينة إلى بنت عثمان وسألتها . هذا أبي أم أبوك ؟ .. فأجابت بنت عثمان : لا أفخر عليك أبداً.

ويروي كتاب الأغاني للأصفهاني عن صبر السيدة سكينة وقدرتها على الاحتمال .. فيقول : أنها طلعت لها " سلعة " في أسفل عينها . وكبرت حتى أخذت وجهها وعينها وعظم ما بها .. وكان " دارفيس " العالم بالطب في خدمتها .. فقالت له : ألا ترى ما وقعت فيه ؟ فقال لها : أتصبرين على ما يمسك من الألم حتى أعالجك ؟

فقالت :نعم .. فأضجعها وشق جلد وجهها أجمع .. وسلخ اللحم من تحتها . حتى ظهرت عروقها .. وكان منها شيء تحت الحدقة فرفع الحدقة عنها حتى جعلها ناحيته . ثم سل عروق السلعة من تحتها . وأخرجها ..ورد العين إلى موضعها .وسكينة مضطجعة لا تتحرك . ولا تئن حتى فرغ مما أراد .. وزال عنها ، وبرئت منها .وبقى أثر الحزازة في مؤخر عيها . فكان أحسن شيء في وجها ، مَن كل حلي وزينة .ولم يؤثر ذلك في نظرها ولا عينيها.

وفي سنة ١١٧ من الهجرة .. وفي صباح يوم شديد الحرارة . توفيت السيدة سكينة ... وقيل أن أمير المدينة الأموي خالد بن عبد الملك . أمر أن يؤخروا الصلاة عليها حتى يحضر . فجلس الناس حولها حتى صلاة العشاء ،ولم يحضر .. فأوقدوا حلوها أعواداً من المسك بلغت أربعمائة دينار ..وصلوا عليها جماعات جماعات ..وفي صباح اليوم التالي دفنوها.

وتختلف الأقوال في مكان دفنها ..وجاء في طبقات الشعراني أنها بمصر ..وأن قبرها بالمراغة بالقرب من مدفن السيدة نفسية .

لكن أرجح الأقوال هي أنها توفيت بالمدينة المنورة ..ودفنت بالبقيع – وهي جبانة جدها المصطفى ﷺ .

أما عن قدومها إلى مصر ..فهو ستند إلى ما قاله بعض المحققين ومنهم النسابة العبيدي. من أن السيدة سكينة قد صحبت عمتها السيدة زينب في

خروجها من المدينة إلى مصر . حين أدرك الخليفة يزيد بن معاوية خطر وجودها بالمدينة.

وتعلق الدكتورة بنت الشاطئ على ذلك فتقول : وإذا صحت هذه الرواية ، فلعل السيدة سكينة قد عادت إلى الحجاز بعد وفاة عمتها زينب سنة ٦٢ هجرية ، وعلى أية حال فقد ظهر في العصور الوسطى وخاصة في أوقات المحن والحروب التي لا تجد فيها الشعوب من تلوذ به غير الواحد القهار .. أن يتلمسوا أضرحة آل البيت والأولياء لزيرة والبركة والدعاء ،ليكشف عنهم السوء ويرفع البلاء .ومن هنا ظهر ما يعرف باسم " أضرحة الرؤيا " . فإذا رأى ولي من أولياء الله الصالحين في منامه رؤيا مؤداها أن يقيم مسجدا وضريحاً لأحد آل البيت بنى الضريح والمسجد باسمه .

ومسجد السيدة سكينة الذي يضم ضريحها ، كان في مبدأ أمره زاوية صغيرة تضم قبرين لإمامين عظيمين هما : الأمام زين الدين إبراهيم بن نجيم المصري ، مؤلف كتاب " الأشباه والنظائر " وكتاب " البحر الرائق في شرح كنز الدقائق " والمتوفى سنة ٩٧٠ هجرية . وابن عمه الإمام سراج الدين بن عمر بن نجيم مؤلف كتاب " النهر الرائق في شرح متن كنز الدقائق " والمتوفى سنة ١٠٠٥ هجرية ..وتعد تلك الكتب من أهم المراجع المعتمدة في مذهب الإمام أبي حنيفة .

ومكان هذه الزاوية وهذين القبرين أُدخل ضمن المسجد الحالي الذي أنشأه المير عبد الرحمن كتخدا سنة ١٧٤ هجرية ليكون ضريحاً للسيدة سكينة رضي الله عنها .

*******

# رحلة رأس الحسين رضي الله عنه

تزينت مصر وتجملت وتجمع أهلها واصطف القاصي والداني والصغير قبل الكبير ورفرفت الأعلام وأضيئت المصابيح انتظارا وشوقًا لحضور رأس سيدنا الحسين إليها وكان ذلك مع منتصف العام الثامن والأربعين بعد المائة الخامسة من الهجرة وبينما كانت مداهمات الحملات الصليبية تشتد علي الأراضي الشامية وسقوط الكثير منها تحت وطأة الخيانات الخسيسة لبعض حكام الولايات الإسلامية..وترامت إلى الأسماع أن الصليبيين لا يحملون في صدورهم أي تقدير للمقدسات الإسلامية بل إنها أصبحت محل انتهاك وتخريب علي يد جنود جاءوا إلى الشرق طمعا في كنوزه ولياليه الزاخرة بالنساء "البيض الحسان" مما أوجس القلق والخوف داخل نفس الوزير الفاطمي ابن طلائع الذي لقب بالصالح طلائع متحكما في أمر الحكم المصري بعدما استطاع الحفاظ علي جدران الدولة الفاطمية بعد مقتل الخليفة الظافر حيث كثرت الفتن وتهدد القصر الفاطمي فبعث له نسوة القصر يستنقذن به في الأخذ بثأر الظافر فسار طلائع يريد القاهرة لمحاربة الوزير نصر بن عباس قاتل الظافر والذي فر من أمامه ليدخل طلائع القاهرة ويتسلم الوزارة ونعت منذ ذلك الحين بالملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين . واستبد بالأمر لصغر سن الخليفة الفائز ومنذ ذلك الأمر أصبح الوزير ابن طلائع ذا كلمة نافذة في حكم الشئون الفاطمية ولأنه كان عالما ومؤلفا وشاعرًا وقارئاً للتاريخ وقبل كل ذلك شيعيا من أخمص الرأس حتى القدمين فقد أرقه انتهاك حرمة قبر رأس حفيد رسول الله الحسين بن علي بن أبي طالب بعسقلان والذي كانت استقرت به بعد قرابة نصف القرن من موقعة كربلاء الحزينة عام ٦١ هجريًا عن عمر يناهز السابعة والخمسين حيث طاف قتلة الحسين برأسه الشريف علي أسنة الرماح بعدما اجتزها شمر بن ذي

الجوشن وذهب بها إلى يزيد بن معاوية في الشام لينال مكافأته بولاية احدي المدن الإسلامية فأمعن يزيد في فعلته الشنعاء وعلق الرأس علي أبواب منازل المشتركين في المعركة بدمشق ليزيد الناس إرهابا .. وقد وجد الرأس بخزائن السلام بدمشق بعد وفاته وذلك بعد الطوفان بها المدن الإسلامية لتستقر كما ذكر المؤرخون بعسقلان حيث دفن هناك في تلك المدينة الساحلية بفلسطين وحتى يكون بعيداً كل البعد عن نصرة الحسين وأتباعه فاستقرت هناك قرابة الخمسة قرون حتى اشتد وطيس الحملات الصليبية علي فلسطين فخاف الصالح طلائع وكان شيعيًا شديد التشيع مثلما كان مشهورا عن بيت الخلافة الفاطمية بمصر فأوعز النصح للخليفة الفائز وأجزل في نصحه له بالتفاوض مع بلدوين الثالث قائد الحملة الصليبية علي عسقلان بدفع مبلغ مالي كبير مقابل الحصول علي الرأس الشريف وإعادة دفنه بمصر خاصة وأن ابن طلائع كان علي علم بالأوضاع المالية السيئة للحملة وشدة احتياجها للمال لتدبير المؤن لهم.

أهل مصر يحتفلون بمولده يوم دفنه بمصر وليس لتاريخ ميلاده .

انفراد: بنشر صورة تابوت رأس الحسين في العهد الفاطمي .

المصريون يخلعون أحذيتهم لاستقبال الرأس بالصالحية .

جامع الحسين كان قصر الحكم الفاطمي ولم يكن مسجداً .

وبعد عدة جولات مكوكية من المفاوضات استخدم فيها ابن طلائع كل حيل الترغيب والحجج والأسانيد اتفق ابن طلائع علي أن يدفع الفاطميون ثلاثين ألف قطعة ذهب ( دينار) مقابل الرأس الشريف وبالفعل تمت الصفقة بين الطرفين وذهب الأمير الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الدين الجمالي فوقف علي القبر حتى استقر عند الرأس الشريف فحمله علي صدره من عسقلان في يوم الأحد الثامن من جمادي الآخرة لتصل يوم الثلاثاء العاشر من نفس الشهر الموافق العام ٥٤٨ الموافق يوم ٣١ أغسطس عام١١٥٣ ميلاديًا وقد سار بها في موكب مهيب تقشعر له الأبدان وتخلج له جنبات الصدور وتنتشي بعزته كل

فخور فرحا بنقل الرأس الشريف إلى مصر المحروسة التي كانت وستظل إلى أبد الآبدين كنانة آل بيت رسول الله في الأرض وقيل أيضًا إن الذي وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها.. وفي اليوم المشهود خرج السلطان الفائز بصحبة الصالح طلائع لاستقبال الرأس الشريف عند مدخل مدينة الصالحية وقد اتخذت مصر زينتها وتهيأت وتعطرت وارتدت ثوب الفرحة واكتست بوشاح السرور وعلي كل باب أضيئت المصابيح استقبالا لشرف الرأس الحسيني وابتهاجا بتشريفه الديار المصرية .. وإجلالا لشرف الاستقبال قام المصريون بخلع نعالهم حتى لم يكن بينهم من هو مرتديا نعله وذلك زيادة في إجلال وتقديس الرأس الشريف وهو ما عرف عن الشيعة في معاملاتهم مع أهل البيت وعند الصالحية استقبلها القوم بكل ما تعرفه البشرية من مباهج الفرحة والمحبة السمو الروحاني الذي كان مسيطرا علي أهل مصر في ذلك الوقت انتظارا لوصول الرأس إليها .. وعلى الفور جرت مراسم التسليم الشريفة عند حدود الصالحية ليحملها الموكب السلطاني وتوضع في كيس من الحرير الأخضر وتحمل على كرسي من الأبانوس وتسير ويسير خلفها كل من فيه الروح بأرض مصر فرحين مهللين مكبرين من الصالحية وحتى بوابة مسجد طلائع الذي كان تحت الإنشاء حيث تم بناؤه خصيصا ليدفن به رأس الحسين .. ولم يكن الرأس يمر بقرية أو مدينة حتى يلقي لها الأهالي والأحباب بالورود والعطور والرياحين فكان الرأس يرد عليهم نفحات الطيب والعطر الذي انتشر بأرجاء المحروسة من روائح آل بيت النبوة ، وكأن كل مراقد آل البيت في كل قري ونجوع مصر قد هبوا من مراقدهم ليكونوا في شرف استقبال سيد شهداء أهل الجنة الحسين بن علي الحاصل علي جراءة جده نبي الله عليه وعلي آل بيته أجمل تحية وأشرف تسليم وأتم صلاة إلى يوم الدين وأقرب آل بيت النبي شبها لجده المصطفى .

## المراسم الجنائزية للدفن بمصر

وسادت احتفالات المصريين بقدوم الرأس أياما وليالي حتى استقرت بمسجد طلائع في كيسه الحريري الأخضر الذي بناه لينال شرف افتخار دفن الرأس الشريف به وهو أحد ثلاثة مساجد معلقة بمصر ولعل الناظر إلى المسجد يشعر وكأنه قد بني علي استعجال حتى يحوي ثراه الرأس مما يؤكد أن المصريين لم يكن لهم تخطيط مسبق في الحصول علي رأس الحسين ولكن الحملات الصليبية هي التي جعلت من الحصول علي الرأس حتمية لابد منها فأمر ابن طلائع ببناء المسجد خارج القاهرة وفي الجهة الشرقية المقابلة لباب زويلة وكأن المسجد قد بني ليرقد به الرأس ناظر علي بوابة القاهرة القديمة .. وأخيرا تدخل من بوابة المسجد إلى ساحته فتوضع على لوح من خشب معطرة بالمسك وأطيب العطور الزكي ومازالت تلك الخشبة موجودة أعلي واجهة المسجد من الداخل وكأن ابن طلائع وضعها كدرة تاج للمسجد ويعرفها جيدا أهالي الدرب الأحمر بالقاهرة الفاطمية وهم يعرفونها بمغسلة سيدنا الحسين وموجودة بهذا المسجد ويؤيد هذه الرواية ما كشفت عنه الحفائر التي أجريت عام ١٩٤٥ من وجود مبان بجوار الجهة الشرقية للواجهة البحرية لجامع الصالح طلائع عليها كتابات أثرية منها ( ادخلوها بسلام آمنين ) ومثل هذه العبارة تكتب عادة علي مداخل المدافن ولذلك فإنه من المرجح أن تكون هذه الآية من بقايا المشهد الذي بناه الصالح طلائع مجاوراً لمسجده لكي يدفن فيه رأس الأمام الحسيني كما ذكره ابن دقاق .

ولكن بيت الحكم الفاطمي بمصر لم يرض بأن يدفن الرأس الحسيني بعيدا عن مقر الحكم فدب الخلاف بين الصالح طلائع والخليفة الفائز علي شرف دفن الرأس بالقرب منه حتى استقر الأمر بينهما بأن يغسل الرأس في مسجد طلائع ويدفن في قصر الزمرد .. وهنا نتساءل كيف يغسل رأس الحسين وهو شهيد وأيضًا قد مر علي دفنه بعسقلان قرابة الخمسمائة سنة ؟ فكانت الإجابة

لدي المؤرخين أن حاكم عسقلان ورسل الخليفة الفاطمي حينما حفروا لاستخراج الرأس من مرقدها وجدوا دماءها لم تجف وكذلك قد تعفرت من التراب المهال فوقها فكان الغسل لها ليس تغسيلا بمعناه المفهوم لدي العامة ولكنه تنظيفا وتعطيرا وتضميدا لجرح مازال ينزف بقلب كل مسلم محب لآل بيت رسول الله .وبعد الاتفاق بين طرفي الحكم بمصر تم حفر نفق يقول المؤرخون إنه مازال موجودا بدايته أسفل باب زويلة ونهايته بمحل دفن رأس الحسين رضي الله عنه بقصر الزمرد أسفل قبة الديلم أسفل دهليز باب الخدمة بقصر الزمرد عند الباب الأخضر والمعروف حاليًا بالمئذنة القديمة لمسجد الحسين وذلك لإتمام إجراءات نقل الرأس بعد مكوثه بمسجد طلائع وحتى لا يعاد مشهد النقل ثانية بين العامة من الناس حيث تم وضع رأس سيدنا الحسين في الكيس الحريري ووضع علي كرسي من الأبانوس وقيل من خشب الساج صنع له خصيصا و عليه طست من الذهب وكان ذلك عام ٥٤٩ هجريا ليصبح ذلك اليوم احتفالا لدي شعب مصر معروفا عند الجميع بمولد سيدنا الحسين وهنا نكتشف أن ميعاد مولد الحسين لم يكن يوم مولده وإنما يوم دفنه تحت قبة الديلم في مصر وإنما ولد الحسين عليه السلام في الخامس من شهر شعبان في السنة الرابعة من الهجرة النبوية الشريف .وبفعل التاريخ تحول مقر الحكم الفاطمي من قصر الزمرد إلى مسجد سيدنا الحسين ليكون مقصدا للمسلمين من شتي بقاع الأرض .. ولقد دخلنا من الباب الأخضر نسبة إلى الحرير الأخضر الذي يكسو الرأس الشريف ولاحظنا بأسفل المئذنة بشباك من الطوب المسدود وكأنه كان علي شكل طاقة رؤيا من تلك التي كانت معروفة قديما في العمارة الإسلامية. وتم سد الطاقة بعد التجديدات والتوسعات الأخيرة للمسجد عام ١٩٦٥ حيث كان الشباك يطل مباشرة علي سرداب الدفن الذي يحوي الرأس الشريف في حجرة يتوسطها الطست الذهبي. واعتلي المرقد تابوت خشبي (مقصورة خشبية )من أجود أنواع الأخشاب الهندية ومحفوظة الآن في متحف الفن الإسلامي تحت رقم

( ١٥٠٢٥) و الذي عثر عليه ملاصقا لجدار الغرفة التي تحت أرض القبة الحالية لهذا المشهد بالقاهرة وصاحب الفضل في العثور عليه المرحوم حسن عبد الوهاب. كما ورد في عبد العزيز مرزوق، الفن الإسلامي في العصر الأيوبي، ص ٢٥.

## الأدلة التاريخية على وجود الرأس بمصر

وبعد رحلتنا مع الرأس الشريف من عسقلان وحتى مدفنها بقصر الزمرد سوف يتساءل الكثيرون والمعرضون والمتشككون في رحلتنا مع الرأس انتهاجا لبعض الأقاويل المكذبة لحقيقة وجود رأس الحسين بمصر وإذا كان البعض يقولون بأن الشيعة قد اخذوا الرأس ودفنوها مع الجسد في كربلاء فنحن نقول لهم إن الأولي لهم أن يأخذوه يدفن تحت ولايتهم وأمام أعينهم وفي مقر حكمهم بمصر وليس من الفطنة أن الذهاب به إلى العراق مقر الحكم العباسي ومعروف ما بين الفاطميين والعباسيين من خلافات وحروب وأيضًا لدرء الشبهات فسوف نعرض في السطور القادمة خلاصة البحث الذي قام به الباحثان عادل سعد زغلول والمستشار رجب عبد السميع في كتابهما (تصحيح مفاهيم خاطئة في طريق النصرة الواجبة ..تحقيق وإثبات مراقد مشاهير آل البيت في مصر) الذي أشرف علي إعداده دكتور السعيد محمد إمام مسجد سيدنا الحسين .. وللحقيقة فإن بحثهما الذي جمعا ودققا فيه كل ما ورد عن إنكار أو إثبات وجود الرأس بمصر وكذلك ردهم على الإنكار بمباحث دقيقة تنفي المزاعم الكاذبة لنكران دفن الرأس بمصر المحروسة .. قد استطاعا فيه رفع اللثام عن الكثير من التساؤلات التي كانت تدور برءوس الكثير من المصريين وفي البداية يسأل الباحثان سؤالا هاما..

**لماذا دفن الرأس في عسقلان؟ وما السبب في اختيار مدينة عسقلان بالذات لكي تكون مقراً للرأس؟**

ونجد الشيخ محمد زكي إبراهيم يذكر ثلاثة احتمالات هي:

(١) البحث عن مدينة تكون بعيدة كل البعد عن الشيعة وليست مركزاً لهم.

(٢) اختيار مدينة قريبة من بيت المقدس.

(٣) اختيار مدينة قريبة من الساحل حيث يمكن نقلها في يسر إلى شمال إفريقيا وبلاد المغرب حيث اتجه عدد عظيم من الشيعة. وأيدت الرأي الأخير د. سعاد ماهر ونري أن الصحيح هو الرأي الأول حيث إن مدينة عسقلان مدينة بعيدة عن ساحل البحر تبعد عن مركز الشيعة والعلويين وهم المقصودين من إخفاء الرأس عنهم لما سبق بيانه.

كما أن الدولة العباسية ابتعدت عن البحر واتجهت نحو المشرق الذي هو سر نجاحها واتخذت بغداد عاصمة بدلاً من دمشق وعليه تم إخفاء الرأس في مكان بعيد (عسقلان) عن مقر الخلافة ببغداد حتى إذا ما ظفر العلويون أو الشيعة بالرأس وقاموا بثورات مضادة للعباسيين استطاع الخليفة العباسي القضاء عليها بسهولة وكان ذلك بعيداً جداً عن مقر الخلافة.

أما ما ذكره ابن تيمية من أن الغرض هو تعفية القبر فهو صحيح ولكنه لم يصب الحقيقة إذ قال إن المرابطين يظهرونه وعليه يعرف القبر.

فذلك مردود عليه بأنه لم يعلم أن يذكر بوجود مرابطين في هذا الثغر في هذا الوقت وذلك نظراً لما رأوه من قيام الجيش العباسي بالتنكيل لبني أمية المرابطين في مدينة الرملة كما سبق بيانه وعليه فقد فروا من ثغر عسقلان خشية ذلك وترك الثغر خاوياً مما يستبعد معه قول ابن تيمية بأنه كان فيه مرابطون لو أخفي الرأس لأظهروه كما أنه غاب عن ابن تيمية أن الإخفاء والتعفية للرأس تم في بداية العصر العباسي الأول سنة ١٣٢ هـ/٧٥٠ م ونهاية وانهيار الدولة الأموية وليس في عهد يزيد بن معاوية كما زعم ٦٠ هـ/٦٨٠ م.

وقد غاب عنه أيضًا أن الفترة الزمنية بين مقتله عام ٦١ ه وقيام سليمان بن عبد الملك بدفن الرأس قرب باب الفراديس عام ٩٦ ه حوالي خمسة وثلاثين

عاماً ومن ٩٦ هـ حتى ١٣٢ ه نجد أن هناك ستة وثلاثين عاماً وبالتالي يكون هناك فترة زمنية قدرها ٧١ عاماً سقطت من حسابات ابن تيمية ونسيها تماماً.

كما أنه أهمل جانب خشية العباسيين من العلويين وشيعتهم ومحاولة طمس أسباب قوتهم وتوحدهم حول ثأر الحسين. أما ما ذكره من أنه لو فرض جدلاً أن الهدف التبرك فقد كفانا هم الرد في ذلك لأنه أقر بأن ذلك لا يجوز بل يستحيل أن يحدث من قاتلي الحسين.و مما يثبت وجود الرأس الشريف، أن الأيوبيين الذين انهوا الحكم الفاطمي الشيعي بمصر، حيث قام صلاح الدين بإجراءات مكثفة لمحو أثر كل ما هو فاطمي بمصر مثل:

محو آثار الدولة الفاطمية بإنشاء المدارس السنية في مصر.

عين القضاة علي المذهب الشافعي بعد أن عزل القضاة علي المذهب الشيعي.

دعا للخليفة العباسي على المنابر سنة ٥٦٧ ه وأرسل رسله لمكة لتأييد الدعاء للعباسيين.

حرق الأوراق الخاصة والوثائق الهامة والسرية للدولة الفاطمية فيما عدا الوثائق التي خبأها الفاطميون في المسجد الذي أنشأه في دير سانت كاترين وهي التي وصلت إلينا وذلك لمحو التاريخ الفاطمي .

سيطر علي الحجاز بما فيها الحرمين واهتم بهما لما لهم من أهمية روحية ودينية في العالم الإسلامي وأعلن ولاءهم للدولة العباسية.

١٢٤٨ م حصل حريق بالمشهد، فلم يلبث أن أصلح. ولذلك لما زاره الرحالة ابن بطوطة، الذي زار مصر حوالي سنة ٧٢٧ ه - ١٣٢٧ م وصفه بقوله. "ومن المزارات الشريفة المشهد المقدس العظيم الشأن حيث رأس الحسين بن علي عليهما السلام. وعليه رباط ضخم عجيب البناء علي خشب أبوابه حلق الفضة وصفائحها وهو موفي الحق من الإجلال والتعظيم".ويقول ابن كثير (البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٠٤) في وجود الرأس بالقاهرة: (وادعت الطائفة

المسمون بالفاطميين الذين ملكوا الديار المصرية قبل سنة أربعمائة إلى ما بعد سنة ستين وستمائة، أن رأس الحسين وصل إلى الديار المصرية ودفنوه بها وبنوا عليه المشهد المشهور به بمصر، والذي يقال له تاج الحسين بعد سنة خمسمائة) ويضيف ابن كثير فيقول: (وقد نص غير واحد من أهل العلم علي أنه لا أصل لذلك، وإنما أرادوا أن يروجوا بذلك بطلان ما أدعوه من النسب الشريف، وهم في ذلك كذبة خونة، وقد نص علي ذلك القاضي الباقلاني وغير واحد من أئمة العلماء في دولتهم في حدود سنة أربعمائة). وهذا النص مردود عليه بأنه من المعروف أن الدولة الفاطمية كانت من سنة ٣٥٨ حتى ٥٦٧ هـ وليس ٦٦٠ ه كما ذكر ابن كثير كما أنه في حدود سنة أربعمائة لم يكن الرأس قد نقل إلى مصر: هذا وعدم الدقة في التواريخ التي وردت في هذه الرواية يقلل كثيراً من قيمتها أن الفاطميين لم يكونوا بحاجة إلى أن يروجوا صحة إثبات هذا المشهد ليوهموا الناس بصحة نسبهم. حيث لا علاقة بإقامة المشهد بعسقلان أو نقله لمصر والنسب سالف الذكر فسواء أكان النسب صحيحاً أو مكذوباً فلم يكن هناك أية حاجة في وقت النقل إلى ذلك حيث لو كان الرأس موجوداً في مكان آخر غير عسقلان سواء في الشام أو خارجها لما عز علي خلفاء الفاطميين الوصول إليه، وهم كما نعلم من الشيعة الإسماعيلية، وقوتهم الدينية تعتمد في أكثر ما تعتمد علي نسبهم لفاطمة الزهراء، أما قوتهم السياسية فقد فاقت قوة الدولة العباسية، إذ امتدت الدولة الفاطمية من مصر وبلاد الشام والحجاز واليمن شرقاً إلى شمال أفريقيا وبلاد المغرب غرباً. بل إنه حدث في عهد الخليفة المستنصر أن نادي البساسيري أحد أعوانهم من الشيعة بسقوط الدولة العباسية في بغداد والبصرة وواسط وجميع الأعمال وذكر اسم الخليفة المستنصر الفاطمي علي منابرها في خطبة الجمعة، وفي هذا أكبر شاهد على تلك القوة .

**لماذا لم يهدم الصليبيون قبر الحسين بعسقلان وقبلوا الفدية؟**

حيث من المعلوم أن الصليبيين قاموا بنبش قبور الصالحين نكاية في المسلمين وأن المقريزي ذكر في اتعاظ الحنفا أنهم هدموا مشهد الخليل إبراهيم في بيت المقدس، ويروي ابن العديم في زبدة الحلب، ج ٢، ص ٢٢٤]: (أن الصليبيين أتوا في تلك الغزوة مساوئ كثيرة فنبشوا قبور موتي المسلمين وأخذوا توابيتهم إلى الخيم وجعلوها أوعية لطعامهم، وسلبوا الأكفان، وعمدوا إلى من كان من الموتى لم تنقطع أوصاله فربطوا في أرجلهم الحبال وسحبوهم مقابل المسلمين، وجعلوا يقولون: هذا نبيكم محمد وآخر يقول: هذا عليكم. وأخذوا مصحفاً من المشاهد بظاهر حلب وقالوا يا مسلم أبصر كتابكم ... وثقبه الفرنجي بيده .

وهنا بعد عرض هذا النص يثور تساؤل هام هو لماذا لم يهدم الصليبيون قبر الحسين .. حين استولوا علي عسقلان؟ وللإجابة عن ذلك لابد أن نوضح نقاطاً معينة يعرف منها سبب ذلك وهي أنه:

أن التبادل التجاري بين المسلمين والصليبيين رغم ما بينهم من حروب كان قائماً بشكل ظاهر جلي. وفي ذلك يقول ابن جبير في (رحلته ص ٢٨٨) أن: (ومن أغرب ما يحدث في الدنيا أن قوافل المسلمين تخرج إلى بلاد الفرنج وسبيهم يدخل إلى بلاد المسلمين). وكذلك ابن جبير في رحلته

أن الجيش الصليبي حينما استولي علي عسقلان (في عهد بلدوين الثالث) كان يعاني من نقص في الإمدادات والنفقات اللازمة واحتياج الأموال لدرجة أن بلدوين الثالث لكي ينفق علي جيشه تعرض للاستدانة علي نطاق أدي إلى الحد من حريته في المناورة السياسية، خاصة حروبه مع نور الدين محمود حول دمشق وحلب واحتياجه الشديد للأموال والموارد المالية لتجهيز الجيش. فإذا ما علمنا ذلك تبين لنا بوضوح كيف تمت المفاوضات مع سفراء طلائع بن زريك والصليبيين في ظل الرواج التجاري والقائم وكذلك لماذا قبل الفدية عندما طلب منه الفاطميون رأس الحسين .. مقابل ثلاثين ألف درهم ورشاء طلائع لهم بالمال

من أجل أن يسمحوا له بنقل الرأس إلى مصر. حيث إن احتياج الصليبيين للمال هو الذي منعهم من هدم قبر الحسين .

ويضيف الباحثان أن الدكتورة سعاد ماهر في كتابها "أولياء الله الصالحون" من ص ٣٧٤ تقول في انتقال الرأس إلى عسقلان وهي مدينة لم تحدثنا كتب التاريخ بأنها كانت مركزاً من مراكز الشيعة مثلاً اللهم إذا أريد أن يكون الرأس في مكان قريب من بيت المقدس من جهة وقريب من الساحل من جهة إخراجها من الشرق حيث لاقي الشيعة الشيء الكثير من اضطهاد الأمويين أولاً ثم العباسيين ثانياً ليمكن نقلها في يسر إلى شمال أفريقيا وبلاد المغرب مثلاً حيث أتجه عدد عظيم من الشيعة ( ومما يؤيد وجود الرأس بعسقلان في العصر الفاطمي ) نص تاريخي منقوش علي منبر المشهد الذي أعاد بناءه بدر الجمالي وأكمله أبنه الأفضل في عصر الخليفة المستنصر ولما نُقل الرأس الشريف إلى مصر نُقل المنبر إلى المشهد الخليلي بالقدس والمنبر ما زال موجوداً حتى الآن هناك ولقد نقل الرأس بعد ذلك من عسقلان إلى مصر ومما يؤكد ذلك ما ذكرته الأستاذة عطيات الشطوي المفتشة بالآثار المصرية التي أشرفت علي تجديد القبة في القرن الماضي تقول أن وثائق هيئة الآثار تؤكد أن رأس الإمام الحسين نقل من عسقلان إلى القاهرة وهذا ما ذكره المقريزي في خططه أن الرأس نقل في يوم الأحد الثامن من جمادي الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة الموافق ٣١ أغسطس سنه ١١٥٣م وكان الذي وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم وليها وحضر في القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادي الآخرة المذكور الموافق ٢ من سبتمبر ١١٥٣م ويضيف المقريزي أن الذي قدم بالرأس مكنون في عشاري من عشاريات الخدم ونزل به إلى الكافوري ( حديقة ) ثم حُمل إلى السرداب إلى قصر الزمرد ثم دفن في قبة الديلم بباب دهليز الخدمة (القصر الحالي ) والدليل علي وجودها بمصر الآتي .

**أولاً** : فقد عثر الباحثون بالمتحف البريطاني بلندن علي نسـخة خطيـة محفوظة من ( تاريخ آمد ) لابن الأورق المتوفي عام (٥٧٢ هـ) وهي مكتوبـة عام (٥٦٠ هـ) أي قبل وفاته باثنتي عشرة سنة ومسجلة بالمتحف للمذكور تحت رقم ( ٥٨٠٣ شرقيات ) قد أثبت فيها صاحب هذا التاريخ بالطريق اليقينـي أن رأس الإمام الحسين قد نقل من عسقلان إلى مصر عام ( ٥٤٩ هـ ) أي في عهد المؤرخ وتحت سمعه وبصره وبوجوده ومشاركته ضمن جمهور أهل مصر الذين كانوا في استقبال الرأس الشريف.

وفي نهاية رحلتنا ما بين مؤيدي وناكري وجود الرأس في مصر فإننـا نختتم رحلتنا مع الرأس الشريف داخل مصر بأنه إن لم يكن دفنت بمصر فكيف تناقل الرحالة والمؤرخون مراحل انتقاله ودفنه وتجديدات مرقده في مصـر وإلا فإن كل هؤلاء سكري والمنكرون علي أدلة واهية هم فقط المتنبهون والعـالمون بما لا يعلمه البشر علي مدار أكثر من ١٣٠٠ سنة هجرية .

***

# آلام البيت النبوي عليه السلام

## بلاد الشام

الشام اسم يشمل عامة الأقاليم الداخلة اليوم في سورية ولبنان وفلسطين، وكانت الشام من أول الأقطار التي فكّر الرسول صلى الله عليه وآله في أمرها لنشر كلمة التوحيد وبثّ الدعوة إلى الإسلام، وقد جهّز الرسول العديد من السرايا والغزوات لهذا الغرض، وفي أواخر أيامه جهزّ جيشاً أمّر عليه أسامة بن زيد، وقال: "لعن الله من تخلف عن جيش أسامة".. وما كان هدف الرسول صلى الله عليه واله توسيع رقعة حكمه جغرافياً، بل كان ذلك أمراً عرضياً تابعاً لبسط كلمة التوحيد والتفاف الناس حول راية الإسلام، وهداية الناس إلى الله تبارك وتعالى، ولكن الأمور تغيرت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه واله، وانقلبت الموازين، وغرّت الدنيا كثيراً من الناس، وأصبحت الغنيمة والحصول على المناصب الدنيوية وبسط السلطة والنفوذ من أهم الدواعي لفتوح البلدان.

وبعد أن فتحها المسلمون استعمل عليها عمر يزيد بن أبي سفيان، ومن بعده أخاه معاوية بن أبي سفيان، وفي سنة ٤١ بايعه أهل الشام بالخلافة، فهو مؤسس الدولة الأموية التي جعلت من دمشق قاعدة الحواضر الإسلامية، وظلت كذلك حتى سنة ١٣٢ هجرية، وقد ورّث معاوية ابنه يزيد الخلافة سنة ٦٠ للهجرة.

## الركب الحسيني إلى الشام

لما وصل كتاب ابن زياد إلى يزيد بن معاوية ووقف عليه، أعاد الجواب إليه يأمره فيه بحمل رأس الحسين ورؤوس من استشهد معه وبحمل أثقاله ونسائه وعياله.

فلمّا فرغ القوم من التطواف بالرأس الشريف في الكوفة ردوه إلى القصر فدفعه ابن زياد إلى زحر بن قيس ودفع إليه رؤوس أصحابه وسرّحه إلى يزيد بن معاوية، وأنفذ معه أبا بردة بن عوف الأزدي وطارق بن أبي ظبيان مع جماعة من أهل الكوفة، حتى وردوا بها على يزيد.

وقد ساقوا الأسارى من أهل البيت عليهم السلام من النساء والأطفال راكبين أقتاباً يابسة، وحولهم الجنود بالرماح، إن دمعت عين أحدهم قُرِعَ رأسه بالرمح، وساقوا بهم من منزل إلى منزل كما تساق أسارى الترك والديلم، وكان على رأسهم سيد العابدين علي بن الحسين عليهم السلام وقد جُعل الغلّ في عنقه ويده، يحمله بعير يظلع بغير وطاء.

وروي عن السيدة زينب عليها السلام أنها قالت: "قد علم الله ما صار إلينا، قتل خيرنا، وانسقنا كما تساق الأنعام، وحُملنا على الأقتاب".

وسار القوم برأس الإمام الحسين عليه السلام ولأسارى فلمّا قربوا من دمشق، دنت السيدة أم كلثوم من الشمر، فقالت: "لي إليك حاجة؟".

فقال: "وما حاجتك؟" . قالت عليها السلام: "إذا دخلت بنا البلد فاحملنا في درب قليل النظارة، وتقدم إليهم أن يخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل وينحّونا عنها، فقد خزينا من كثرة النظر إلينا ونحن في هذه الحال". فأمر لعنه الله في جواب سؤالها أن تُجعل الرؤوس على الرماح في أوساط المحمل، وسلك بهم بين النظارة على تلك الصفة، حتى أتى بهم إلى باب دمشق، فوقفوا على درج باب المسجد الجامع حيث يُقام السبي.

وكان دخول الركب الحسيني إلى دمشق نهاراً وأهلها قد علّقوا الستور والحجب والديباج، فرحين مستبشرين، ونساؤهم يلعبن بالدفوف، ويضربن على الطبول، كأنه العيد الأكبر عندهم.

وروي عن سهل بن سعد الساعدي الصحابي أنه قال: "خرجت إلى بيت المقدس حتى توسطت الشام فإذا أنا بمدينة مطردة الأنهار كثيرة الأشجار قد علقوا الستور والحجب والديباج وهم فرحون مستبشرون وعندهم نساء يلعبن بالدفوف والطبول، فقلتُ في نفسي: لعل لأهل الشام عيداً لا نعرفه نحن. فرأيت قوماً يتحدثون، فقلت: يا هؤلاء ألكم بالشام عيد لا نعرفه نحن؟ قالوا: يا شيخ نراك غريباً! فقلتُ: أنا سهل بن سعد قد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وحملتُ حديثه، فقالوا: يا سهل ما أعجبكَ السماء لا تمطر دماً والأرض لا تخسف بأهلها. قلتُ: ولمَ ذلك؟ فقالوا: هذا رأس الحسين عترة رسول الله صلى الله عليه وآله يهدى من أرض العراق إلى الشام وسيأتي الآن. قلت: وا عجباه! يهدى رأس الحسين والناس يفرحون؟!".

## الإمام زين العابدين عليه السلام مع الشيخ الشامي

بعد أن أقيم السبي على درج باب المسجد، إذا بشيخ قد أقبل حتّى دنا منهم، وقال: "الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم، وأراح الرجال من سطوتكم، وأمكن أسير المؤمنين منكم!".

قال له الإمام زين العابدين عليه السلام: "يا شيخ هل قرأت القران؟".

فقال: "نعم قرأته".

قال عليه السلام: "فعرفـت هـذه الآيـة: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ ؟" الشورى: ٢٣..

قال الشيخ: "قرأت ذلك..".

فقال عليه السلام: "فنحن القربى يا شيخ! فهل قرأت في "بني إسـرائيل" ﴿وآتِ ذا القربى حقه ﴾؟" الإسراء: ٢٦.

فقال الشيخ: "قد قرأت ذلك..".

قـال عليـه السـلام: "نحـن القربـى يـا شـيخ! ولكـن هـل قرأت هذه الآية: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ ؟الأنفال: ٤٠.

فنحن ذو القربى يا شيخ، ولكن هل قرأت هـذه الآيـة: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾ ؟ الأحزاب: ٣٣.

فقال الشيخ: "قد قرأت ذلك".

فقال عليه السلام: "فنحن أهل البيت الذين خُصِصنا بآية الطهارة..".

فبكى الشيخ ورمى عمامته، ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: "اللهم إنـي أبرأ إليك من عدو آل محمد صلى الله عليه واله، من الجن والإنس، ثم قال: هل لي من توبة؟".

فقال عليه السلام: "نعم، إن تبت تاب الله عليك وأنت معنا..".

فقال: "أنا تائب..".

فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ فأمر بقتله.

ونستنتج من هذا الخبر عدة أمور:

١- إن هذا أول موقف تكلم به الإمام زين العابدين عليه السلام بعد تحمّله شدة السفر، لأن الرواية تقول: إن الإمام عليه السلام بقي طول طريق السفر بين الكوفة والشام ساكتاً لا يكلم أحداً.

٢- يقوم الإمام بأداء الرسالة في أول فرصة وأول نقطة يجد بها الطينة الطيبة، فمع أن ذاك الشيخ الشامي لم يكن إلا رجلاً عاش في حكم الأمويين، ولم يرَ الإمام عليّاً عليه السلام ولا أحداً من أبنائه، ولكن فطرته سليمة، بينما الذين قاموا بقتل الإمام الحسين عليه السلام وسبي أهل بيته فقد كان كثير منهم ممن رأى علياً والحسن والحسين عليهم السلام وصلى خلفهم!

٣- سيطرة الجو الإعلامي المسموم على المجتمع، فلقد أذاعوا أن المقتول هو رجل خارجي خرج على "أمير المؤمنين"، وكان يريد بث الفتنة والفرقة في المجتمع، لذا نرى أن الرجل الشامي بادر بالتعبير عن حمده لله على قتل الخارجي وإهلاك أهله.

رأس الإمام الحسين عليه السلام وبقية الركب الحسيني بين يدي يزيد بن معاوية . لقد غمرت الأفراح والمسرات يزيد، وأمر بترتيب مجلس حاشد بالأشراف والأعيان والشخصيات من أهل الشام وممثلي بعض الدول والأديان آنذاك مثل رأس الجالوت، فكان مجلساً في غاية الأهمية سياسياً واجتماعياً، داخلياً وخارجياً، وقد أراد أن يظهر نفسه بأنه انتصر على عدوه. فلما أُدخل عليه موكب الأسارى من أهل البيت عليهم السلام، هنأه القوم بالفتح.

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: " قُدِم بنا على يزيد بن معاوية لعنه الله بعدما قتل الحسين ونحن اثنا عشر غلاماً ليس منا أحد إلا مجموعة يداه إلى عنقه وفينا علي بن الحسين عليه السلام..".

وأدخل رأس الإمام الحسين عليه السلام على يزيد ووضع بين يديه، فاستبشر الشقي بقتله، وجعل ينكتُ رأسه بالخيزران.

وأقبل قاتل الإمام الحسين عليه السلام على يزيد يقول:

أوقر ركابي فضة وذهبا　　فقـد قتلت الملك المحجبا

قتلتُ خير الناس أماً وأباً　　وخيرهم إذ ينسبون نسبا

فقال له اللعين: "إذا علمتَ أنه خير الناس فلمَ قتلته؟".

فأجابه: "رجوت الجائزة!".

**فأجابه يزيد: "اخرج من بين يديّ فلا جائزة لك".**

وقد كان هذا المجلس العام الوحيد الذي جمع فيه يزيد الأشراف، ذلك أن المجالس الخاصة التي كان يحضر فيه رأس الإمام الحسين عليه السلام وأهل البيت تكرّرت، فكان يزيد يتخذ مجالس الشرب واللهو والقيان والطّرب، ويحضر رأس الإمام الحسين عليه السلام بين يديه.

## يزيد ينكث ثانيًا الإمام الحسين عليه السلام

وضع يزيد رأس الإمام الحسين عليه السلام بين يديه وأجلس النساء خلفه لئلا ينظرن إليه، وكانت ابنتا الإمام تتطاولان لتنظرا إلى الرأس وجعل يزيد يتطاول ليستره عنهما، وهو ينكت ثناياه بقضيبٍ في بيديه متمثلاً ببيت شعر للحصين بن الحمام المري:

نفلق هاماً من رجال أعزة　　علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

ثم قال: "ما رأيتُ وجهاً قط أحسن منه!".

فقيل له: "إنه كان يشبه رسول الله صلى الله عليه واله".

فسكت، ولم يبقَ أحد في مجلسه إلا عابه وتركه، وكان عنده أبو برزة الأسلمي، وهو صحابي من سكان المدينة ثم البصرة، فقال له: "ويحك يا يزيد،

أتنكت بقضيبك ثغر الحسين عليه السلام ابن فاطمة عليها السلام؟! اشـــهد، لقــد رأيت النبي صلى الله عليه وآله يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن عليـــه الســـلام ويقول: أنتما سيدا شباب أهل الجنة، قتل الله قاتلكما ولعنه، وأعدّ له جهنّم وساءت مصيراً".

فغضب يزيد وأمر بإخراجه من المجلس فأُخرج سحباً.

وكان موقف هذا الصحابي في أهم زمان وأخطر مكان، ولأجل ذلك لــم يتحمل يزيد هذا الموقف.

ثم إن عبد الرحمن بن الحكم أخا مروان بن الحكم، كان ممـــن حضـــر المجلس العام، فلمّا رأى ما فعل يزيد برأس الإمام الحسين عليه الســـلام وتمثلـــه بالأبيات قال:

سمية ( أو أمية ) أمسى نسلها عدد الحصى

وبنت رسول الله ليس لها نسل

فعندئذٍ، وخشية انقلاب الأمور ضده، بادر يزيد إلى القول: " نعم، فلعـــن الله ابن مرجانة، إذ أقدم على قتل الحسين بن فاطمة، لو كنت صاحبه لما ســـألني خصلة إلا أعطيته إياها ولدفعت عنه الحتف بكل ما استطعت ولو بهلاك بعـــض ولدي، ولكن قضى الله أمراً فلم يكن له مرد".

ثم إنه قال لعبد الرحمن: "سبحان الله! أما يسعك السكوت يا ابن الحمقاء! ما لك ولهذا؟!".

وقد أظهر يزيد في بعض كلماته ندمه كذباً ونفاقاً، ملقياً بمسؤولية قتـــل الإمام الحسين عليه السلام على عاتق ابن زياد، وكان ذلك الندم يرجع إلى كذبه وخوفه على زوال ملكه وتمشياً مع الوضع العام واستنكار الناس لذلك، والـــدليل

على كذب يزيد أنه لم يعاقب عبيد الله بن زياد، ولم يعزله عن الإمارة، بل شكره واستدعاه وشرب معه الخمر وأعطاه جائزة كبيرة.

## يزيد والتضليل المكشوف

تبدلت لهجة يزيد أثناء وجود الموكب النبوي في الشام، فبعد أن كان يظهر الفرح بقتل الإمام الحسين عليه السلام، اضطر أمام شدة النكير المكتوم والذي تم التعبير عنه غالبًا بتعابير ضعيفة.

وفي سياق إظهاره الفرح قال في مجلسه: :"أتدرون من أين دهي أبو عبد الله؟". فقالوا: "لا، فأجابهم: من الفقه والتأويل! هذا يفخر علي". ويقول: "أبي خير من أبي يزيد، وأمي خير من أمه، وجدي خير من جد يزيد، وأنا خير من يزيد"، فهذا الذي قتله! فأما قوله "إن أبي خير من أبي يزيد" فقد حاج أبي أباه فقضى الله لأبي على أبيه! وأما قوله "إن أمي خير من أم يزيد" فلعمري إنه صادق، إن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله خير من أمي، وأما قوله "إن جدي خير من جد يزيد" فليس أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يقول إنه خير من محمد صلى الله عليه وآله، وأما قوله "أنا" خير مني فلعمري لم يقرأ هذه الآية: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ آل عمران: ٢٦.

لقد التجأ يزيد إلى هذا الموقف ليوهم الأمة بأنه وإن قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أنه لم يخرج من الإسلام، خاتماً كلامه بذكر مشيئة الله وقضائه وقدره ليعطي لجريمته النكراء بعداً دينياً! من خلال تثبيت مسلك الجبر الذي تشبث به الطواغيت ليُسكتوا به أصوات مخالفيهم والسذج من الناس.

## تمثل يزيد بأبيات ابن الزبعرى

تؤكد مجمل الروايات على تمثل يزيد بن معاوية بأبيات ابن الزبعرى في مجلسه العام. والزبعرى شاعر قريش في الجاهلية، كان شديداً على المسلمين:

| | |
|---|---|
| ليت أشياخي ببدر شهدوا | جزع الخزرج من وقع الأسل |
| لأهلّوا واستهلوا فرحاً | ثم قالوا يا يزيد لا تُشل |
| لستُ من خندف إن لم أنتقم | من بني أحمد ما كان فعل |
| لعبت هاشم بالملك فلا | خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل |

وقد زاد يزيد على هذه الأبيات ما يدل على كفره وخبث باطنه، ويكشف عما في قلبه من الإلحاد والحقد على رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليه السلام:

لستُ من عتبة إن لم أنتقم     من بني أحمد ما كان فعل

وقد استندت السيدة زينب عليها السلام إلى إنشاد يزيد لهذه الأبيات في المجلس بقولها: "فلا يستبطأ في بغضنا أهل البيت... وهو يقول فرحاً بقتل ولده وسبي ذريته غير متحوب .

ولا مستعظم: ليت أشياخي...".

ثم إن أحد الصحابة قال ليزيد بعد تمثله بهذه الأبيات: "ارتددت عن الإسلام يا أمير المؤمنين!".

قال يزيد: "بلى.. نستغفر الله..".

فأجابه الصحابي: "والله لا ساكنتك أرضاً أبدا". وخرج عنه.

وهذا اعتراف من يزيد على نفسه بأن قوله يوجب الكفر والارتداد عن الدين، غير أنه بعد أن نكث يزيد ثنايا الإمام الحسين عليه السلام بقضيبه، أمر بصلبه، فصُلب ثلاثة أيام بدمشق على باب المسجد.

## محاورات الإمام زين العابدين عليه السلام مع يزيد

لقد بلغت الحرب النفسية الذروة بعد واقعة الطف الأليمة، ولم تكن بأقل من الحرب في ظل السيوف، وأراد يزيد أن يظهر بمظهر الغالب لظافر في جميع المجالات، وأن يرى انتهاء الأمر بتمامه، لكي يتم بذلك كل شيء له! وهو يعلم أنه لا يصل إليه إلا بظفره في هذه الحرب.

في المقابل نرى جبهة الحق تسير في خطى قائدها، وتتحرك نحو تحقق أهدافها، فنرى السيدة زينب عليها السلام تقف خلف الإمام زين العابدين عليه السلام في جميع المواقف، وكيف لا وهو الحجة على الأرض بعد أبيه عليه السلام.

روي أن يزيد قال للسيدة زينب عليها السلام: "تكلمي؟!" فأجابت عليها السلام: "هو المتكلم ". أي الإمام زين العابدين عليه السلام وقد أرادت بذلك أن تعرّف قائد المسيرة المظفرة.

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يواجه مشاكل عديدة ينبغي له أن يتغلب عليها:

١- طاغوتاً متغطرساً يعيش نشوة النصر المزعوم، لابد أن يواجه بكلمة الحق على رؤوس الأشهاد، ليكشف الغطاء عن واقعه الملحد، ويظهر على حقيقته خصوصاً أمام أتباعه ومواليه.

٢- نظاماً قمعيّاً أقامه معاوية على الترغيب والترهيب والجماجم والأشلاء، وأراد له الشيطان أن يكون التأسيس للإمبراطورية الأموية التي تتخذها "الشجرة الملعونة في القران" وسيلة لطمس معالم الدين وتحريف شريعة سيد المرسلين".

وكان لابد من هز أركان هذه الإمبراطورية التي تتخذ مال الله دولا وعباد الله خولاً باسم الإسلام وخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣- إعلاماً مضللاً وبيئة مسمومة، عرفت الإسلام من خلال يزيد بن أبي سفيان ثم معاوية، وها هم يسمعون أن هؤلاء السبايا جيء بهم من معركة مع خارجي خرج على "أمير المؤمنين"!

كان على الإمام زين العابدين عليه السلام أن يواجه ذلك ليمزق غيوم الجهل التي تلبدت منذ حوالي أربعة عقود.

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: "لما أدخل رأس الحسين بن علي عليه السلام على يزيد لعنه الله وأدخل عليه علي بن الحسين وبنات أمير المؤمنين عليه السلام، وكان علي بن انحسين عليه السلام مقيداً مغلولاً".

قال يزيد: "يا علي بن الحسين: الحمد الله الذي قتل أباك!".

فقال علي بن الحسين عليه السلام: "لعن الله من قتل أبي".

فغضب يزيد وأمر بضرب عنقه.

فقال علي بن الحسين: "فإذا قتلتني فبنات رسول الله صلى الله عليه وآله من يردهم إلى منازلهم وليس لهم محرم غيري؟".

فقال يزيد: "أنتَ تردهم إلى منازلهم!".

ثم دعا بمبرد فأقبل يبرد الجامعة من عنقه بيده، ثم قال له: 'يا علي بن الحسين، أتدري ما الذي أريد بذلك ؟".

قال عليه السلام: "بلى، تريد أن لا تكون لأحد عليّ منّة غيرك".

فقال يزيد: "هذا والله ما أردت فعله... يا علي بن الحسين "﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ الشورى: ٣٠.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: "كلا، ما هذه فينا نزلت،إنما نزلت فينا: "﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ۝ ﴾" الحديد: ٢٢ ٢٣.

فنحن الذين لا نأسى على ما فاتنا، ولا نفرح بما أتانا منها".

وبهذا هدم الإمام زين العابدين عليه السلام أصل استناد يزيد من الأساس، وبيّن عدم فقهه بمعنى الآية الشريفة، فوثب رجل من أهل الشام وقال دعني أقتله، فألقت السيدة زينب عليه السلام بنفسها عليه.

وجعل الإمام زين العابدين عليه السلام يقول:

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا

فالله يعلم أنّا لا نحبكم ولا نلومكم إن لم تحبونا

فقال يزيد: "صدقت، ولكن أراد أبوك وجدك أن يكونا أميرين، فالحمد لله الذي أذلهما وسفك دماءهما!".

فوقف الإمام عليه السلام ليُذكر يزيد بن معاوية بآبائه وأجداده، ويُعرفه بأبيه وجده: "يا ابن معاوية وهند وصخر، لم يزل آبائي وأجدادي فيهم الإمرة من

قبل أن تولد، ولقد كان جدّي علي بن أبي طالب عليه السلام يوم بدر وأحد والأحزاب في يده راية رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبوك وجدك في أيديهما رايات الكفر".

ثم قال عليه السلام: "ويلك يا يزيد، إنك لو تدري ما صنعت وما الذي ارتكبت من أبي وأهل بيتي وأخي وعمومتي إذاً لهربت في الجبال وافترشت الرمال ودعوت بالويل والثبور، أن يكون رأس الحسين بن فاطمة وعلي عليهما السلام منصوباً على باب المدينة وهو وديعة رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم، فأبشر بالخزي والندامة غداً، إذا جمع الناس ليوم لا ريب فيه".

ثم دعا يزيد بالنساء والصبيان، فأُجلسوا بين يديه، فراهم بهيئة مؤلمة فقال: "قبّح الله ابن مرجانة، لو كانت بينكم وبينه قرابة ورحم ما فعل هذا بكم ولا بعث بكم هكذا".

وكانت هذه الكلمات وأمثالها من يزيد في المرحلة الثانية التي تلت تعبيره عن غاية البهجة والسرور، إلا أنه فوجيء بردة فعل من الناس لم يكن يحسب لها أدنى حساب، مما اضطره إلى أن يتخلى عن المسؤولية ويرميها على عاتق ابن زياد.

وتبرز من مواقف الإمام علي بن الحسين عليه السلام عدة نقاط للبحث والتأمل:

١- صلابة موقف الإمام عليه السلام وصموده في المقام.

٢- جعل الإمام عليه السلام مسؤولية قتل الإمام الحسين عليه السلام وما جرى في وقعة الطف وبعده على عاتق يزيد وتنبيهه لعمق الفاجعة الكبرى ووعيده بنار جهنم.

٣- تبيين حقيقة يزيد بأنه وأباه وجده كانوا في خط الباطل، معلنين الحرب على رسول الله صلى الله عليه وآله، وأهل البيت عليهم السلام، وأن النهضة الحسينية هي استمرار لتلك المواجهة والمقابلة.

## يزيد يهمّ بقتل الإمام زين العابدين عليه السلام

وكما تقلب موقف يزيد في الحديث عما جرى في كربلاء، بين الفرح بما حصل، والتبرؤ منه، كذلم تقلبت مواقفه من الإمام السجاد عليه السلام، بين السماتة، ومحاولة القتل، ثم الإيحاء بأنه يكرمه.

حاول يزيد لعنه الله أثناء محاوراته للإمام زين العابدين عليه السلام أن يستنطقه بكلمة يوجب فيها قتله، والإمام عليه السلام يجيبه حسب ما يكلمه وفي يده سبحة صغيرة يديرها بأصابعه، وهو يتكلم، فقال له يزيد: "أنا أكلمكَ وأنت تجيبني وتدير أصابعك بسبحة في يدك، كيف يجوز ذلك؟".

فقال عليه السلام حدثني أبي عن جدي صلى الله عليه وآله: "إنه كان إذا صلّى الغداة وانفتل لا يتكلم حتى يأخذ سبحة بين يديه، فيقول: اللهم إني أصبحت أسبّحك وأحمدك وأهلّلك وأكبرك وأمجدك بعدد ما أدير به سبحتي، ويأخذ السبحة في يده ويديرها وهو يتكلم بما يريد من غير أن يتكلّم بالتسبيح، وذكر أن ذلك محتسب له وهو حرز إلى أن يأوي إلى فراشه، فإذا أوى إلى فراشه قال مثل ذلك القول ووضع سبحته تحت رأسه فهي محسوبة له من الوقت إلى الوقت، ففعلتُ ذلك اقتداءً بجدي صلى الله عليه وآله".

فقال له يزيد لعنه الله: "لستُ أكلم أحداً منكم إلا ويجيبني بما يفوز به".

وشاور يزيد جلساءه في أمر الأسارى في مجلسٍ كان في أخر أيام مقام أهل البيت عليه السلام في الشام، فأشاروا بقتله وقالوا له: "لا تتخذ من كلب سوء جرواً".

فابتدر الإمام عليه السلام بالكلام، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال ليزيد: "لقد أشار عليك هؤلاء بخلاف ما أشار جلساء فرعون إليه، حيث شاورهم في موسى وهارون، فإنهم قالوا: أرجه وأخاه، وقد أشار هؤلاء عليك بقتلنا". فسكت يزيد.

## رأس اليهود في مجلس يزيد العام

بعد المحاورة التي جرت بين الإمام زين العابدين عليه السلام ويزيد، التفت إليه حبرٌ من أحبار اليهود وكان حاضراً، فقال: "من هذا الغلام يا أمير المؤمنين؟".

فقال يزيد: "صاحب الرأس هو أبوه".

قال الحبر: "ومن هو صاحب الرأس يا أمير المؤمنين؟".

قال: "الحسين بن علي بن أبي طالب".

قال: "فمن أمه؟".

قال يزيد: "فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله".

فقال الحبر: "يا سبحان الله! هذا ابن بنت نبيكم قتلتموه في هذه السرعة! بئس ما خلفتموه في ذريته، والله لو خلف فينا موسى بن عمران سبطاً من صلبه، لظننا أنا كنا نعبده من دون الله، وأنتم إنما فارقكم نبيكم بالأمس، فوثبتم على ابن نبيكم قتلتموه، سوأة لكم من أمة..".

## السيدة زينب بنت علي عليه السلام في مجلس يزيد

إنها بطلة المعركة في مجلس يزيد، تقف أمام طغيانه بكل صلابة، وتكلمه بمنتهى الشجاعة، لأنها ترى الواقع الثابت عند الله، ولأجل ذلك نرى أنها تفرغ عن منطق أبيها الذي هو نفس المصطفى الحبيب، فتجعل الشام وقصرها الأموي امتداداً ساحة كربلاء وثورة سيد الشهداء، وتجسيداً نموذجياً لقيمها الكريمة وأهدافها السامية.

فها هي تقول له: "يا يزيد أما تخاف الله ورسوله من قتل للحسين عليه السلام؟ وما كفاك ذلك حتى تستجلب بنات رسول الله صلى الله عليه وآله من العراق إلى الشام! وما كفاك حتى تسوقنا إليك كما تُساق الإماء على المطايا بغير وطاء! وما قتل أخي الحسين عليه السلام أحد غيرك يا يزيد، ولولا أمرك ما يقدر ابن مرجانة أن يقتله،لأنه كان أقلّ عدداً وأذل نفساً، أما خشيت من الله بقتله وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه وفي أخيه: "الحسن والحسين سيدا أهل الجنة من الخلق أجمعين"؟ فإن قلتَ لا فقد كذبتَ، وإن قلتَ نعم فقد خصمت نفسك واعترفت بسوء فعلك..".

فقال يزيد: "ذرية يتبع بعضها بعضاً..".

وقد ركزت السيدة زينب عليها السلام في هذا الخطاب على ثلاثة أمور:

١- الانتساب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢- تحميل مسؤولية قتل الإمام الحسين عليه السلام ليزيد لتبطل كل محاولة للتبرؤ من ذلك.

٣- إثبات أن يزيد لا علاقة له بالإسلام من قريب ولا من بعيد.

*******

## السيدة زينب عليها السلام مع الرأس الشريف

اتخذ موقف السيدة زينب عليها السلام عند رؤية الرأس الشريف منحى عاطفياً، فهي لما رأته نادت بصوت حزين يقرح القلوب: "وا حسيناه، يا حبيب رسول الله، يا ابن مكة ومنى، يا ابن فاطمة
الزهراء سيدة النساء، يا ابن بنت المصطفى..".

فأبكت كل من كان حاضراً في المجلس.

## خطبة السيدة زينب عليها السلام كما نقلها ابن طيفور ت: ٢٨٠ :

وهي الوثيقة المحمدية العلوية الفاطمية والحسنية الحسينية التي اتخذت موقعها في سياق خطبة المصطفى الحبيب يوم الغدير، وخطبة أمها الصديقة الكبرى الشهيدة في المسجد النبوي، وخطبة أبيها أمير المؤمنين المعروفة بـ"الشقشقية"، لتشكل هذه الخطب جميعاً الوثائق الأبرز لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وقد ألقت عليها السلام هذه الخطبة بعد تمثّل يزيد بأبيات الزبعرى:
"صدق الله ورسوله يا يزيد "﴿ ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾" الروم: ١٠.

أظننت يا يزيد حين أخذ علينا بأطراف الأرض وأكناف السماء فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى أن بنا هواناً على الله، وبك عليه كرامة!! وأن هذا لعظيم خطرك فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك، جذلان فرحاً حين رأيت الدنيا

مستوسقة لك، والأمور متسقة عليك، وقد أملهت ونفّست وهو قـول الله تبـارك وتعـالى: "﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾" آل عمران: ١٧٨.

أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك نساءك وإماءك وسوقك بنات رسـول اللهم صلى الله عليه وآله قد هتكت ستورهن وأصحلت أصواتهن مكتئبات تحدي بهنّ الأباعر ويحدو بهن الأعادي من بلدٍ إلى بلدٍ، لا يراقبن ولا يؤوين، يتشوفهنّ القريب والبعيد، ليس معهن وليّ من رجالهن، وكيف يستطبأ في بغضنا من نظر إلينا بالشنف والشنان والإحن والأضغان، أتقول: "ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا" غير متأثم ولا مستعظم وأنت تنكت ثنايا أبي عبد الله بمخصرتك؟ ولمَ لا تكون كـذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشافة بإهراقك دماء ذرية رسـول الله صـلى الله عليه وآله ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، ولتردن على الله وشيكاً مـوردهم ولتودن أنك عميت وبكمت، وأنك لم تقل: "لأهلوا واستهلوا فرحاً". اللهم خذ بحقنا وانتقم لنا ممن ظلمنا، والله ما فريت إلا في جلدك، ولا حززت إلا فـي لحمـك، وسترد على رسول الله صلى الله عليه وآله برغمك وعترته ولحمته في حظيـرة القدس، يوم يجمع الله شملهم ملمومين من الشعث، وهو قول الله تبرك وتعـالى: "﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾" سورة آل عمران: ١٦٩، وسيعلم من بوّأك ومكّنك من رقاب المؤمنين إذا كـان الحكم الله والخصم محمد صلى الله عليه وآله وجوارحك شاهدة عليـك، فبـئس للظالمين بدلاً، أيكم شرّ مكاناً وأضعف جنداً، مع أني والله يا عدوّ الله وابن عدوه أستصغر قدرك وأستعظم تقريعك، غير أن العيون عبرى والصدور حرّى ومـا يجري ذلك أو يغني عنّا، وقد قُتل الحسين عليه السلام، وحزب الشيطان يقربنـا إلى حزب السفهاء ليعطوهم أموال الله على انتهاك محارم الله، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا، وهذا الأفواه تتحلب من لحومنا، وتلك الجثث الزواكي يعتامها عسلان

الفلوات، فلئن اتخذتنا مغنماً لتتخذن مغرماً حين لا تجد إلا ما قدمت يداك، تستصرخ ابن مرجانة ويستصرخ بك، وتتعاوى وأتباعك عند الميزان، وقد وجدت أفضل زاد زوّدك معاوية قتلك ذرية محمد صلى الله عليه وآله، فوالله ما اتقيتُ غير الله ولا شكواي إلا إلى الله، فكِدْ كيدك واسْعَ سعيك، وناصِبْ جهدك، فوالله لا يرحض عنك عار ما أتيت إلينا أبداً، والحمد لله الذي ختم بالسعادة والمغفرة لسادات شبّان الجنان، فأوجب لهم الجنة،أسأل الله أن يرفع لهم الدرجات وأن يوجب لهم المزيد من فضله، فإنه ولي قدير".

فكان هذا الخطاب كالصاعقة على رأس يزيد، فقال:

يا صيحة تحمد من صوائح      ما أهون النوح على النوائح

واستبدت بيزيد الحيرة، فلم يدر ما يقول فما كان منه إلا أن تمثّل بقول شاعرٍ. ولا توجد لأدنى مناسبة بين ما سمعه الطاغية، من الصواعق التي انقضت عليه وعلى بني أمية مذكرة بكل كلمة منها بضربة من ضربات ذي الفقار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وبين ما تمثّل به من الشعر الذي أعلن فيه أن الصيحة تحمد من الصوائح! وأن النوح يهون على النائحات! إنها محاولة الأبكم الفاشلة للتستر بالتشفي.

## نظرة سريعة في مضامين الخطبة العظيمة

١- الانطلاق من محور مركزي في المعارف الإسلامية حول إمهال الله تعالى الطغاة الظلمة والكفرة الفجرة، وأنه ليس ذلك إلا لإتمام الحجة عليهم وليزدادوا إثماً.

٢- بيان جور يزيد في الحكم، مع أنه يدّعي تمثيله للخلافة.

٣- التركيز على مسألة حفظ مكانة المرأة ولزوم الغيرة.

٤- التركيز على أن ما فعله يزيد هو نتيجة الكفر، وأن ما ارتكبه هو انتقام لمّا فعله الرسول صلى الله عليه وآله من قتل أقرباء يزيد الكفرة في يوم بدر، وهو هز السيوف في وجه رسول الله بعد مُضي خمسين سنة من وفاة الرسول صلى الله عليه وآله.

٥- التأكيد أن الحكم والولاية لآل محمد لا لغيرهم، وذلك في قولها: "... وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا".

٦- الإشارة إلى مسؤولية من مكّن الطاغية من رقاب المسلمين، وبذلك ترد على من يريد أن يحيل ذلك إلى قضاء الله وقدره.

٧- التصريح بعدم تمكن يزيد ولا أذنابه من محو ذكر أهل البيت عليهم السلام، فذلك أمر لا يتمكن منه أحد.

٨- بيان عظمة مقام الشهيد وسمو قيمة الشهادة في الفكر الإسلامي.

٩- جعل المسؤولية الكبرى في قتل الإمام الحسين عليه السلام على عاتق يزيد مباشرة.

## موقف السيدة زينب عليها السلام من طلب الرجل الشامي

روي عن فاطمة بنت الحسين عليه السلام أنها قالت: فلما جلسنا بين يدي يزيد، قام إليه رجل من أهل الشام، فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الجارية يعنيني فأُرعدتُ وظننت أن ذلك جائز لهم، فأخذت بثياب عمتي زينب، وكانت تعلم أن ذلك لا يكون.

فقالت عمتي عليها السلام للشامي: "كذبتَ ولؤمتَ، والله ما ذلك لك ولا له!".

فغضب يزيد وقال: "كذبتِ! إن ذلك لي ولو شئت أن أفعل لفعلت!".

قالت: "والله ما جعل الله لك ذلك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغيرها".

فاستطار يزيد غضباً وقال: "إياي تستقبلين بهذا؟ إنما خرج من الدين أبوك وأخوك!".

قالت زينب عليها السلام: "بدين الله ودين أبي ودين أخي اهتديت أنت وجدك وأبوك إن كنتَ مسلماً!".

قال : "كذبت يا عدوة الله!".

قالت عليها السلام له: "أنتَ أمير تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك.. فكأنه استحيا وسكت..".

فعاد الشامي فقال: "هب لي هذه الجارية".

فقال له يزيد: "أعزب، وهب الله لك حتفاً قاضياً".

لقد حققت السيدة زينب عليها السلام نصراً حاسماً على الطاغي وهو في ذروة السلطة والقدرة الظاهرية، فقد أفحمته المرة بعد المرة،

وقد تمكنت أن تظهر جهل مدّعي الخلافة للناس،كما كشفت عن عدم فقهه في شؤون الدين، فإن نساء المسلمين لا يصح اعتبارهن سبايا في الحروب، ولا يعاملن معاملة السبي، فكيف إن كن بنات رسول الله صلى الله عليه وآله؟

## دور عقيلات بيت النبوة عليهم السلام في مجلس يزيد

سارت النساءُ في بقية الركب الحُسيني على خطى الإمام زين العابدين عليه السلام والسيدة زينب عليها السلام بتحقيق نفس الأهداف، وعمدن إلى فضح السلطة الظالمة، وتعريف أنفسهن بأنهن سبايا آل بيت النبوة عليهم السلام في كل موقف، ما يجعل الأمور تنقلبُ على رأس يزيد بن معاوية، وهذا ما فعلته السيدة

سُكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام. في تعريف الأسارى بأنهم من آل محمد صلى الله عليه وآله لكي تسيطر على الجو المسموم إعلامياً.

فعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عليه السلام: لما قدم يزيد بذراري الحسين أدخل بهن نهاراً مكشوفات وجوههن، فقال أهل الشام الجفاة: ما رأينا أحسن من هؤلاء، فمن أنتم؟ فقالت سكينة بنت الحسين عليه لسلام: "نحن سبايا آل محمد!".

ولما وضع رأس الإمام الحسين عليه السلام بين يدي يزيد، قالت له السيدة سكينة عليه السلام: "والله ما رأيتُ أقسى قلباً من يزيد، ولا كافراً ولا مشركاً شرّاً منه ولا أجفى منه".

**وكذا قامت فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام وكانت أكبر** من سُكينة حينما أدخلت نساء الإمام الحسين عليه السلام على يزيد، فصاحت نساء آل يزيد وبنات معاوية وأهله وولولن، فقالت فاطمة بنت الحسين عليه السلام: "أبنات رسول الله سبايا يا يزيد؟".

فبكى الناس وبكى أهل داره حتى علت الأصوات.

## خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام

أمر يزيد بمنبرٍ وخطيب ليَذكُرَ للناس مساوئ الإمام الحسين عليه السلام وأبيه الإمام علي عليه السلام، فصعد الخطيب المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وأكثر الوقيعة في علي والحسين عليه السلام، وأطنب في مدح معاوية ويزيد، فصاح به الإمام زين العابدين عليه السلام: "ويلك أيها الخاطب! اشتريت رضا المخلوق بسخط الخالق، فتبوّأ مقعدك من النار". ثم قال عليه السلام: "يا يزيد!

ائذن لي حتى أصعد هذه الأعواد، فأتكلم بكلمات، فيهن لله رضا ولهؤلاء الجالسين أجر وثواب..".

فأبى يزيد، فقال الناس: "يا أمير المؤمنين، ائذن له ليصعد، فلعلنا نسمع منه شيئاً". فقال لهم: "إن صعد المنبر هذا لم ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان..".

فقالوا: "ما قدر ما يُحسن هذا؟".

فقال: "إنه من أهل بيت قد زقّوا العلم زقّا..".

ولم يزالوا به، حتى أذِن له بالصعود، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم خطب خطبة أبكى منها العيون، وأوجل منها القلوب، فقال فيها:

"أيها الناس،أُعطينا ستاً وفُضلنا بسبع، أعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضلنا بأن منا النبي المختار محمداً ﷺ، ومنا الصديق، ومنا الطيار عليه السلام، ومنا أسد الله وأسد الرسول صلى الله عليه وآله، ومنا سيدة نساء العالمين فاطمة البتول عليها السلام، ومنا سبطا هذه الأمة وسيدا شباب أهل الجنة.

**فمن عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني، أنبأته بحسبي ونسبي..**

أيها الناس: أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن من حمل الزكاة في أطراف الرداء، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حج ولبى، أنا ابن من حُمل على البراق في الهواء، أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فسبحان من أسرى، أنا ابن من بلغ به جبرائيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلى

بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا لا إله إلا الله، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وبايع البيعتين، وصلّى القبلتين، وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين، أنا ابن صالح المؤمنين، ووراث النبيين، وقامع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكائين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين ورسول رب العالمين، أنا ابن المؤيد بجبرائيل، والمنصور بميكائيل، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، والمجاهد أعداءه الناصبين، وأفخر من مشى من قريش أجمعين، وأول من أجاب واستجاب لله من المؤمنين، وأقدم السابقين، وقاصم المعتدين، ومبير المشركين، وسهم من مرامي الله على المنافقين، ولسان حكمة العابدين، ناصر دين الله، وولي أمر الله، وبستان حكمة الله، وعيبة علم الله، سمح سخي، بهلول زكي أبطحي، رضي مرضي، مقدام همام، صابر صوام، مهذب قوام، شجاع قمقام، قاطع الأصلاب، ومفرق الأحزاب، أربطهم جناناً، وأطبقهم عناناً، وأرجاهم لساناً، وأمضاهم عزيمة، وأشدهم شكيمة، أسد باسل، وغيث هاطل، يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الأسنة وقربت الأعنة، طحن الرحى، ويذروهم ذرو الريح الهشيم، ليث الحجاز، وصاحب الإعجاز، وكبش العراق، الإمام بالنص والاستحقاق، مكيّ مدنيّ، أبطحيّ تهامي، خيفيّ عبقيّ، بدريّ أحديّ، شجريّ مهاجري، من العرب سيّدها، ومن الوغى ليثها، وارث المشعرين، وأبو السبطين الحسن والحسين، مظهر العجائب، ومفرّق الكتائب، والشهاب الثاقب، والنور العاقب، أسد الله الغالب، مطلوب كل طالب، غالب كل غالب، ذاك جدي علي أبي طالب.

أنا ابن فاطمة الزهراء،أنا ابن سيدة النساء، أنا ابن الطهر البتول، أنا ابن بضعة الرسول، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن خديجة الكبرى، أنا ابن المقتول ظلماً، أنا ابن المحزوز من القفا، أنا ابن العطشان حتى قضى، أنا ابن طريح كربلاء، أنا ابن مسلوب العمامة والرداء، أنا ابن من بكت عليه ملائكة السماء، أنا ابن من ناحت عليه الجن في الأرض والطير في الهواء، أنا ابن من رأسه على السنان يُهدى، أنا ابن من حرمه من العراق إلى الشام تسبى. أيها الناس: إن الله تعالى وله الحمد ابتلانا أهل البيت ببلاءٍ حسن حيث جعل راية الهدى والعدل والتقى فينا، وجعل راية الضلالة والردى في غيرنا..".

فضج الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد أن تكون فتنة، فأمر المؤذن أن يؤذن فقطع عليه الكلام وسكت.

فلما قال المؤذن "الله أكبر"، قال علي بن الحسين عليه السلام: "كبّرت كبيراً لا يقاس ولا يدرك بالحواس، ولا شيء أكبر من الله".

فلما قال "أشهد أن لا إله إلا الله"، قال الإمام عليه السلام:" شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي ومخي وعظمي".

فلما قال "أشهد أن محمداً رسول الله" التفت الإمام عليه السلام من أعلى المنبر إلى يزيد وقال: "يا يزيد، محمد هذا جدي أم جدك؟ فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت، وإن قلتَ إنه جدي فلم قتلتَ عترته؟".

ففرغ المؤذن وقام يزيد وصلّى صلاة الظهر.

نظرة خاطفة في خطبة الإمام السجاد عليه السلام وصداها

لقد اقتصر الإمام عليه السلام في هذه الخطبة على التعريف بأسرته ونفسه ولم يتعرّض لشيء آخر، ولعل السر في ذلك أنه لما كان يعلم أن المجتمع الشامي لا يعرف عن أهل البيت عليه السلام ومنزلتهم الرفيعة شيئاً لكونه تربى في أحضان سلطة الطغاة من بني أمية التي أخفت عنهم الحقائق وغذتهم بالولاء لأبناء الشجرة الملعونة والحقد على آل بيت رسول الله ﷺ اكتفى بذلك، ومن هذا

المنطق نرى أنه عليه السلام يعالج المسألة عاطفياً، لأن تأثيره في هذه المرحلة أكثر من أي أداة، ومضمون الخطبة يرشدنا إلى أن المخاطبين كانوا من جمهور الناس، لا الأشراف والأعيان منهم فحسب، فجو المجلس يختلف عن جو مجلس يزيد العام، الذي كان مزدحماً بالأعيان والأشراف وكبار رجال أهل الكتاب وبعض ممثلي الدول الكبار آنذاك. فلذلك نرى أن الإمام عليه السلام يعدد مزايا آل البيت عليهم السلام ويخص بالذكر رجالاً منهم ليس لهم بديل ولا نظير، فيقول إنّ منا النبي المختار، ومنا الصديق يعني علي بن أبي طالب عليه السلام ويعدد الكثير من الصفات دون أن يصرح في البداية بالمقصود ممن يذكرهم بهذه الأوصاف مثل الصدق، وسيدي شباب أهل الجنة و...، حتى يذكر أوصافاً متعددة لهم تكشف عن بعض زوايا حياتهم وفضائلهم، ليكون أوقع بالنفوس، كما كان ذلك بالفعل.

وبعد ذلك يذكر الإمام عليه السلام أصله وجذره نسباً وموطناً، حتى يعلم الجميع أنه فرع الشجرة النبوية والثمرة العلوية والجوهرة الفاطمية واللؤلؤة الحسينية، ومن قلب مكة والمدينة، فكيف شوّهت السلطة الباغية والحكومة الطاغية الواقع على الناس وأذاعت الكذب وعرفتهم للأمة بأنهم الخوارج على أمير الفاسقين يزيد!

إن الإمام عليه السلام بعد تبيينه مختصات جده رسول الله صلى الله عليه وآله من الوحي والمعراج، يبيّن خصائص جده أمير المؤمنين علي عليه السلام، والمجتمع الشامي يسمع أوصافاً له يسمعها أول مرة، فهو الذي ضرب بين يدي رسول الله بسيفين وطعن برمحين...

ثم يذكر بعض خصائص جدته الصديقة الكبرى الإنسية الحوراء فاطمة الزهراء عليها السلام حتى يصل إلى قمة كلامه "أنا ابن المقتول ظلماً.." يقول

ذلك، والظالم يزيد جالس بين يديه في المجلس، ويشير إلى بعض مأساة كربلاء فيقول: "أنا ابن المحزوز الرأس من القفا، أنا ابن العطشان حتى قضى، أنا ابن طريح كربلاء، أنا ابن مسلوب العمامة والرداء..".

هذا ما جرى في كربلاء، وهذا واقع مقتل الإمام الحسين عليه السلام،وأما الشيء الموجود حالياً في الشام الذي لا بدّ أن يلتفت إليه هذا الجمهور الغافل الضائع فهو أن جسم الإمام الحسين عليه السلام الطاهر وإن كان في كربلاء ولكن رأسه الشريف وحرمه في الشام.

ثم إن يزيد لم يجد مفراً إلا أن يلتجى إلى المؤذن بذريعة الأذان،وقد كان يعلم في البداية أن الإمام عليه السلام لو صعد المنبر يقلب الوضع عليه، ولكنه ما كان يعلم انه يصل إلى هذه الدرجة، وإلا لما رضي بذلك أصلاً.

لقد أثر خطاب الإمام تأثيراً بالغاً في أوساط المجتمع الشامي، فقد جعل بعضهم ينظر إلى بعض، ويسر بعضهم إلى بعض بما آلوا إليه من الخيبة والخسران، حتى تغيرت أحوالهم مع يزيد وأخذوا ينظرون إليه نظرة احتقار وازدراء.

*******

## أهم لقاءات الإمام زين العابدين عليه السلام في الشام

اللقاء الأول كان عندما نزل الإمام زين العابدين عليه السلام عن المنبر، أخذ ناحية باب المسجد، فلقيه مكحول الشامي وهو إمام الشام، وصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ومبغض لأمير المؤمنين علي عليه السلام، فقال له: "كيف أمسيتَ يا ابن رسول الله؟".

قال عليه السلام: "أمسينا بينكم مثل بني إسرائيل في آل فرعون، يذبَحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم، وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم".

أما اللقاء الثاني للإمام زين العابدين عليه السلام مع منهال بن عمر الأسدي في سوقٍ من أسواق دمشق، فقال له : "كيف أمسيتَ يا ابن رسول الله؟". قال عليه السلام: "ويحك أما أن لك أن تعلم كيف أصبحت؟ أصبحنا في قومنا مثل بني إسرائيل في آل فرعون، يذّبحون أبناءنا، ويستحيون نساءنا، وأصبح خير البرية بعد محمد يُلعن على المنابر، وأصبح عدوّنا يُعطى المال والشرف، وأصبح من يحبنا محقوراً منقوصاً حقه، وكذلك لم يزل المؤمنون، وأصبحت العجم تعرف للعرب حقها أن محمداً كان منها، وأصبحت قريش تفتخر على العرب بأن محمداً كان منها، وأصبحت العرب تعرف لقريش حقها بأن محمداً كان منها، وأصبحت العرب تفتخر على العجم بأن محمداً كان منها، وأصبحنا أهل البيت لا يُعرف لنا حق، فكهذا أصبحنا يا منهال".

ونشير إلى تكرار الحادثة والمحادثة مع مكحول ومنهال لا وحدتها، خاصة أن المروي كون محادثة مكحول عند ناحية المسجد، ومكالمة منهال في سوق دمشق، وليس بغريب أن يتكرر ويتقارب جواب في سؤال واحد.

### الإمام زين العابدين عليه السلام يحاور الرأي العام المُضَلّل

اهتم الإمام زين العابدين عليه السلام بمسألة تنوير الأفكار وكشف الحقائق أكثر من أي شيء، ولقد ذكرنا شيئاً من كلامه ومحادثاته وخطبه التي تعالج هذا الجانب، فقد أتى إليه رجل من أهل الشام، فقال له: "أنت علي بن الحسين؟".

قال عليه السلام: "نعم".

قال: "أبوك قتل المؤمنين!".

فبكى الإمام عليه السلام ثم مسح وجهه وقال: "ويلك! وبما قطعت على أبي أنه قتل المؤمنين؟".

قال: "بقوله إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم على بغيهم".

قال عليه السلام: "أما تقرأ القران ؟".

قال: "إني أقرأ".

قال عليهِ السلام: "أما سمعتَ قوله ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا .. وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا.. وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ " هود: ٥٠، ٦١، ٨٤.

قال: "بلى".

قال عليه السلام: "كان أخاهم في عشيرتهم أم في دينهم؟".

قال: "في عشيرتهم".

قال عليه السلام: "فرّجت عني فرج الله عنك".

**حبس بقية الركب الحسيني في الشام**

فقد روي عن فاطمة بنت علي عليه السلام، قالت: "ثم إن يزيد لعنه الله أمر بنساء الحسين عليه السلام فحبسن مع علي بن الحسين عليه السلام في محبس لا يكنّهم من حر ولا قرّ، حتى تقشرت وجوههم".

وكان البيت خراباً بحيث كان يُخشى وقوعه عليهم، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: "أتي بعلي بن الحسين عليه السلام إلى يزيد بن معاوية

ومن معه من النساء أسرى فجعلوهم في بيت، ووكلوا بهم قوماً مـــن العجـــم لا يفهمون العربية، قال بعض لبعض : إنما جعلنا في هذا البيت ليهدم علينا فيقتلنـــا فيه، فقال علي بن الحسين عليه السلام للحرس بالرطانة : تدرون ما يقول هؤلاء النساء؟ يقلن كيت وكيت، فقال الحرس: قد قالوا إنكم تخرجون غداً وتُقتلون، فقال علي بن الحسين عليه السلام: كلا، يأبى الله ذلك، ثم أقبل عليهم يعلّمهم بلسانهم".

***

# الشيخ الشعراوي والتصوف

**للكاتب رجب البنا:**

اتصلت يومًا بالشيخ الشعراوي لتحديد موعد لإجراء حديث صحفي عن رأيه في التصوف والفرق الصوفية وزيدة أضرحة الأولياء والصلاة داخلها وتقبيل الأضرحة وطلب قضاء الحاجات منهم وكان ذلك في السبعينات، وكنت أكتب في الصفحة الدينية في الأهرام، ويومها قال لي:(تعالى أهلاً وسهلاً.. أما التصوف فإن العلم به لا ينفع، والجهل به لا يضر، وأما المتصوفة فدعهم في حالهم فليس منهم ضرر لأحد. بعد ذلك عرفت أنه كان في مرحلة من مراحله الأولى متصوفا ومندمجا في حياة التصوف، ولكنه تحول من الممارسات الصوفية الجماعية إلى الممارسات الفردية بالإكثار من الصلاة والصيام وقراءة القرآن وتلاوة الأوراد والصلاة على النبي. وأنه يفعل ذلك في «الخلوة» في بيته بعيداً عن العيون، لأنه لا يريد أن يقلده الناس، ويكفي أن يرى الناس منه جانبا واحدا هو جانب الداعية المتفرغ للتأمل في كتاب الله والإعداد لأحاديثه عن تفسير القرآن وعن خواطره الإيمانية. عرفت من الشيخ محمد السنراوى الذي كان مستشارا دينيا بالأزهر وكان ملازما للشيخ الشعراوي وهو الذي كان يكتب له خواطره، لأن الشيخ الشعراوي كانت أفكاره تتدفق حرة وبسرعة حين يتكلم بعكس حاله إذا أمسك بالقلم وأراد كتابة ما يجول في خاطره، وظل الشيخ السنراوي وفيا للشيخ الشعراوي بعد رحيله وأنشأ مكتبة ضمت مقتنياته وأعماله وكتبه ومراجعه التي تزيد على ١٠ آلاف كتاب، وقال عن ذكرياته معه إن الشيخ الشعراوي كان يحب «الموالد» التي تقام للأولياء وفي رأيه أن هذه الموالد فيها متناقضات تدعو للتأمل، ففيها المتعبدون المخلصون، وفيها الأغنياء والفقراء،

وفيها السكارى والمخدرون، وفيها الصالحون والدجالون والنشالون، وكل هؤلاء يحتاجون إلى سماع كلمة الحق ليعرفوا الدين الصحيح، وربما يستفيدون من النصيحة، ومهمة الداعية أن يهتم بمخاطبة المنحرفين والضالين أكثر من اهتمامه بمخاطبة المهتدين الصالحين، ولذلك كان بيت الشعراوي مفتوحاً لكل من يقصده، من يريد حاجة يقضيها له، ومن يحتاج إلى مساعدة مالية يعطيها له دون سؤال، ومن يرد الطعام فإن الشيخ لا يترك ضيفه ينصرف إلا بعد أن يتناول معه الطعام، ولم يكن يتناول طعامه وحده أبداً، ويظل منتظراً إلى أن يأتي إليه القاصدون فيأكل معهم، وعموما لم يكن الشيخ الشعراوي يحب أن يكون وحده، ويحب أن يكون الناس حوله دائماً في البيت أو في المسجد أو في بيوت الأصدقاء الذين يزورهم. وربما كانت علاقة الشيخ الشعراوي بالتصوف نتيجة لحياته في صباه وشبابه في قرية «دقادوس» دقهلية، فقد كانت في هذه القرية فرق صوفية عديدة تعقد حلقات للذكر وترديد الأناشيد الدينية والمدائح النبوية. وقد تأثر في طفولته بالشيخ أحمد الطويل فقيه القرية الذي علمه القرآن، والشيخ مصطفى البياضي الذي حببه في الشعر وعلمه بحوره وعرفه على أشعار كبار الشعراء، والشيخ يوسف النجاتي الذي تعلم منه علوم اللغة العربية.

مع شيخه محمد بلقايد وعندما ذهب الشيخ الشعراوي إلى الجزائر للتدريس هناك التقى بالشيخ محمد بلقايد وهو من أكبر شيوخ التصوف في ذلك الوقت، وكان ذلك في بداية فترة الاستقلال ورحيل الاحتلال الفرنسي عن الجزائر، وتمسكِ الجزائريين بالدين الإسلامي وباللغة العربية تعبيرا عن الهوية العربية التي أراد طمسها الاستعمار، ومعروف أن الاحتلال كان يعتبر الجزائر مقاطعة فرنسية فكان التعليم في المدارس باللغة الفرنسية، وأهملت اللغة العربية عمداً، وكان الجزائريون يسافرون إلى فرنسا بدون تأشيرة، بل وكانت الجزائر ضمن الدوائر الانتخابية الفرنسية وينتخب الجزائريون ممثليهم لعضوية الجمعية

الوطنية الفرنسية (البرلمان) ولم تحصل علـى الاسـتقلال إلا بعـد أن ضـحى الجزائريون بمليون شهيد في نضالهم ضد الاستعمار الفرنسي.

في وقت الصحوة الإسلامية والعربية ذهب الشيخ الشعراوي إلى الجزائر في بداية العمل على استعادة الهوية العربية الإسلامية، وتعريب المنـاهج التـي كانت تدرس كلها باللغة الفرنسية، وتطبيق قانون باعتبار اللغة العربية هي اللغة الرسمية في الجزائر بدلاً من اللغة الفرنسية، وعـاش الشـيخ الشـعراوي فـي الجزائر سبع سنوات ارتبط فيها ارتباطا شديدا بشيخه الشيخ بلقايد شيخ الطريقـة «الهبرية» نسبة إلى مؤسس الطريقة الشيخ الهبرى بعد أن أخذ عليه «العهـد»، وكان الشيخ الشعراوى يشارك بصفة دائمة في مجالس الشيخ بلقايد وفي حلقـات الذكر التي يعقدها، وفي مدينة تلمسان وفي هذه المرحلة كان يتمسـك بالجانـب الروحي والتعبدي في التصوف ويحتفظ في نفس الوقت بالجانب العقلانـى فـي تفكيره وسلوكه ودعوته، وعبر عن ارتباطه بالشيخ بلقايد بقصيدة طويلة جدا قال فيها:نور الوجود ورىّ روح الوارد

تزهو بسلسلة لها ذهبية

طوفت في شرق البلاد وغربها

أشفي به ظمأ لغيب حقيقة

فهداني الوهاب جل جلاله

واليوم آخذ نورها عن شيخنا

ذقنا مواجيد الحقيقة عنده

عن شيخه الهبرى درّ كنوزه

إياك من لفت الفؤاد لغيره

شاهد رسول الله فيه فإنه

فإذا وصلت به لنور المصطفى

وهناك تكشف كل سر غامض

سر في طريقك يا مريد ولا تُعر

الله قصدك والرسول وسيلة هبرية تدنى الوصول لعابد

شاهد للمصطفى عن شاهد

وبحثت جهدي عن إمام رائد

وأهيم منه في جلال مشاهد

حتى وجدت بتلمسان مقاصدى

محيى الطريقة محمد بلقايد

وبه عرجنا في صفاء مصاعد

فاغنم لآلئه وجدّ وجاهد

واجعل سبيلك واحداً للواحد

إرث تورث ماجدا عن ماجد

فالمصطفى لله أهدى قائد

وتشاهد الملكوت مشهد راشد

أذنا لصيحة منكر ومعاند

وخطاك خلف محمد بلقايد

انقطع عمله إلا من ثلاث

في الحديث الشريف: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له، وقد اجتمعت للشيخ الشعراوي هذه الفضائل الثلاث، فكان ينفق على الفقراء والمحتاجين أموالاً كثيرة جدا سرا وعلانية، وقد تصادف في أحد أيام شهر رمضان قبل آذان المغرب بقليل أنى كنت في شارع ٢٦ يوليو في بولاق (أبو العلا) في طريقي إلى البيت، فرأيت سيارة مرسيدس تتوقف بجوار رجل يسير بصعوبة ويدل مظهره على رقة الحال، ورأيت السيارة تقترب من الرجل وتتوقف للحظة ويدا تمتد من نافذة السيارة لتعطى للرجل في يده نقودا كثيرة، ولن أنسى وجه الرجل وهو محدق في

النقود في يده وهو يتلفت حوله بحثا عن مصدر هذه الثروة المجهولة المصدر وعلامات الذهول بادية عليه ولكن السيارة أسرعت بالابتعاد، وعند الإشارة توقفت المرسيدس وتوقفت بجانبها فاكتشفت أن الشيخ الشعراوي هو الذي يجلس في المقعد الخلفي وأنه يتجول في هذا الوقت وببصره وبصيرته يتعرف على المحتاجين فيعطهم دون أن يتعرفوا على من يعطيهم وتجرى به السيارة قبل أن يفيق الشخص من المفاجأة، وعلمت بعد ذلك أنه كانت لديه قوائم بأسماء أشخاص وعائلات وطلبة محتاجين تصل إليهم منه رواتب شهرية ولا يعلم بها إلا واحد أو اثنين من مساعديه، وأذكر أنه تبرع بمليون جنيه للأزهر وطلبته المحتاجين وتبرع سرًا بمبالغ كبيرة لمشروعات خيرية في أماكن متعددة وفي معظم الأحيان كانت التبرعات تصل إلى هذه الجهات باسم «فاعل خير».

وقريبا من مسجد السيدة نفسية أقام الشيخ الشعراوى مبنى مكوناً من صالة واسعة جدا ومطبخا كبيرا وعددا من الحجرات للنون والخلوة، وكان يقيم في هذا المبنى أحيانا ولكن المطبخ فكان يعمل يوميا والصالة مفتوحة لتقديم الطعام طوال اليوم لكل من يقصدها دون سؤال عن اسم أو صفة، وقبل وفاته أوصى أبناءه بأن يستمروا في تقديم الطعام ولا يزال الحال كذلك حتى اليوم وفي معظم الأحيان تجد ابنه عبد الرحيم في استقبال وخدمة القاصدين.وفي قريته «دقادوس» بنى الشيخ الشعراوي مسجد الأربعين، واعتاد إقامة خيام لاستقبال الضيوف في المولد الذي يقام سنويا لأحد الأولياء المعروفين بالقرية، ويقدم فيه الطعام للزوار إلى اليوم، وفي القرية مبنى كبير بالغ الفخامة مكون من ٦ طوابق هو مركز للخدمات أقامه الشيخ الشعراوى على نفقته زادت تكلفته على ١٣ مليون جنيه وفيه معهد أزهرى إبتدائى، ومعهد إعدادي ومدرسة رياض أطفال ومدرسة تحفيظ القرآن ومعهد لإعداد معلمي القرآن وفيديو يذيع حلقات الشيخ الشعراوي وفيه أيضًا مكتبة شاملة وعيادات لجميع التخصصات الطبية ولجنة الزكاة تقدم مساعدات شهرية لأكثر من ٣٥٠ أسرة من خلال مشروع كفالة اليتيم

الذي أنشأه الشيخ وأوصى باستمراره، وأمام هذا المجمع يوجد بيت الشيخ الشعراوى وهو مكون من أربعة طوابق وحوله حديقة كبيرة يسكن فيه الآن حفيده الأكبر محمد عبد الرحيم الشعراوى وهو المقيم في الرقية وتأتى عائلة الشيخ في زيارات منتظمة فتقيم فيه لزيارة قبره وإحياء ذكراه. كان التصوف عنده حب الله بالقلب والحياة مع الناس بالعقل وفعل الخير دون انتظار جزاء ولا شكورا من مخلوق، فقط كانت سعادته في إسعاد الآخرين.

*******

# الشيخ الشعراوي يثبت الصفات

الحمد لله وبعد :

قال الشيخ الشعراوى - غفر الله له - في تفسيره [ ١ / ١٩٦٨ ] :

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ النساء ١٦٤

ووقف العلماء هنا وقفة عقلية وقالوا : كيف يتكلم الله إذن؟ . ونقول : إن كل وصف لله ويوجد مثله لخلقه إنما نأخذه بالنسبة لله في إطار : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ الشورى :١١ فإن قلت : إن لله وجوداً وللإنسان وجوداً ، فوجود الإنسان ليس كوجود الله ، وإن قلنا : إن لله علماً ، وللإنسان علماً ، فعلم الإنسان ليس كعلم الله ، وإن قلنا : إن لله قدرة ، وللإنسان قدرة ، فقدرة الإنسان ليست كقدرة الله ، وإن قلنا : إن لله استواء على العرش وللإنسان استواء على الكرسي ، فاستواء الله ليس كاستواء الإنسان . إذن فلا بد أن تؤخذ كل صفة من صفات الله التي يوجد مثلها في البشر في إطار قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [ الشورى : ١١ ]

وبذلك ينتهي الخلاف كله في كل ما يتعلق بصفات الحق .

فالحق له يدان وله وجه ، ولكن لا يمكن للإنسان أن يصور يد الله كيد البشر ، بل نأخذها في إطار ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾وكذلك وجه الله . ومادمنا نأخذ صفات الله في إطار ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ فلا داعي للمعركة الطاحنة بين العلماء في الصفات وفي تأويل الصفات ، ولا داعي أن ينقسم العلماء إلى عالم يؤول الصفات وعالم لا يؤول؛ لا داعي أن يقول عالم : إن يد الله هي

قدرته فيؤول ، وعالم آخر لا يؤول ويقول : لا . إن لله يداً ويسكت . ونقول للعالم الذي لا يؤول : قل : إن لله يداً وهي تناسب قوله :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ . وإذا كنا نحن قد عرفنا في عالمنا أن الأشياء تختلف مواجيدها في الناس باختلاف الناس ، فلابد من أن نعرف أن الله لا مثيل له .

وعلى سبيل المثال : يتلقى الإنسان دعوة لمائدة عمدة قرية ما ، فيقدم له ألوان طعام تناسب مقام القرية ومنصب القيادة فيها ، ويتلقى الإنسان دعوة لمائدة محافظ مدينة فيقدم له طعاماً يناسب مقام المدينة ومنصب القيادة فيها . ويتلقى الإنسان دعوة رئيس الدولة فيقدم له طعاماً يناسب مقام الدولة وهيبة منصب القيادة فيها ، إذن لا تتساوى مائدة طعام العمدة في قرية مع مائدة طعام المحافظ مع مائدة طعام رئيس الدولة ، فإذا كان البشر يوجد الشيء الواحد وهو ملون بألوان مقامات المخلوقين فكيف لنا بمقامات الخالق؟! ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ .

فإذا كان الحق قد أخبرنا أنه كلم موسى تكليماً في قصة الوادي عندما آنس موسى ناراً وذهب إلى النار . فقال الحق : ﴿ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾

فما قول الصوفية ؟ ..

هل الشيخ الشعراوي وهابي ؟ ..

هل الشيخ الشعراوى من تلاميذ ابن تيمية ؟ ..

هل الشيخ الشعراوى من المجسمة المشبهه ؟ ..

# كرامات الأولياء

أولياء الله عز وجل هم المؤمنون المتقون، كما قال الله تعالى : سورة يونس الآية ٦٢ ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [ يونس : ٦٢ - ٦٣ ] .

فكل مؤمن تقي، فهو ولي لله عز وجل بقدر إيمانه وتقواه ، وقد يظهر الله على يديه من خوارق العادات ، وهي ما يسمى بالكرامات .

فـ ( الكرامة ) : خارق للعادة يجريه الله على يد بعض الصالحين من أتباع الرسل ؛ إكراما من الله له ببركة إتباعه للرسل صلوات الله وسلامه عليهم .

وليس كل ولي تحصل له كرامة ، وإنما تحصل لبعضهم ؛ إما لتقوية إيمانه ، أو – ص ١٧٧- لحاجته ، أو لإقامة حجة على خصمه المعارض في الحق ، والأولياء الذين لم تظهر لهم كرامة لا يدل ذلك على نقصهم، كما أن الذين وقعت لهم الكرامة لا يدل ذلك على أنهم أفضل من غيرهم .

وكرامات الأولياء حق بإجماع أئمة الإسلام والسنة والجماعة ، وقد دل عليها القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، وإنما ينكرها أهل البدع من المعتزلة والجهمية ومن تابعهم ، وهذا إنكار لما هو ثابت في القرآن والسنة ، ففي القرآن الكريم : قصة أصحاب الكهف ، وقصة مريم ، وفي السنة الصحيحة مثل نزول الملائكة كهيئة الظلة فيها أمثال السرج لاستماع قراءة أسيد بن حضير رضي الله عنه ، وسلام الملائكة على عمران بن حصين رضي الله عنه ، ولها أمثلة كثيرة ، ومن أراد الاطلاع على هذه المسألة، فليراجع كتاب " الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان " لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

وقد حصل في موضوع كرامات الأولياء التباس وخلط عظيم بين الناس ، فطائفة أنكروا وقوعها ونفوها بالكلية ، وهم الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم ، فخالفوا النصوص وكابروا الواقع ، وطائفة غلت في إثباتها ، وهم العوام وعلماء الضلال ، فأثبتوا كرامات للفجرة والفساق ومن ليسوا من أولياء الله ، بل من أولياء الشيطان ، واعتمدوا في إثبات ذلك على الحكايات المكذوبة والمنامات والخوارق الشيطانية ، فادعوا الكرامات للسحرة والمشعوذين والدجالين من مشايخ الطرق الصوفية والمخرفين ، حتى عبدوهم من دون الله أحياء وأمواتا ، وبنوا الأضرحة على قبور من يزعمون لهم الولاية ممن حيكت لهم الدعايات العريضة ونسب إليهم التصرف في الكون وقضاء حوائج من دعاهم ، وطلب منهم المدد واستغيث بهم ، وسموهم الأقطاب والأغواث بسبب تلك الكرامات المزعومة والحكايات المكذوبة ، فقد اتخذت دعوى الكرامات ذريعة لعبادة من نسبت إليه ، وربما سموا الشعوذة والتدجيل والسحر كرامة؛ لأنهم لا يفرقون بين الكرامة والأحوال الشيطانية ، ولا يفرقون بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وإلا فمن المعلوم أنه حتى من ثبت أنه ولي لله بنص من القرآن أو السنة ، وإن جرى على يده كرامة من الله، لا يجوز أن يعبد من دون الله ، ولا أن يتبرك به أو بقبره؛ لأن العبادة حق لله وحده .

وهناك فروق بين كرامات الأولياء وخوارق السحرة والمشعوذين والدجالين : - ص ١٧٨- منها : أن كرامات الأولياء سببها التقوى والعمل الصالح ، وأعمال المشعوذين سببها الكفر والفسوق والفجور .

ومنها : أن كرامات الأولياء يستعان بها على البر والتقوى أو على أمور مباحة ، وأعمال المشعوذين والدجالين يستعان بها على أمور محرمة، من الشرك والكفر وقتل النفوس .

ومنها : أن كرامات الأولياء تقوى بذكر الله وتوحيده ، وخوارق السحرة والمشعوذين تبطل أو تضعف عند ذكر الله وقراءة القرآن والتوحيد .

فتبين بهذا أن بين كرامات الأولياء وتهريجات المشعوذين والدجالين فروقا تميز الحق من الباطل ، وكما ذكرنا، فإن أولياء الله حقا لا يستغلون ما يجريه الله على أيديهم من الكرامات للنصب والاحتيال ولفت أنظار الناس إلى تعظيمهم ، وإنما تزيدهم تواضعا ومحبة لله وإقبالا على عبادته، بخلاف هؤلاء المشعوذين والدجالين، فإنهم يستغلون هذه الأحوال الشيطانية التي تجري على أيديهم لجلب الناس إلى تعظيمهم والتقرب إليهم وعبدتهم من دون الله عز وجل ، حتى كون كل واحد منهم له طريقة خاصة وجماعة تسمى باسمه، كالشاذلية ، والرفاعية ، والنقشبندية . . . إلى غير ذلك من الطرق الصوفية .

والحاصل أن الناس انقسموا في موضوع الكرامات إلى ثلاث أقسام :

قسم غلوا في نفيها حتى أنكروا ما هو ثابت في الكتاب والسنة من الكرامات الصحيحة التي تجري على وفق الحق لأولياء الله المتقين .

وقسم غلوا في إثبات الكرامات حتى اعتقدوا أن السحر والشعوذة والدجل من الكرامات ، واستغلوها وسيلة للشرك والتعلق بأصحابها من الأحياء والأموات ، حتى نشأ عن ذلك الشرك الأكبر بعبادة القبور وتقديس الأشخاص والغلو فيهم، لما يزعمونه لهم من الكرامات والخرافات .

**والقسم الثالث** : وهم أهل السنة والجماعة ، توسطوا في موضوع الكرامات بين الإفراط والتفريط ، فأثبتوا منها ما أثبته الكتاب والسنة ، ولم يغلوا في أصحابها ، ولم يتعلقوا بهم من دون الله ، ولا يعتقدون فيهم أنهم أفضل من غيرهم ، بل هناك من ص ١٧٩- أولياء الله من هو أفضل منهم ، ولم تجر على يديه كرامة ، ونفوا ما خالف الكتاب والسنة من الدجل والشعوذة والنصب والاحتيال ، واعتقدوا أنه من عمل الشيطان ، وليس هو من كرامات الأولياء ، فلله الحمد والمنة على وضوح الحق وافتضاح الباطل، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [ الأنفال : ٤٢ ] .

# كرامات الأولياء بين الإنكار والتأييد

أنوار في السماء.. وأولياء يطيرون في الهواء وربما شوهدوا يسيرون علي الماء.. أحاديث هنا وهناك عن بركة هذا الشيخ، وطول يد ذاك الولي.. والقدرات الخارقة لهما أحياءا كانوا أو أموات علي علاج أعصي الأمراض وفعل الخوارق والأعاجيب.. كلامنا ليس من نسج الخيال ولا مادة لعمل درامي يترقبه المشاهدون في شهر رمضان، لكنها حقيقة نعيشها وأفكار تنتشر بين أوساط مختلفة في مجتمعنا، ربما يكون هناك من ينكرها ولا يعترف، من الأساس، بوجود شيء اسمه' كرامات الأولياء. أو يعتبره دجلا وخرافة وأساطير، إلا أن قطاعا أكبر يؤمن بوجودها وأهميتها ويبالغ في تقديسها إلي حد تخويف الآخرين وتهديد كل من تسول له نفسه المساس أو الاستهزاء بتلك الكرامات. ولأن الوضع الحالي قد اختلط فيه الحابل بالنابل فسنحاول الوصول إلي حقيقة الأمر دون الهجوم أو التحيز لطرف علي حساب الآخر، فكما أن إنكار ثوابت دينية وحقائق قرآنية يعد جريمة، فليس أقل منه جرما الاعتقاد الخاطئ والتعصب لمفاهيم مغلوطة والتسبب في انحطاط المجتمع فكريا وثقافيا والعودة بنا إلي عصور الجهل والظلام..

## ( غيبيات).. بالنص فقط

كل من يدعي خرافة أو أكذوبة صار يطلق عليها' غيبيات' ليضفي شرعية علي فعلته، لذا كان لابد من تحديد ما هو الغيب أولا،الدكتور محمد السيد الجليند أستاذ العقيدة بجامعة الأزهر يوضح: أن هناك في علم العقائد ما يسمي بعالم الشهادة وعالم الغيب، فعالم الشهادة هو هذا العالم الحسي ( الكون وما فيه من سمائه إلي أرضه بما فيه من عالم الأفلاك والحيوان والنبات والإنسن، وعلي

سبيل الإجمال كل ما يخضع للإدراك الحسي يسمي عالم الشهادة). ولا خلاف بين المفكرين في وجود هذا العالم لأنه مدرك بالحوس وبالعقل أيضًا، لكن الخلاف بين المفكرين في الإيمان بعالم الغيب. وكلمة الغيب كلمة مجملة لأنها تطلق علي عالم الغيب الذي أخبرتنا به الكتب السماوية، ويندرج تحتها الإيمان بالله وملائكته وكتبه واليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجنة ونار وعالم البرزخ، كما يشمل ما يسمي بعالم الجن وأطلق عليه هذا الاسم لأنه مستور عن الحواس أيضًا، والخلاف في هذه الغيبيات يدور بين عقل مؤمن وآخر ملحد، فالعقل المؤمن هو الذي يؤمن بكل ما أخبرت به الرسل عن الغيبيات بالنص الصحيح متنا وسندا، ويعتبر الإيمان بها ركن أساسي في تحقيق معني الإيمان. لكن هناك مشكلات تزاحم هذه الأصول الإيمانية تندرج تحت ما يسمي بالشعوذات والخرافات والدعاوي التي يتبناها بعض المنحرفين ويطلقون عليها غيبيات وهي في حقيقتها لم ينزل بها وحي ولم يخبر بها رسول فضلا عن رفض العقول لها جملة وتفصيلا، وهذه النوعية من الغيبيات المكذوبة لم يخل منها عصر أو زمان، بل وجدت علي مر العصور وظهر من يتبناها ويدعو إليها، إما من منطلق حسن الظن بمدعيها كأن يكون ذا سمعة طيبة أو وجاهة اجتماعية أو منصب ديني رفيع، فيخبر الناس بما يدعيه كذبا أنه رآه أو سمع به، ويندرج تحت هذا كثير من الخرافات التي نسمعها الآن وقبل الآن.

## الخوارق أنواع

الأولياء وما لهم من كرامات من الموضوعات التي لم تأخذ حقها بإنصاف، مما أعطي الفرصة للأدعياء أن يقولوا ويفعلوا ما يشاءون باسمها، الدكتور مصطفي مراد الأستاذ بكلية الدعوة الإسلامية- جامعة الأزهر يبين لنا أن: الأولياء جمع ولي، والولي مشتق من الولاء وهو القرب، فولي الله من والاه بالموافقة له فيما يحب ويرضي، ويتقرب إليه بما أمر به من طاعاته، وكل من

عظم إيمانه وطاعته عظمت عند الله ولايته. وقد ذكر الله تعالي أقسام أهل ولايته ممن اصطفاهم لوراثة كتابه في قوله تعالي: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله.. وذكر النبي صلى الله عليه وسلم درجات الولاية في قوله صلى الله عليه وسلم:( يقول الله تعالى: من عادي لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه). أما الكرامة فهي أمر خارق للعادة يجريه الله علي يد عبد صالح رفعة لشأنه وبينا لصلاحه. وهناك أنواع أخري من الخوارق، منها المعجزة، وهي أمر خارق للعادة يظهر علي يد النبي تأييدا لدعوته، ويعجز الخلق عن الإتيان بمثلها. والكرامة لا تشترط في الولي، فقد يكون العبد وليا وليس له كرامات، كما لا يجوز أن يقف الولي أمام الناس ويقول: أنا ولي ودليل صدق ولايتي أنني أسمع أو أري كذا، لان الأصل في الكرامة الستر والخفاء بخلاف المعجزة. ومن الخوارق أيضًا الإعانة، وهي أمر خارق للعادة يظهره الله علي يد أحد الناس تخليصا له من كربة، فقد يكون رجل مسلم أو غير مسلم في كرب شديد ويستغيث بالله فيخلصه، فلا يصح أن يقال أن هذه كرامة أو معجزة، لان حال الشخص ينبئ عما يقوم به، وعلي هذا دعاوي كثير من العوام الذين يعتقدون أنهم من أهل القرب لله، وهذا كله لا دليل يثبته بل قد يقع علي يد الكافر، وهناك أيضًا ما يعرف بالاستدراج، وهو أمر خارق للعادة يظهره الله علي يد كافر معلن عن كفره استدراجا له واختبارا للناس ولا يدل أبدا علي صلاحه، وهو في أعلي صوره ما يحدث علي يد المسيح الدجال، وفي أدناها ما يحدث علي يد السحرة. لذا فما نراه قد يدخل فيه كثير من الكذب والغش، لان الناس لا يفرقون بين السحر والمعجزة والكرامة والمعونة والاستدراج والشعوذة.

## رؤية الأموات!!

ويؤكد الدكتور مصطفي مراد أن الكرامات في الأصل تظهر علـــي يـــد الأولياء في حياتهم أما بعد موتهم لاسيما إذا كان بفترات طويلة أو بصورة معينة أو بنظام خاص فهذا لا دليل يثبته، ولا مانع أن يرزق الله العبد الصالح بكرامـــة تكون بعد موته بقليل، كما ورد أن بعض الصالحين تكلموا بعد موتهم أو نظر في وجوههم فرؤي النور، لكن أن يغيب آلاف الأعوام ثم تظهر له كرامات فهذا ليس عليه دليل حقيقي من النقل أو العقل، بل العقل الصحيح والنقل الصـــريح يكـــذب هذا،وقد كان أولي بهذا الأنبياء، فلماذا لم يحدث هذا لنبي أو رسول ليـــرد علـــي الملحدين ويؤكد دعوة التوحيد. ويرد علي من يقولون بأنهم يـــرون النبـــي فـــي اليقظة بأنهم ربما فهموا خطأ حديث( من رآني في المنام رآنـــي فـــي اليقظـــة) والمقصود به رؤية الآخرة وليس الدنيا، إذ لو كان هذا ثابتـــا لكـــان أولـــي بـــه الصحابة والسلف الصالح، فقد وقعت أحداث جسام وكانوا في حاجة لأن يظهـــر لهم النبي صلى الله عليه وسلم ليحل لهم هذه المشكلات ولكن هذا لم يحدث.

## طلبها ليس ممنوعًا

هل هناك ضرورة لوجود كرامات في عصرنا الحالي، وهل طلبها يعـــد من التعدي في الدعاء ؟ الدكتور عمر عبد العزيز الأستاذ بكلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر يجيب بأنه: ينبغي أن نعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الإنسان، فإذا احتاج إليها ضعيف الإيمان أتاه الله منها ما يقوي إيمانـــه، ويســـد حاجته، ويكون من هو أكمل ولاية لله مستغنيا عن ذلك، لعلو درجته وغناه عنها وليس لنقص ولايته، ولهذا كانت هذه الأمور في عصور التابعين أكثر منها فـــي عصر الصحابة، هذا بخلاف من يجريها الله على يديه لهداية الخلـــق ولحـــاجتهم فهو أعظم درجة. ويوضح أن هذه الكرامات التي يظهرها الله علي يـــد بعـــض أوليائه تنقص من درجة من يظهرها الله على يديه، لأنها بمثابة تعجـــل الجـــزاء

على الإيمان والتقوى في الدنيا، لذا كان بعض الأولياء يتوبون منها إلي الله ويستغفرون لأجلها. كما يؤكد أنه يجوز أن يسأل المسلم ربه أن يكرمه بما يكرم به أولياءه من أمور خارقة للعادة، وذلك لأنه لم يسأل ممنوعا، ولم يطلب مستحيلا. وحديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة في الغار، فدعا كل منهم بعمله الصالح أن يفرج الله عنهم الصخرة ففرجت عنهم، هو من سؤال الله الكرامة الحقيقية.

وقد تحققت مجموعة من الكرامات للصالحين بعد سؤالهم الله عز وجل ودعائهم بها، مثل دعاء العلاء بن الحضرمي: يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم اسقنا. ودعائه بمثله حتى مشي جيشه علي النهر. وغير ذلك من الأدلة علي جواز سؤال الله خوارق العادات علي وجه الكرامة.

## بدون تفاخر ولا منافسة

وينبه الدكتور عمر عبد العزيز إلي أنه ينبغي أن تكون نية الداعي بالكرامة خالصة لوجه الله تعالي، لا يريد بها مفاخرة ولا مكاثرة ولا منافسة، وإنما يريد أقرب المنازل إلي الله، وأحب المراتب إليه، فيسأل الله تعالى ما يجوز له منها، وهي الكرامة، أما المعجزة فلا تجوز إلا للأنبياء. وأن تقوم الحاجة الداعية لهذا السؤال، كمن يسأل الله الولد علي كبر سنه، أو يسأله المطر والقطر علي قحط السماء وجفاف الأرض، وأما سؤال الخوارق التي لا تفيد امرء في دينه ولا دنياه فهذه لا يجوز الدعاء بها. كما يشير إلى أن كرامات الأولياء لا تدل علي عصمتهم كالأنبياء، فالولي قد يخطئ في بعض أعماله أو عباداته أو توجيهاته، لأنه لم يرسل ويصطفي من الله لهذا الغرض وإنما هو مجتهد فيه، لذا فمن الخطأ أن ترتفع درجة الثقة في أي شخص اشتهر بشيء من الكرامات إلي حد عدم مناقشة أفكاره وأعماله واجتهاداته.

# ألاعيب الشيطان

لابد وأن يكون هناك سبيل لمعرفة أن الخوارق التي يمكن أن نراها هي من كرامات للصالحين وليست حيلا من الشيطان وأعوانه، الدكتور طه عبد الجواد أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة الأزهر يقول: إن كرامات الأولياء لابد وأن يكون سببها الإيمان والتقوى، وقد كان من أقوال عمر رضي الله عنه: ( اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم ما يقولون، فإنه تتجلي لهم أمور صادقة)، يقصد الأمور التي يكشفها الله عز وجل لهم، فلأولياء الله مخاطبات ومكاشفات، وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول:( اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله).

أما ما كان بسبب الكفر والعصيان فهي من خوارق الشيطان، وإنما تحدث عندما يشرك بالله ويعصي مثل الاستغاثة أو دعاء الموتى ، أو أكل المحرمات كالدم والميتة أو سماع مزامير الشيطان والرقص عليها، ومثل هذه الخوارق تنقص عند سماع القرآن الكريم، ومن هؤلاء من إذا حضر سماع المكاء والتصدية ( التصفير والتصفيق بصورة معينة) تتنزل عليه الشيطان حتى تحمله في الهواء وتخرجه من تلك الدار، فإذا حضر رجل من أولياء الله تعالي طرد شيطانه فيسقط، وقد تناول القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾. وقد حدث لكثير من المسلمين أن يأتيهم الشيطان عند الموت فيأمرهم بأن يوصوا بمخالفات شرعية صريحة كعدم الاغتسال ويبشرهم بأنهم من أهل الجنة، ثم يأتي بعد موته لأهله على صورته، ويقضي عنه الديون ويرد الودائع ويفعل أشياء تتعلق بالميت.

# في الرخاء تختفي الخدع

رغم أنه لا أنبياء يعيشون بيننا، ولا أظن أن هناك أولياء كذلك وإذا وجدوا فلا ذكر أو علامة تميزهم في هذا العصر، ومع هذا يكثر الحديث عن كرامات بين الحين والآخر في الموالد وخلافه، فلماذا زادت كرماتنا ولسنا بخير العصور لا إيمانا ولا حتى أخلاقا ؟ الشيخ فرحات المنجي من علماء الأزهر يقول: إن الله سبحانه وتعالي قد احتفظ لنفسه بخمسة أشياء بينها في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ ( لقمان:٣٤). وقال أيضا:﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ..﴾ وقال لنبيه:﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾، ومن هذه النصوص نعلم أن الميت لن يعود وأن علم الغيب له وحده، ومن ادعي غير ذلك كمن يقول إن الخضر عليه السلام حي ويأتيه أو أنه رأي أحد الصالحين عيانا في مكان ما، غير المكان الذي يعيش فيه، أو أنه رأي رجلا ميتا يشهد له بالصلاة في مسجد معين أو يتجول في منطقة ما، فكل هذا دجل واستخفاف بعقول البسطاء. ويشير إلى أن هذه الأمور تكون موجهة بالدرجة الأولي لصرف أنظار الناس عن قضايا أخري اقتصادية واجتماعية وغيرها، وبين هذه الأقوال والأفعال تشابه مع ما يقوم به الساحر الذي يوهم من يقفون حوله بشيء ما مستخدما خفة يده، وهو في نهاية الأمر يستخف بعقولهم ويقوم بتغييبها.

وينبه الشيخ فرحات المنجي إلي إن هذه الأمور تكثر حينما تزداد الأزمات، وما أكثرها في عصرنا، أما في وقت الرخاء الذي لم نره بعد تختفي كل هذه الأشياء، لهذا كثر في عصرنا من يلجأ إلي هذه الأمور بدعوي أنها من

الكرامات، وهي في الحقيقة تعبر عن حالة الفشل التي يعانيها هو ومن حوله في إيجاد حلول واقعية لمشكلاتهم.

ويؤكد أن الإنسان يجب أن يؤمن تماما بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن كل شيء مقدر وبأمر الله سبحانه وتعالي، وأن الله لا يحتاج إلي سبب ليرزق إنسان أو ليسلب آخر، فإذا كان الإيمان قويا اعتقد أن كل شيء مقدر بأمره وأن العالم كله تحت سيطرته والكون كله ملك له، ولن يسمح لأحد أن يعبث في ملكه إطلاقا. وأن هذه القصص التي تروج بين الناس معظمها صناعة بشرية هدفها الأساسي تضليل المجتمع.

## كل الأتقياء.. أولياء

أكثر الناس تطرفًا وغلوًا في موضوع كرامات الأولياء هم مدعي التصوف ويقصون في شأن الصالحين روايات عجيبة يستخفون بها بعقول البسطاء من الناس، الدكتور سالم عبد الجليل وكيل وزارة الأوقاف لشئون الإرشاد الديني يشير أولا إلى: أن الولاية حق وثابتة بالقرآن والسنة، وللأولياء كرامات، تعد في ذات الوقت كرامات لنبينا صلي الله عليه وسلم، إذ لا يحدث لأي ولي كرامة إلا بصفاء عقيدته وحسن متابعته للنبي صلى الله عليه وسلم، فإذا كان للتابع كرامة فهي إذن أولي للمتبوع عليه الصلاة والسلام. غير أن جهال الصوفية يعتبرون الولاية بالجنس أو النسب وليس بالصفات المؤهلة لذلك، وأهل السنة يفقهون قول الله تعالي:﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وصفاتهم:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ..﴾ ، فكل مؤمن تقي هو ولي لله، ولا يصح أن يتخذ واسطة يتوصل بها إلي الله ولا يدعي من دون الله ولا يستغاث به، ولكن بعض هؤلاء الصوفية علي العكس من ذلك،

ومنهم من يدعي أن خاتم الأولياء وهي فكرة غير صحيحة أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم بالله، وأن الأنبياء يستفيدون العلم بالله من جهته.

ويقول إن شيوخ الصوفية فرقوا بين التصوف المحمود والمذموم، فالمتصوف ينبغي أن يكون رجلا تقيا متبعا للسنة، ومن أقوالهم المشهورة: ( إذا رأيتم الرجل يمشي علي الماء أو يطير في الهواء فلا تلتفتوا إليه، فإن الشيطان يطير من المشرق إلي المغرب ويمشي علي الماء، ولكن انظروا في إتباعه الكتاب والسنة، فإن الشيطان لا يقدر على ذلك أبدا)، ومثل هذه الأقوال لو طبقناها اليوم علي الصوفية لخرج منهم الكثيرون عن هذا المعني، وخاصة ونحن نري ونسمع كيف يقوم الشيطان وأعوانه من الجن بالتلبيس عليهم، فهو يظهر لهم عند القبور في صورة صاحب القبر، فيظن الجهال أن المقبور أو النبي أو الصالح هو الذي خرج ليعانقهم أو يصافحهم، وربما يعطيهم بعض ما يسألون عند القبر من نقود أو طعام، أما المؤمن الفقيه فيعلم أنه شيطان.

كما أن كثيرا من العباد يري الكعبة تطوف به، ولهذا تسمع من بعض الصوفية من يقول: أنتم تذهبون للكعبة والكعبة تأتي إلينا، أو يري عرشا عظيما وعليه صورة عظيمة ويري أشخاصا تصعد وتنزل فيظنها الملائكة ويظن أن تلك الصورة هي الله تعالي، ويكون ذلك شيطانا، فالله جل وعلا وإن جاز أن يري مناما علي هيئة نور لا جسم، إلا إنه يقينا لا يري في الدنيا كما قال رسول الله ﷺ

## عقيدة أهل السنة في الكرامات

من عاد إلى كتب أهل السنة وجد موقفهم من الكرامة وسطا بين إنكار الجافين، وتوسع الغالين. قال الطحاوي عن الأولياء: "ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم"

( **شرح الطحاوية : ٢/٧٤٥**). وقال ابن تيمية: "ومن أصول أهل السنة والجماعة: التصديق بكرامات الأولياء وما يُجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات، كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة ( **الفتاوى ، ٣/١٥٦ ، وانظر شرح الواسطية لخليل هراس ، ص ١٧٦ ، وانظر الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف للصنعاني ، ص٢٠**) .

و "لقد تواترت نصوص الكتاب والسنة والوقائع قديماً وحديثاً على وقوع كرامات الله لأوليائه المتبعين لأنبيائه"( **التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة للشيخ السعدي ، ص ٩٧ ، وانظر لوامع الأنوار ، ٢/٢٩٤**.) والأدلة كثيرة. منها: ما ذكره الله من مجيء الرزق لمريم؛ لا من بشر، وكذا إنبات الرطب وإجراء النهر لها؛ ولم يكن شيء منها قبل ذلك، ومنها: ازورار الشمس عن أهل الكهف، فلا تصيبهم مع أنهم في مكان منفتح انفتاحاً واسعاً، ومنها: ما وقع لسارة ــ رضي الله عنها ــ من حملها بإسحاق في سن اليأس، ومنها: إحضار الذي عنده علم من الكتاب عرش بلقيس إلى سليمان ــ عليه السلام ــ (**هذه الكرامات تجدها في السور التالية : آل عمران : ٣٧ ، مريم : ٢٥ ، الكهف : ١٧ ، هود : ٧١، ٧٢ ، النمل : ٤٠**) . وكذا: كفّ يد الظالم عن سارة، ومنها: نجاة أصحاب الغار من الصخرة التي انطبقت عليهم، ومنها: تكلُّم الغلام في المهد، ومنها: عجز الملك عن قتل الغلام حتى قال: بسم الله رب الغلام (**انظر : صحيح البخاري ، ح/٢٣٥٨ ، ٥٠٨٤ ، ٣٤٦٥ ، ٣٤٣٦ ، ٢٠٦**) .

ومن الكرامات الواقعة للصحابة ــ رضي الله عنهم ــ: أن عبد الله بن حرام والد جابر ــ رضي الله عنهما ــ توقّع مقتله في أول من يقتل يوم أحد، فحصل ذلك ودفن مع عمرو بن الجموح ــ رضي الله

عــنــهــما ــ فأخرجه جابر بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم دُفن غير أذنه، ثم دفنه في قبر وحده ( رواه البخاري ، ح/١٣٥١).

وعن أنس أن رجلين من أصــحــــــاب النبي ﷺ خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله ( رواه البخاري ، ح/٤٥٦).

ضوابط قبول الكرامة:

أ – ضابط عام في الكرامات:

ليس من منهج الإسلام التعويل على الكرامات، وجعلها شرطاً للإيمــان؛ فقد عاب الله على المشركين لما طلبوا من النبي ﷺ آيات خارقة، فقال – تعالى – : ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴾ [الإسراء: ٩٠]، إلى قوله – تعالى –: ﴿ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولاً ﴾ [الإســراء: ٩٣] فقد كانت معجزاته ﷺ معتمدة على الحجة والبرهان، وأجلُّها القرآن الكــريم أعظم معجزة أعطيت لنبي،وهي أنفع المعجزات.

ولذا كانت حياته ﷺ تجري موافقة للمألوف جرياً على العادة مــع كونــه أعــظــم الــخــلــق وأشــرفــهــم – ﷺ-؛ فكان يأخذ بالأسباب كما فعل يوم الهجرة(**مع أنه حصلت له معجزات في هجرته**). وهذه خاصية الدين والمنهج الذي يصلح للبقاء، خلافاً لما يظنه كثير من الناس من أن الأولياء يجب أن يتصــرفوا في هذا الكون ويُعْطَوا مفاتيحه!( **انظر تقديس الأشخاص ، ٢/٢٨٨-٢٨٩**).

ب – ضوابط من تقع له الكرامات:

أولاً: أن يكون من وقعت له من عــبــاد الله المؤمنين. "فمن لم يكن له مصدقاً فيما أخبر به ملتزماً طاعته فيما أوجب وأمر به في الأمور الباطنة التــي في القلوب والأعمال الظاهرة التي على الأبدان لم يكن مؤمناً فضــلاً عــن أن يكون ولياً لله، ولو حصل له من خوارق العادة ما عسى أن يحصل؛ فإنه لا يكون

مع تركه لفعل المأمور وترك المحظور - من أداء الواجبات من الصلاة وغيرها بطهارتها وواجباتها - إلا من أهل الأحوال الشيطانية المبعدة لصاحبها عن الله المقربة إلى سخطه وعذابه"( الفتاوى ، ١٠/٤٣١).

ثانياً: أن لا يجزم في كل خارق يحصل له أنه كرامة؛ بل الواجب عليه أن يعرض أقواله وأفعاله على الكتاب والسنة، فإن كانت موافقة لهما فهي حق وصدق وكرامة من الله - سبحانه - وإن كانت مخالفة لشيء من ذلك فليعلم أنه مخدوع ممكور به، قد طمع منه الشيطان فلبّس عليه"( قطر الولي ، ص٢٧٢).

ثالثاً: أن لا يدعي صاحبها الولاية؛ لتعذر الجزم بقبول العمل، كما وصف الله - عز وجل - حال أوليائه المؤمنين المتقين، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴾. [ المؤمنون: ٦٠]. وقد سألت عائشة - رضي الله عنها - النبي ﷺ عن هذه الآية فقالت: أهُمُ الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: "لا، يا بنت الصديق؛ ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون ألا يُقبَل منهم، أولئك يسارعون في الخيرات"( أخرجه الترمذي ، ح/٣١٧٥ ، وصححه الألباني ، ح/٢٥٣٧).

ثم إن في ادعاء الولاية تزكية للنفس وذلك منافٍ لحال الولاية.

رابعاً: أن لا تكون الكرامة غايته، يطلبها ويسعى في حصولها؛ فهو خلاف حال السلف.

ج - ضوابط الكرامة ذاتها:

أولاً: أن لا تشتمل الكرامة على ترك شيء من الواجبات، أو فعل شيء من المحرمات، أو التزام شيء من العبادات لم يرد فيه نص شرعي؛ وذلك لأن الولي إنما نال الكرامة بطاعته وإيمانه؛ فلا يمكن بحال أن تكون تلك الكرامة سبباً لتركه شيئاً مما نالها به، ثم إن المحرَّم خبيث، والله لا يكرم عبده

بخبيث؛ كما أن من دلائل الولاية الوقوف عند النصوص الشرعية فلا يكون ولياً لله من أحدث في دين الله – تعالى – ما ليس منه.

قال ابن الجوزي – رحمه الله: "وقد لبَّس إبليس على قوم من المتأخرين فوضعوا حكايات في كرامات الأولياء ليشيدوا – بزعمهم – أمر القوم؛ والحق لا يحتاج لتشييد بباطل" ثم ساق قصة تُروى عن سهل بن عبد الله فيها أن أحد الأولياء اشترط عليه أن يرمي ما معه من الزاد حتى يعطيه نور الولاية فتكون له خوارق العادات، ففعل، إلى أن قال سهل: فغشيني نور الولاية! ثم علَّق ابن الجوزي بقوله: "ويدل على أنها حكاية موضوعة قولهم: (اطِّرِحْ ما معك)؛ لأن الأولياء لا يخالفون الشرع، والشرع نهى عن إضاعة المال" (تلبيس إبليس ، ص٢٨٥.)

كما أمر بفعل الأسباب.

ومثال ذلك أيضًا: من تحمله الجن فيحج مع الناس بلا إحرام ولا مرور بميقات.. خداعاً من الجن له.

ثانياً: ألا تشتمل على ما عُلِم في الشريعة عدم وقوعه، كدعوى لقيا النبي ﷺ يقظة، وكأن يرى شخصاً على صورة نبي أو ملك أو صالح يقول له: قد أبحت لك الحرام، وأحللت لك الحلال، أو أسقطت عنك التكاليف.

قال الشاطبي: "مخالفة الخوارق للشريعة دليل على بطلانها في نفسها، وذلك أنها قد تكون في ظواهرها كالكرامات، وليس كذلك؛ بل من أعمال الشيطان. كما يُحكى عن عبد القادر الجيلاني أنه عطش عطشاً شديداً، فإذا سحابة قد أقبلت وأمطرت عليه شبه الرذاذ حتى شرب، ثم نودي من سحابة: "يا فلان! أنا ربك، وقد أحللت لك المحرمات" فقال له: "اذهب يا لعين". فاضمحلت السحابة. وقيل له: بِمَ عرفت أنه إبليس؟ قال: بقوله: "قد أحللت لك المحرمات". هذا وأشباهه لو لم يكن الشرع حَكَماً فيه لما عرف أنها شيطانية"( الموافقات ، ٢/٢٧٥-٢٧٦.).

ثالثاً: ألا يستعين بالكرامة على معصية الله - عز وجل - فإن أكمل الكرامات ما كان معيناً على طاعة الله - عز وجل - أما الكرامة والكشف والتأثير إن "لم يكن فيه فائدة ــ كالاطّلاع على سيئات العباد، وركوب السباع لغير حاجة، والاجتماع بالجن لغير فائدة، والمشي على الماء مع إمكان العبور على الجسر ــ فهذا لا منفعة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهو بمنزلة العبث واللعب" (**مجموع الفتاوى ، ٣٢٨/١١**).

رابعاً: ثبوتها: قال الطحاوي: "ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم"( **شرح الطحاوية . ٧٤٦/٢**). وقد يتعسر ذلك كثيراً بعد انقطاع عصر الرواية، ولقلة من يعتمد عليه في نقل الأخبار في الأعصر المتأخرة.

## فوائد الكرامة:

**الفائدة الأولى:** دلالتها على قدرة الله وكمال مشيئته وعلى كمال علمه وكمال غناه.

**الثانية:** أن وقوع الكرامات للأولياء في الحقيقة معجزات للأنبياء، والمعجزات فيها دعوة للإيمان، والكرامات تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسل( **النبوات : ١٩ - ٢٠** ).

**الثالثة:** أن الكرامات من البشرى المعجلة في الدنيا المذكورة في آية الأولياء: لهم البشرى" في الحياة الدنيا [يونس:٦٤]. وهي "كل أمر يدل على ولايتهم وحسن عاقبتهم، ومن ذلك الكرامات"(**انظر : التنبيهات اللطيفة ، للسعدي : ٩٩-١٠٠**).

**الرابعة:** تقوية إيمان العبد وتثبيته، قال الله – تعـالى –:﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ... ﴾ [الأنفال: ١٢] ولهذا قلَّت الكرامات في عهد الصحابة، وكثرت بعدهم؛ وذلك لقوة إيمانهم، وضعف من بعدهم بالنسبة إليهم، وذلك أن الصحابة شاهدوا التنزيل وعايشوا النبي ﷺ ، ومن بعدهم آمن بالغيب فاحتاج إلى شيء يزيد يقينه (**طبقات الشافعية ، ٣٣٣/٢ ، وانظر شرح الطحاوية ، ٧٤٧/٢ ، ٧٤٨ ، وتعليقات الشيخ ابن باز ــ رحمه الله ــ على التعليقات المنيفة ، ص٩٨ ، والفرقان: ١٢٨ : ٥٣٤/٤. والسير: ٩٣٤/٤**).

**الخامسة:** إقامة الحجة على العدو، كما حصل لخالد – رضي الله عنه – في شرب السم، وكقصة أبي مسلم الخولاني (**انظر: تعليقات ابن باز ، والرسل والرسالات للأشقر ، ص ١٥٥ ، وانظر: الفتح ، ٤٤٣/٧ فيما نقل عن ابن بطال**). وفي هذا نصرة لدين الله ورفعة لكلمته إحقاقاً للحق وإبطالاً للباطل. كما حصل لأصحاب الكهف.

**السادسة:** إكرام من الله – تعالى – لعباده لصلاحهم وقوة إيمانهم، كما حصل لمريم من الرزق (**الرسل والرسالات ، للأشقر ، ١٥٥**).

**السابعة:** قضاء حاجة صاحب الكرامة أو حاجة غيره، وإنقاذه أو إنقاذ غيره، كما حصل لسعد – رضي الله عنه – في قصة مرورهم على الماء، وكما حصل لسارية حيث نُجِّي الجيش عامة، وليس هو وحده.

**الثامنة:** ابتلاء من وقعت له الكرامة أيشكر أم يكفر؟ أيتواضع لله أم يغتر بعمله فيهلك؟

**التاسعة:** في وقوع الكرامة لناس دون آخرين ابتلاء لمن لم تقع لهم: هل الكرامة غايتهم من الاستقامة؟ وهل يثبتون بلا كرامة أم يتزعزع إيمانهم؟

العمل بمقتضى الكرامات:

من فوائد الكشف والإلهام والفراسة والرؤى – وهي من الكرامات –: تحصيل الخير وتوقي الشر قبل وقوعه.

وشرط ذلك: ألا يعارض العملُ - بناءً عليها - حكماً شرعياً ولا قاعدة دينية، ومثاله: لو شهد شاهدان عدلان في أمر، فرأى القاضي في منامه النبي ﷺ يقول له: (لا تحكم بهذه الشهادة؛ فإنها باطل)، فإنه لا يجوز له العمل بمقتضى هذه الرؤيا؛ لأنها تهدم قواعد الشريعة. وكذا: لو حصلت له مكاشفة بأن الماء الذي يريد الوضوء به مغصوب أو نجس، فإنه لا يتركه ويتيمم؛ لأن فتح هذا الباب يبطل العمل بالظاهر، ويلغي الشريعة.

وقد ذكر الشاطبي - رحمه الله - أوجهاً مما يسوغ العمل بالخوارق على وفقها، منها:

١- أن يكون في أمر مباح، كأن يرى رؤيا بأن فلاناً سيأتيه في وقت ما، فيتأهب لاستقباله، لكن لا يعامله إلا بما هو مشروع.

٢- أن يكون العمل عليها لفائدة يرجو نجاحها، كما أخبر النبي ﷺ أصحابه أنه يراهم من وراء ظهره؛ لفائدة إقامة الصفوف، وأخرى هي تقوية إيمان من سمعه.

٣ - أن يكون فيه تحذير أو تبشير ليستعد ويتأهب.

وقال: "إنما ذكرت هذه الأوجه الثلاثة لتكون مثالاً يحتذى حذوه، وينظر في هذا المجال إلى جهته" ( **الموافقات : ٢٧٥/٢ ، انظر : ٢٦٦/٢ ، وما بعدها** ).

## أعظم الكرامة لزوم الاستقامة:

ليس وقوع الخارق أمراً لازماً للولي، فكم من الأولياء الصادقين - من الصحابة فمن بعدهم - قلم تقع لهم خوارق! وكم من السحرة والمبطلين من وقعت لهم الخوارق!

ولا شك أن الخوارق ابتلاء للعبد من جنس النعم، وليس حصولها برهاناً على فضل الرجل عند الله، ولا عدمها دليلاً على هوانه. قال الله – تعالى –: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ۝ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴾ [الفجر:١٥ – ١٧].

لكن الكرامة الحقة – التي بها نجاة العبد – إنما هي استقامته على أمر الله – عز وجل – حتى يأتيه اليقين.

قيل لأبي محمد المرتعش: "فلان يمشي على الماء! قال: عندي أن من مكّنه الله من مخالفة هواه فهو أعظم ممن يمشي على الماء!" ( سير أعلام النبلاء ، ١٥/٢٣١).

قال ابن أبي العز الحنفي – رحمه الله : "قال أبو علي الجوزجاني: كن طالباً للاستقامة لا طالباً للكرامة؛ فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة. قال الشيخ السُّهروردي في عوارفه: وهذا أصل كبير في الباب؛ فإن كثيراً من المجتهدين المتعبدين سمعوا عن سلف الصالحين المتقدمين وما مُنحوا به من الكرامات وخوارق العادات؛ فنفوسهم لا تزال تتطلع إلى شيء من ذلك، ويحبون أن يرزقوا شيئاً منه، ولعل أحدهم يبقى متهماً لنفسه في صحة عمله؛ حيث لم يحصل له خارق **(الواجب أن يبقى الإنسان متهما لنفسه في صحة عمله ، سواء وقعت له الكرامة أم لا لأنه جزم بقبوله شهادة لنفسه بأن من المتقين وأنه من أهل الجنة وقد كان دأب الصالحين وسنتهم البقاء بين الخوف والرجاء بعد أداء الطاعات )**، ولو علموا بسر ذلك، لهان عليهم الأمر، فيُعلم أن الله يفتح على بعض المجاهدين الصادقين من ذلك باباً. والحكمة فيه أن يزداد بما يرى من خوارق العادات وأمارة القدرة يقيناً، فيقوى

عزمه على الزهد في الدنيا والخروج عن دواعي الهوى، فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة؛ فهي كل الكرامة"( **شرح الطحاوية ، ٧٤٧/٢ - ٧٤٨**).

ولا شك أن من أعظم الكرامات: ما أكرم الله به سلف الأمة وعلماءها والمجددين والمصلحين فيها؛ حيث بارك في أوقاتهم، وأعمارهم، وأعمالهم؛ فكتب بعضهم ما يعجز غيره على نسخه في مدة عمره (**عد السبكي هذا الأمر من الأدلة على وقوع الكرامات ، انظر طبقات الشافعية ، ٣٣٣/٢-٣٣٤**)، وكان لعلومهم من الأثر ما نراه إلى يومنا هذا، وكتب الله لها البقاء والنماء، وكم كان للمصلحين من الأثر، وكم يترتب على مواقفهم الحميدة من آثار تجنيها الأمة طيلة سنين أو قرون! وتأمّل قوله - تعالى - في فضل من آتاهم العلم: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة: ٢٦٩]. فأين هذا ممن تكون كرامته: الإكرام بمال، أو طعام، أو كشف في حادثة، أو قدرة على أمر؟!

ومن أوجه تفضيل الاستقامة على الكرامة:

١ - أن الدين لا يُنال إلا من جهة الرسول ﷺ ، واختصاصه به يفضله على بقية الخوارق.

٢ - أن الدين لا يعمل به إلا المؤمنون، أما الخوارق فإنها لهم ولغيرهم.

٣ - أن العلم بالدين والعمل به ينفع صاحبه ولا يضره، وقد يقع له من حصول الخارق مضرة من عُجْبٍ ونحوه.

٤ - أنه يدفع مضرة الدنيا والآخرة من غير حاجة إلى كشف.

٥ - أن الكشف والتأثير قد يكون فيه فائدة وقد لا يكون.

٦ – أن الدين إذا صح أوجب خرق العادة إذا احتاج إليه صاحبه؛ لقول الله – تعالى –: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ... ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

٧ – أن الدين هو إقامة حق العبودية، وهو فعل ما وجب عليك، وأما الخوارق فهي من حق الربوبية؛ إذ لم يؤمر العبد بتحصيلها وفعلها (**قاعدة في المعجزات والكرامات ٢٩ ، ٣٧**).

## المخالفون لأهل السنة في الكرامات:

وهم فئتان: متوسعون في إثبات الكرامة، ومنكرون لوقوع ما سوى المعجزات. فأما المتوسعون فهم: الأشاعرة والماتريدية والصوفية والرافضة.

## الأشاعرة والماتريدية:

خالف الأشاعرة أهل السنة في بعض تفاصيل مسائل النبوات والمعجزات والكرامات. ومن ذلك: "قولهم: إن كرامات الأولياء ليست من آيات الأنبياء" وهذا راجع إلى مذهبهم "في شروط المعجزة؛ حيث جعلوا منها: أن تقارن دعوى النبوة، وهذا مخالف لمذهب الجمهور الذين جعلوها من آيات الأنبياء؛ لأنها مستلزمة لنبوتهم وتصديقهم فيها، ولولا تصديقهم للأنبياء واتباعهم لهم، لم تكن لهم كرامات"( **موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، د. عبد الرحمن المحمود ، ٣/١٣٧٨ ، ١٧٨٢**).

وزعم الباقلاني أن "الخوارق تدل على الولاية بالإجماع، مع تجويزه ظهورها فيه على أيدي الكفرة والسحرة. وهذا تناقض" ( المصدر السابق : ٣/١٣٨٢.).

ومما غلط فيه الأشاعرة والماتريدية (انظر : **المتريدية دراسة وتقويما ، أحمد بن عوض الله الحربي ، ص ٣٨٦.**): زعمهم: أن كل ما وقع معجزة لنبي جاز وقوعه كرامة لولي (**انظر: أصول الدين ، للبغدادي : ١٧٤ ، ١٧٥. والإرشادية للجويني : ٢٦٧ ، ٢٦٩. والمواقف للإيجي : ٢٤٠.**)، وهذا توسع في إثبات الكرامة، وهو مردود بكون "معجزات الأنبياء التي هي دليل صدقهم لا يجوز أن يأتي بها أحد غيرهم لا من المخالفين، ولا من الموافقين؛ لأن المعنى في إعجازها أنها لا تتكرر لغيره ممن ليس في منزلته؛ لأنها إذا أتت على يد غيره لا تصلح أن تكون شاهدة على صدقه هو فقط؛ لأن أساس هذه الشهادة هو عجز غيره عن الإتيان بمثل ما أتى به حتى تبقى حاملة أسرار الإعجاز كلها" ( **موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية ، د. أحمد بناني ، ص٢٣١.**).

## الصوفية والكرامات:

غلا الصوفية في أمر الخوارق، فشرّقوا فيها وغرّبوا، ولعل أهم ما يميزهم عن أهل السنة – في هذا الباب – أمور أهمها(**انظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ، محمد أحمد لوح ، ٢٩٣/٢ ، ٣١١**):

أولاً: اعتبار الخوارق معياراً للولاية، وأن من لا كرامة له لا ولاية له. قال الشعراني في ترجمة محمد الغمري عن قوله: "وكان سيدي أحمد لا يأذن قط لفقير [لمريد أو صوفي] أن يجلس على سجاده إلا إن ظهرت له كرامة"( **الطبقات الكبرى ، للشعراني ٨٨/٢.** ).

ثانياً: الشغف بالخوارق، وتفسير كل خارق أو أمر غريب بأنه كرامة حتى صارت همهم، قال ابن الجوزي: "عن إبراهيم الخراساني أنه قال: احتجت يوماً إلى الوضوء، فإذا أنا بكوز من جوهر، وسواك من فضة رأسه ألين من الخز، فاستكت بالسواك، وتوضأت بالماء، وتركتهما وانصرفت"

ثم علق عليها ابن الجوزي فقال: "في هذه الحكاية من لا يوثق بروايته، فإن صحت دلت على قلة علم هذا الرجل؛ إذ لو كان يفهم الفقه علم أن استعمال السواك الفضة لا يجوز؛ ولكن قلّ علمه فاستعمله، وإن ظن أنه كرامة، والله - تعالى - لا يكرم بما يمنع من استعماله شرعاً"( تلبيس إبليس ، ص٣٨٢).

ثالثاً: لما جعل الصوفية الكرامة أساس الولاية حرصوا على جمع الكرامات لمن ادعوا لهم الولاية، وتعدى الأمر إلى الاختلاق والكذب، ومما نسجوه ما ذكره الشعراني عن أبي بكر البطائحي أنه "أول من ألبسه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - الخرقة ثوباً وطاقية في النوم، فاستيقظ فوجدهما عليه، وكان يقول: أخذت من ربي - عز وجل - عهداً أن لا تحرق النار جسداً دخل تربتي، ويقال: إنها ما دخلها سمك ولا لحم قط فأنضجته النار أبداً" ( الطبقات الكبرى ، للشعراني ، ١٣٢/٢).

وكأن الكذب بدأ فيهم من قديم، فتنبه له بعض كبارهم؛ فقد قيل لرابعة العدوية: "يا عمة! لمَ لا تأذنين للناس يدخلون عليك؟ قالت: وما أرجو من الناس؟ إن أتوني حكوا عني ما لم أفعل. ثم قالت: يبلغني أنهم يقولون: إني أجد الدراهم تحت مصلاي، ويطبخ لي القدر بغير نار، ولو رأيت مثل هذا فزعت منه" قيل لها: إن الناس يكثرون فيك القول، يقولون: إن رابعة تصيب في منزلها الطعام والشراب؛ فهل تجدين شيئاً فيه؟ قالت: يا بنت أخي! لو وجدت في منزلي شيئاً ما مسسته، ولا وضعت يدي عليه" ( انظر : تلبيس إبليس ، ص ٣٨٣، وانظر: تقديس الأشخاص ، ٢٩٨/٢ ، وانظر أمثلة أخرى في الطبقات الكبرى للشعراني : ١٠٧/٢ ، ١٢٦. ، ١٣٦ ، ١٤٠ ).

رابعاً: كرامات الصوفية وخوارقهم كما أنها لا مكان لها عند العقلاء، فإنها لا كرامة لها عند العلماء بشريعة الله - عز وجل - وكم في كراماتهم

المحكية من معارضات ومخالفات للشريعة المحمدية! ومن ذلك: أن أحدهم كان يتشوش من قول المؤذن: الله أكبر فيرجمه، ويقول: عليك يا كلب، نحن كفرنا يا مسلمون حتى تكبروا علينا؟! (**الطبقات الكبرى ، ٢/١٤٠ وانظر : بدع الاعتقاد ، محمد الناصر ، ص ٢٢٣.**).

أما ما يذكرونه عن بعض من يذكرون بالخير من الشطحات والأحوال المُنْكَرَةِ، فإن الواجب التثبت منه؛ لعدم الثقة في نقلهم، وما ثبت منه فإن منه ما يكون عوارض تعرض لهم بسبب بعض أعمالهم؛ فإن من خلط في عمله اختلطت خوارقه، ولهذا أمرنا أن نقول كل صلاة: اهدنا الصراط المستقيم [الفاتحة: ٦] (**انظر : أولياء الله عقلاء ، لابن تيمية :.٧٥**).

# الرافضة والكرامات

يفضل غلاة الرافضة أئمتهم على الأنبياء، ثم صار ذلك من أصول الشيعة الاثني عشرية (**أصول مذهب الشيعة ، د. ناصر بن عبد الله القفاري . ٢/٦١٤**).

ويرى الرافضة أن خوارق الأولياء "معجزات لإثبات الإمامة وإقامة الحجة"، وأنها ليست من قبيل الكرامات بل هي كمعجزات الأنبياء أو أعظم، وقد بوَّب صاحب كتاب بحار الأنوار لهذا المعنى باباً بعنوان: "إنهم يقدرون على إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وجميع معجزات الأنبياء". وأورد فيه جملة من أحاديثهم (**انظر: بحار الأنوار : للمجلسي : ٢٧/٢٩-٣١** ).

"وللقوم ولع غريب وتعلق عجيب بسرد الحكايات وغرائب الأساطير التي هي أحياناً أشبه بعمل السحرة والمشعوذين، وحيناً هي من ضروب الخيال، وغرائب الأحلام. وهذه المعجزات لا تزال تتولد عند الشيعة وتتجدد" (**أصول مذهب الشيعة : ٢/٦٢٣ – ٢٦٢**).

## المنكرون للكرامات:

وهم: الفلاسفة (انظر : شرح الواسطية ، لهـراس ، ص ١٧٨) ، والمعتزلــة (انظر: المعغني لعبد الجبار ، ٢٤١/١٥. والكشاف للزمخشري ، ١٧٢/٤ ، والنبــوات ص ١٦ ، وشرح الطحاوية ، ص٧٥٢. )، ومن تأثر بهم (انظر رسالة التوحيد ، لمحمد رشيد رضا ، ص١٧٦ ، ١٧٧ ، وتسفير المنار ٢٩٣/١٢ ، ٧٤/٢ ، ٣١٦/٢.)، وابــن حــزم (انظر : الدرة فيما يجب اعتقاده ، ص ١٩٤ ، ١٩٧ )، وبعض الأشاعرة كالإسفراييني (انظر : طبقات الشــافعية ٢٦٠/٤.). وتبعهم معاصرون من مدعي العقلانية، ويرون أنه لا يقع من الخوارق غير معجزات الأنبياء.

## وهذه بعض شُبَهِ القوم مع مناقشتها:

الشبهة الأولى: قالوا: إن تــجــويــز الــكــرامــــات يفــضي إلــى السفسطة؛ لأنه يقتضي تجويز انقلاب الحجر ذهباً، والبحر دماً عبيطــاً. والــرد على هذا من ثلاثة أوجه:

**الأول:** أنه لا يُسلَّم ببلوغها هذا المبلغ.

**والثاني:** أن ذلك يجوز ولا يقتضي سفسطة؛ لأن ما ذكرتم وارد علــيكم في زمن النبوة.

**والثالث:** أن التجويزات العقلية لا تقدح في العلوم المادية؛ وجواز تغيــر العادة بسبب الكرامة تجويز عقلي فلا يقدح فيها (انظر: طبقــات الشــافعية ، ٢٦٠/٤ وما بعدها ، وانظر حول الأولياء والكرامات ، د. الأنور : ٣٥).

**الشبهة الثانية:** أن الكرامة لو جازت لاشتبهت بالمعجزة، فلا يبقى لهــا دلالة على النبوة.

والــرد علــــى هــــذه الشبهة بمنــــع الاشتباه – كما تقــدم التفريق بينهما في مبحث سابق –. ثم إن الولي لو ادعى النبوة بعد ظهور الكرامــة لــه

لكان كاذبا، ولم يكن ولياً( **المرجع السابق ، شرح الطحاوية ، ٧٥/٢. ولوامه الأنوار ، ٣٩٤/٢).**

**الشبهة الثالثة:** أن الكرامة لو ظهرت لولي لجاز الحكم له بمجرد دعواه أنه يملك شيئاً من غير بينة لظهور درجته المانعة من كذبه، وهذا خلاف قاعدة: "البينة على المدعي" والرد: أن الكرامة لا توجب عصمته ولا صدقَهُ في كل الأمور، وهذا يضبطه الشرع ولا يخرج عنه(**المرجع السابق ، ٣٥).**

**الشبهة الرابعة:** أنها لو جازت سراً وهو أولى من العلن، وهذا يفضي إلى أن لا يستدل بها على النبوة، ثم إن تكرارها يفضي إلى التحاق الخوارق بالعادات فلا تصدق معجزات الأنبياء! والرد من وجهين :

**الأول** : أنها تجوز على وجه لا يصير ادة.

**الثاني:** وهو أنها تجوز بحيث لا تظهر ولا تشيع ولا تلتحق بالمعتاد. وتكررها للولي لا يخرجه عن طريق السداد، وإلا فلا يكون ولياً على التحقيق، ثم إن المعجزة تتميز عن الكرامة كما سبق. وهذه الشبهة لو جاز إيرادها لكان في كرامات الأمم السابقة، دون هذه الأمة.

**الشبهة الخامسة:** أنه لو كان لها أصل لكان أولى الناس بها الصدر الأول، ولم يظهر عنهم شيء منها.

قال ابن السبكي :"وهذا قول مرذول، فلو حاول مستقص استقصاء كرامات الصحابة - رضي الله عنهم - لأجهد نفسه ولم يصل إلى عشر العشر" (**طبقات الشافعية : ٢٦٠/٤).**

وموردو هذه الشبهة يراوغون في الكلام، فمثلاً: القاضي عبد الجبار في المغني لم يعرض للأدلة المثبتة للكرامات من القرآن، والزمخشري يقول

بخصوصٍ منفي على إبطال العموم، كما استدل بقوله – تعالى –: ( عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ) [الجن:٢٦]، على إبطال جميع الكرامات . ورد بقول الاسكندري في الانتصاف(**الانتصاف فيما بتضمنه الكشاف من الاعتزال مع الكشاف ص ١٧٢** ).

**الشبهة السادسة:** أن مشاركة الأولياء للأنبياء في ظهور الخوارق يخل بعظيم قدر الأنبياء ووقعهم في النفوس(**لوامع الأنوار ، ج٢ ، ص٣٩٤**).

وهذا مردود؛ فلا يخفى أن في الكرامة تصديقا للأنبياء، وما حصلت لهم إلا ببركة اتباعهم للرسل(**الفرقان ، ١٢٠**)، وقد ناقش شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – المنكرين ورد عليهم في النبوات(**انظر : النبوات ص ٢٠٤ ، ٢٠٦** )، كما ناقش المعتزلة في خوارق العادات من أحد عشر ( **انظر : النبوات ، ص ١٧٥ – ١٩١**).

وبعد؛ فليس إنكار الكرامات سديداً؛ لمعارضته من قبل الشرع والواقع، ولا التوسع فيها جائزاً؛ لمخالفته نهج الصواب.

إننا نثبت الكرامات لأولياء الله الصالحين، ونقول: ليس كل من أتانا بخارق عددناه ولياً، ما لم يكن ملتزماً بهدى السابقين الأولين –رضي الله عنهم– . وفي الوقت نفسه: لا ننتقص أحداً من الصالحين؛ لأنه لم تقع له كرامة؛ فكم من ولي لم يحصل له خارق! وإن أعظم كرامة لزوم الاستقامة. نسألك اللهم حسن الختام.

*******

# أصول أهل السنة والجماعة

## كرامات الأولياء

كرامات الأولياء ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح، فمذهب أهل السنة والجماعة التوسط في إثبات كرامات الأولياء، فلا مغالاة كالصوفية، ولا نفي لإثبات الكرامات كالمعتزلة، وفرق كبير بين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، وأعمال السحرة والكهنة والعرافين، ومعجزات الأنبياء كثيرة وكرامات الأولياء ثابتة، ولا تتحقق إلا لمن اتقى الله وحسنت متابعته للنبي ﷺ.

**كرامات الأولياء بين اعتقاد أهل السنة والجماعة واعتقاد الفرق الأخرى .**

### الفوارق بين الكرامة والمعجزة وما يجري على يد السحرة والعرافين .

أما الفوارق بين الكرامة والمعجزة وما يجري على يد السحرة والكهنة والعرافين، ابتداء: أن المعجزة تكون على يد نبي، والكرامة تكون على يد ولي، وهذا اصطلاح المتأخرين من أهل السنة، ومن قبل في العصور الأولى للإسلام كانوا يطلقون لفظ المعجزة على المعجزة والكرامة، لكن المتأخرين فرقوا بين المعجزة التي يأتي بها النبي، وبين الكرامة التي تكون على يد الولي، والمعجزة مصحوبة بالتحدي ولابد، خلافاً للكرامة؛ لأن الولي لا يحل له أن يتحدى بمنة الله عز وجل عليه، وما كانت هذه الكرامة إلا تثبيتاً له على موقفه الإيماني، أو نصرة لدين الله عز وجل في موقف يحتاج إلى نصرة، أو عوناً له على قضاء حاجاته، أو خروجاً له من مأزق وقع فيه، فلا يتحدى بمنة الله تعالى عليه، أما

النبي فإنه يأتي ومعه المعجزة أو المعجزات ويتحدى بها الناس أجمعين. وأعظم معجزة أتى بها نبينا عليه الصلاة والسلام هي القرآن الكريم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ومعجزات نبينا قاربت أو ساوت الألف معجزة، أعظمها القرآن الذي نزل من السماء وهو كلام الله عز وجل. وهكذا اعتبر المسلمون أن أعظم معجزة هي القرآن الكريم؛ لأنها نزلت في أبلغ الخلق وهم العرب، فتحداهم الله عز وجل في شيء يحسنونه في لسانهم ولغتهم، فنزل القرآن بلسان عربي مبين لسان قريش ولسان هذيل وغيرها من الألسنة: ائتوني بكتاب مثل هذا فعجزوا، ائتوني بعشر سور من مثله مفتريات -لما قالوا: هذا القرآن مفترى- فعجزوا، تحداهم الله تعالى أن يأتوا بسورة واحدة فعجزوا، وفي كل مرة يتحدى الله عز وجل العرب فيعجزون؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨]، أي: مظاهراً له مسانداً ومعاوناً، فتحدى الله تبارك وتعالى بهذه المعجزة -وهي القرآن- الإنس والجن مجتمعين، فما استطاعوا أن يأتوا ولا بآية واحدة، وهذا دليل على أن المعجزة تكون مصحوبة بالتحدي خلافاً للكرامة. ثالثاً: أن ما يخبر به الأنبياء لا يكون إلا صدقاً، كما أخبر القرآن والسنة، بل كما سمى العرب النبي عليه الصلاة والسلام بالصادق قبل بعثته، ومن قال: إن النبي ليس صادقاً في خبره، وليس صادقاً في تبليغه الأمر والنهي كفر وخرج من الملة؛ لأنه جوز على الأنبياء كبيرة من الكبائر وهي الكذب، خلافاً لما يخبر به السحرة والكهان وعباد المشركين وأهل الكتاب وأهل البدع والفجور من المسلمين، فإنه لابد في أخبارهم من وقوع الكذب. رابعاً: أن الأنبياء لا تأمر إلا بالعدل ولا تفعل إلا العدل، بخلاف غيرهم، فإنهم يفعلون الظلم والجور والفساد، وأحياناً يفعلون العدل، لكن ديدن الأنبياء واحد في أقوالهم وأفعالهم وتشريعاتهم؛ كلها مبنية على العدل والحكمة التي ليس بعدها عدل ولا حكمة. خامساً: آيات الأنبياء إنما هي

معجزة من الله عز وجل بحسن عبادة هؤلاء الأنبياء والأولياء، كـذلك تجـرى الكرامات على أيديهم جزاءً وفاقاً لحسن أعمالهم، والجزاء مـن جـنس العمـل، فآيات الأنبياء إنما تنال بحسن عبادة الله وطاعته، وكذا كرامات الأولياء إنما تنال بقوة الإيمان وزيادته وحسن التقوى ومتابعة الرسول ﷺ. وطريق تحصيل هـذا عند النبي والولي الصدق والعدل لا الكذب والخيانة والظلم. سادساً: آيات الأنبياء لا يقدر عليها الإنس ولا الجن، بخلاف كرامات الأولياء، وما يأتي علـى أيـدي السحرة والكهان فإنه ليس بمعجزة، بل يمكن أن تتم كرامة على يد محمد، ويكون لزيد كرامة، وكرامة محمد أعظم منها وأقوى، وما قد أتى على يد زيد يأتي مثله أو أعظم منه على يد عمرو، خلافاً للمعجزة فهي ليست من هذا البـاب، والـذي يأتي به ساحر يقدر ساحر آخر بفعل الشياطين والأبالسة أن يفكه؛ ولذلك يغتـر العامة إذا أصابه شيء من الجن أو المس أو الصرع أو ضياع الحاجات أو كتابة الأعمال والأحراز الشيطانية، فيزعم أنه لا يستطيع فك ذلك ولا قضاءه إلا ساحر فيذهب إلى الساحر!، ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام: (من أتى ساحراً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد برئت منه ذمة الله، وإذا أتى عرافـاً أو كاهنـاً ولـم يصدقه فإن الله لا يقبل منه صلاة أربعين يوماً). أيها الإخوة! إن هذه من مسائل الإيمان والكفر، ومن مسائل الشرك والتوحيد، ينبغي الدندنة حولها بالليل والنهار؛ لأننا نرى أن قطاعاً عظيماً من الأمة وقعوا في مثل هذا البلاء العظيم، أي: فـي شعب الشرك كلها، لا أقول السحر فحسب، فينبغي للدندنة والتأكيد من الدعاة إلى الله على إظهار التوحيد وطمس وإخماد الشرك وفروعه وأصوله. سابعاً: ما يأتي به السحرة والكهان وكل مخالف للرسل يمكن معارضته بمثله أو بأعظم منه كما قلنا. ثامناً: المعجزة مقرونة بدعوى النبوة، يعني: لا يمكن لولي أن يزعم أن هذه الكرامة التي كانت على يديه هي من باب المعجزات، وإلا فلا يكون ولياً، بـل يكون كاذباً، خلافاً للكرامة فإنها تظهر على يد عبد صالح ملتزم يتابع النبـي ﷺ، مصحوباً بصحة الاعتقاد والعمل الصالح، ويمكن سلبها عنه في أي وقت إذا أتى

من الأعمال ما ينقض ولايته لله عز وجل ولرسوله وللمؤمنين، ويمكن أن تكون خوارق العادات استدراجاً من الشيطان، إذاً: ما الفرق بين هذا وذاك؟ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية قاعدة للنجاة بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: إذا رأيت الرجل يطير في الهواء أو يمشي على الماء فلا تغتر بذلك حتى تنظر إلى عمله وإلى إيمانه وعبادته ومتابعته للنبي ﷺ، فإن كان كذلك فإن ما يكون على يديه فهو كرامة من الله، وإذا كان غير عامل بذلك غير معتقد لذلك غير متبع للنبي عليه الصلاة والسلام فهذا استدراج وليس كرامة، هذا هو الفرق بين ما يجري على يد أولياء الله وما يجري على أيدي أعداء الله مما يكون ظاهره التماثل والتشابه في أن كلاً منهما قد أتى بخارقة من خوارق العادات. تاسعاً: أن ما يقع على يد الولي هو من باب التأييد له أو التثبيت أو الإعانة أو نصرة الحق والدين، خلافاً لما يقع على يد السحرة، فكله تمويه وتخييل وكذب وغش وخداع وأخذ بنواصي الأمة إلى أودية الهلاك.

**عاشراً:** معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء تتضمن حكماً عظيمة، أعظم هذه الحكم إثبات الدلالة على كمال قدرة الله تعالى ونفوذ مشيئته في خلقه، وأنه فعال لما يريد، وأن الأمر كله بيد الله، وأن التدبير والتيسير كله من عند الله، وأن لله في خلقه سنناً لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى. فإن قيل: إذا كانت الكرامة من باب التأييد والتثبيت والإعانة والنصرة فإننا نجد أن الكرامات قد كثرت بعد زمن الصحابة وكانت قليلة في زمن الصحابة، فهل هذا يدل على أن الذين بعد الصحابة هم أفضل من الصحابة؟ الجواب: كلا وألف كلا، ليس هناك من هو أفضل من الصحابة إلا الأنبياء والمرسلين، ولكن قلت الكرامات في زمن الصحابة وكثرت فيمن أتى بعدهم لأن من أتى بعدهم في أمس الحاجة للنصرة والتأييد والإعانة؛ فكثرت الكرامات لهذه الحاجة، وقلت في زمن الصحابة لاستغنائهم بوجود النبي ﷺ بين أظهرهم، فليسوا في حاجة إلى كرامات تنزل من السماء، بخلاف غيرهم. والكرامات باقية إلى قيام الساعة؛ لأن العلة في وجود

الكرامات هي ثبوت الولاية، والولاية قائمة في الأرض إلى قبيل قيام الساعة، حتى تأتي ريح من جهة اليمن طيبة تقبض روح كل عبد مؤمن ولا يبقى في الأرض من يقول: الله الله، وهم شرار الخلق وعليهم تقوم الساعة. فإذا كانت الكرامة مرتبطة بالولاية، والولاية باقية إلى قيام الساعة فلابد أن تكون الكرامة كذلك باقية إلى قيام الساعة. أولياء الله هم المؤمنون المتقون، سواء كانوا فقراء أو فقهاء أو علماء أو تجاراً أو جنوداً أو صناعاً أو زراعاً.. أو غير ذلك من سائر فئات المجتمع، والناس يتفاضلون في هذه الولاية على قدر تفاضلهم إيماناً وتقوى. وأصحاب الخوارق لا يخرجون عن الأقسام الثلاثة المذكورين في قوله تعالى: ﴿أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر:٣٢] السحرة والكهان والكذابون والعرافون والدجالون: ﴿ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [فاطر:٣٢]، فهذه الآية قد جمعت أقسام خوارق العادات، فمنه ما يجري على يد أعداء الله، ومنه ما يجري على يد الأنبياء والمرسلين. ومنه ما يجري على يد الأولياء والصالحين. أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ؤلكم. وصلى الله على نبينا محمد.

## توسط أهل السنة والجماعة في إثبات كرامات الأولياء بدليل الكتاب والسنة والإجماع

أهل السنة والجماعة توسطوا بين المعتزلة المنكرين لكرامة الأولياء من جهة، وبين الصوفية المغالين في إثبات الكرامة لغير الأولياء من جهة أخرى، وإنما هي أحوال شيطانية تجري على يد من اتخذوهم أولياء من دون الله عز وجل ودون عباده الصالحين المؤمنين. توسط أهل انسنة والجماعة بين هؤلاء

وهؤلاء، فقالوا بإثبات كرامة الأولياء، ولكنهم وضعوا مسائل وقيوداً وشروطاً لمعرفة ما إذا كانت هذه معجزة أو هذه كرامة، أو هذه خارقة من خوارق العادة تجري على يد السحرة والكهان، فصارت المسألة اعتقادية في غاية الحكمة، محكومة من كل زواياها وفروعها، فلا يمكن الالتباس الذي يزعمه المعتزلة، كما لا يمكن الغلو الذي يزعمه الصوفية. قال أهل السنة والجماعة: كرامات الأولياء ثابتة بالقرآن والسنة والواقع والعقل، فهذه مصادر إثبات الكرامة للأولياء؛ أنها ثابتة بالقرآن وسنتعرف عليه، والسنة وسنتعرف عليها، والواقع أننا نرى ذلك واقعاً مشاهداً كل منا يلمسه، فإن الله تبارك وتعالى يجري الكرامة على أيدي كثير من عباده في كل طوائف المجتمع، من صناع وتجار وزراع وحكماء وحكام وغير ذلك من عامة الشعب؛ لأنه قد انطبع في أذهان العامة أن الولي لابد أن يكون عالماً أو فقيهاً، وهذا كلام غير سديد، وإنما أولياء الله عز وجل هم المؤمنون المتقون، كما قال الله عز وجل: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس:٦٢]، لا خوف عليهم في الدنيا، ولا يصيبهم حزن ولا غم ولا كرب يوم القيامة، ثم عرفهم الله عز وجل في نفس الآية. قال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٦٣]، فكل إنسان فيه ولاء لله عز وجل بقدر ما فيه من إيمان وتقوى، ودون ذلك خرط القتاد وكلام فارغ وتهريج، سواء من جهة المعتزلة أو المتصوفة. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ يدل على أن الله تعالى اتخذ أولياء من اليهود والنصارى وأصحاب الكتب السابقة مادام النبي محمد ﷺ لم يبعث، فإذا بعث نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، فقد انقطعت الولاية عن كل الأمم السابقة، إلا أن يكونوا أتباعاً لنبينا محمد ﷺ، وهذه الآيات يدندن حولها اليهود والنصارى إلى يومنا هذا ويقولون: نحن أولياء الله وأحباؤه، قل: فلم يعذبكم؟ لأن الولي لا يعذبه الله عز

وجل، وإنما يغفر له ويرحمه ويجري الكرامة على يديه تأييداً وتثبيتاً ونصرة للحق وإعانة له على قضاء مصالحه. فإذا كان هذا هو غرض الكرامة، وإذا كان هذا هو ثمرة الولاية، فكيف تزعمون يا معشر يهود! ويا معشر مشركي العرب! أنكم أولياء لله عز وجل، مع نزول العذاب عليكم بالليل والنهار؟ أنتم كذبة، وإنما أولياؤه الذين آمنوا وكانوا يتقون، وهذا يدل على انقطاع الولاية في الأمم السابقة، وثبوت هذه الولاية في هذه الأمة المباركة أمة محمد عليه الصلاة والسلام. هذه مسألة ينبغي أن تقرر، كما قررت المسألة التي قبلها، أما السنة فإن أعظم حديث في ثبوت كرامة الأولياء هو الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: (قال الله عز وجل: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة)، فأثبت الله تعالى في هذا الجزء من الحديث أن الناس أولياء وأعداء، وغير ما آية في كتاب الله تكلمت عن هذين الصنفين؛ عن أعداء الله وعن أوليائه، عن الذين كفروا وعن الذين آمنوا، عن الصالحين وعن غير الصالحين، آيات في الموازنة بين الحق والباطل، بين الخير والشر، بين أهل الصلاح وأهل الفساد، بين أهل الطاعة وأهل المعصية، آيات كثيرة جداً ذكرت الفريقين على سبيل المقابلة؛ لإظهار شأن كل فريق، وبيان خصائص كل فريق منهما. قال الله عز وجل: (من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة)، وإذا قلنا: إن أولياء الله هم الذين آمنوا وكانوا يتقون، فالمعلوم أن على قمة هرم الأولياء هم أهل العلم العاملون بعلمهم، المخلصون في دعوة الخلق إلى الحق، هم على قمة هرم الولاية، فكيف يُعَادَون من غيرهم، فلابد أن الذي يعاديهم ويمنعهم من مهمتهم عدو لله عز وجل ولأوليائه الصالحين. قال: (من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة)، ولم يقل: فقد بارز أوليائي بالمحاربة، وإنما الحرب بينه وبين الله عز وجل؛ لأنه بارز الله في عباده الصالحين وفي أوليائه المؤمنين المتقين، رفع نار الحرب وشعار الحرب بينه وبين الله عز وجل. وما حارب الله تعالى أحد فأفلح وأنجح، بل ما حارب الله تعالى أحد إلا وأهلكه الله تعالى في أي

واد ولا يبالي سبحانه وتعالى؛ لأنه لا يخشى عاقبة الأمور، كما قال: ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾ [الشمس:١٥]، ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٣]. فليعلم هؤلاء الذين يحاربون أولياء الله عز وجل أن حربهم إن لم تكن قائمة فهي قادمة مع الله عز وجل لا محالة. قال: (من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ورجله التي يمشي بها، وعينه التي يبصر بها)، وهذا يعني: أن ولي الله عز وجل الذي حقق الولاية الكاملة التامة لله عز وجل؛ فلا يرى إلا بنور الله عز وجل، ولا يسمع إلا ما يرضي الله عز وجل، ولا يمشي إلا إلى شيء يحقق فيه رضا الله، أي: كل أقواله وأعماله وحركاته وسكناته المراد منها رضا الله عز وجل، هذا هو ولي الله. قال الله عز وجل في الحديث القدسي: (وما ترددت في شيء ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، غير أن ذلك شيء لابد له منه) وهو الموت، وإثبات التردد لله عز وجل إثبات يليق بجلاله وكماله، ونقول فيه كما قلنا من قبل في بقية صفات المولى عز وجل لا نخوض فيها بكيفية، ونثبتها ونمرها كما جاءت، ونفوض كيفية هذه الصفة إلى الله عز وجل، ولا إشكال في ذلك.

## اعتقاد المعتزلة في كرامات الأولياء

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله

تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة. ما زال الكلام موصولاً عن وسطية أهل السنة والجماعة بين فرق الأمة فيما يتعلق بكثير من مسائل الاعتقاد. من هذه المسائل الاعتقادية كرامات الأولياء، هل هي ثابتة لهم حقاً أم أنها غير ثابتة؟ أنكرها المعتزلة وغالى فيها المتصوفة، أما المعتزلة فقالوا باستحالة ثبوت الكرامة للولي، واحتجوا لذلك بحجج ظنوها عقلية، فقالوا: إذا أثبتنا الكرامة التي هي خوارق العادات للأولياء، فربما اشتبه الولي بالنبي، وربما اشتبه الولي بالساحر، وربما اشتبه الساحر بالنبي؛ ولذلك نحن نمنع هذا الباب ونغلقه إغلاقاً. الرد على المعتزلة في هذا الزعم: أن الولي لا ينال هذه الكرامة ولا تجرى على يديه إلا باتباعه للنبي ﷺ ، ولذلك يستحيل أن يدعي ولي لله عز وجل أنه نبي، ولو ادعى أنه نبي لا تجرى على يديه هذه الكرامات، فهذا المأمن من هذا الالتباس والاشتباه، أن الولي لا يمكن أن يزعم في يوم أنه نبي، فهذا فارق بين الولاية والنبوة، إذ إن الولي لا ينال من كرامات الله عز وجل إلا بحسن إتباعه واقتدائه بالنبي ﷺ ، فإن زعم هذا الولي أنه نبي في يوم من الأيام فهو كاذب؛ ولذلك لا يستحق أن يكون ولياً لله عز وجل، وأما نفي الاشتباه والالتباس بين الولي والنبي من جهة وبين الساحر من جهة أخرى: أن الساحر إنما يستعين بأسياده من الشياطين في قضاء الحاجات ومعرفة الأخبار، وهذا كفر بالله عز وجل؛ ولذلك قد ثبت في السنة أن الخبر يكون في السماء حتى ينزل إلى السماء الدنيا؛ فتصعد الشياطين فتسترق السمع، فيأخذون الخبر فيضيفون عليه مائة كذبة من عندهم فيوحون بها إلى أوليائهم من الإنس وهم السحرة والكهان والعرافون؛ ولذلك قال النبي ﷺ : (حد الساحر ضربة بالسيف)، واختلف أهل العلم في كفر الساحر من عدمه، ومذهب الجماهير أنه يستتاب ثلاثة أيام فإن تاب وإلا قتل. إذاً: النبي تأتي الآية على يديه وهي معجزة يتحدى بها الخلائق أجمع خلافاً للساحر وخلافاً للولي كذلك، فلا التباس ولا اشتباه بين كرامة الولي ومعجزة النبي، وما يكون

من خوارق العادات على يد السحرة والكهان والعرافين، فهذه الحجج وغيرها ترد على المعتزلة في ردهم لإثبات كرامات الأولياء. وإذا كنا نتكلم عن كرامات الأولياء فيحسن بنا أن نعرف الكرامة ابتداء، ثم نعرف الأولياء. فالكرامات: جمع كرامة، وهي خوارق العادات التي يجريها الله عز وجل على أيدي بعض خلقه من الأنبياء والصالحين، وقولنا: خوارق العادات احتراز مما اعتاده الناس وتعارفوا عليه، وليس أمراً غريباً على أعرافهم وعاداتهم، أما الأولياء فالأولياء: جمع ولي، والولي: هو القريب، يقال: فلان أولى فلاناً أو ولي فلان، أو يلي فلاناً، أي: هو قريب منه مجاور له، فالأولياء هم أقرب الناس إلى الله عز وجل، وهم أولى الناس بشرع الله عز وجل، فالولي تجرى على يديه خوارق العادات، والنبي تجرى على يديه خوارق العادات، وهذان فضل ومنة من الله عز وجل، أما الساحر والكاهن فتجرى على يديه خوارق العادات كذلك، ولكن أصلها الشيطان، وأصلها إبليس، وبين المعجزة على يد النبي والكرامة على يد الولي، وخوارق العادات على يد السحرة والكهان من الفروق الشيء الكثير التي سنتعرف عليها بإذن الله تعالى. هذا الفريق الأول وهم المعتزلة وبيان موقفهم من إثبات كرامة الأولياء.

## اعتقاد الصوفية في كرامات الأولياء

الفريق الثاني أثبت كرامة الأولياء، ولكنه غالى فيها جداً فأثبتها وزيادة، وأنتم تعلمون أن البدعة في دين الله عز وجل كما تكون بالنقصان تكون كذلك بالزيادة، وشرع الله عز وجل منزه عن الزيادة والنقصان إلا ما جاء عن الله وعن رسوله وأجمع عليه أهل العلم، وهي أصول التشريع وأصول الديانة الثلاث: كتاب وسنة وإجماع، خاصة ما أجمع عليه الصحابة رضي الله تعالى

عنهم؛ ولذلك أجمع الصحابة بغير خلاف بينهم على ثبوت كرامة الأولياء، كما أجمعوا على ثبوت المعجزات لجميع الأنبياء والمرسلين. ولكن الخلاف وقع بعد زمن الصحابة رضي الله عنهم على يد المعتزلة، ثم على يد المتصوفة، فالصوفية قالوا: الكرامة ثابتة للأولياء والصالحين، لكن الولي عندهم أحياناً يكون إنساناً مجنوناً أو مخبولاً أو لا عقل له أو سفيهاً أو طريداً أو إنساناً قد ترك الأوامر وارتكب النواهي، أو أنه يفعل الفواحش بحجة أن العامة يرونها فواحش في الظاهر وهي في حقيقة الأمر طاعات. هكذا يظنون، حتى إن أحدهم -كما في طبقات الشعراني- كان ينزو على أنثى الحمير، فإذا أنكر عليه العامة ضحك منهم واستهزأ وسخر؛ وقال: لأنكم ترون ما لم أفعله! فهو فعل طاعة كما يزعم، وإن العامة رأوا بأعينهم فعل الفاحشة مع الدواب رؤية ظاهرة، فهو يسخر منهم باعتبار أن ما قد رأوه لم يفعله حقيقة، فالعامة أهل الظاهر، وهم -أي: الصوفية- أهل الباطن، وهكذا جعلوا للشرع ظاهراً وباطناً، خلافاً لمنهج النبي ﷺ ، وقالوا: بأن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء صلوات ربي وسلامه عليه. قال ابن تيمية: وغير واحد من السلف: وهذا كفر بإجماع، وقال ابن القيم : وهذا كفر صريح، وقال ابن قتيبة : وهذا صريح الكفر.. وغير ذلك من أقوالهم التي أجمعوا عليها؛ لأن الإجماع منعقد أن خير الخلق هم الأنبياء والمرسلون، وخير هؤلاء هم أولو العزم من الرسل، وخير أولي العزم هو نبينا ﷺ . فإذا انعقد إجماع العقلاء - فضلاً عن إجماع الموحدين والمسلمين عامة- على أن خير الخلق قاطبة هو نبينا عليه الصلاة والسلام فكيف يقبل قول المتصوفة: خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء؟ فهذا كلام هو عين الكفر، ومن قال بذلك كفر وخرج من ملة الإسلام. ولذلك تجد عند الصوفية كلاماً لا حقيقة له ولا واقع له في كلام أهل السنة والجماعة، تجدهم يقولون: الغوث والقطب والأوتاد والأقطاب، وغير ذلك من هذه الألفاظ الضخمة الفضفاضة، التي تزعج أسماع السامعين، فيضطر الواحد آسفاً أن يحترم هذه الألقاب، ولا يرد على صاحب هذه

الأقوال. والحقيقة أننا لو بحثنا في القرون الخيرية لما وجدنا شيئاً من هذه الأقطاب في كتبهم ولا في مصنفاتهم إلا على سبيل المدح لمن علم صلاحه وحسن عبادته، لكن من أقطاب هؤلاء الصوفية الآن من كان لا يغتسل إلا في كل أربعين يوماً مرة، ومن يترك الصلاة والصيام والزكاة والحج، ويقول: إنني قد بلغت مرحلة اليقين، التي هي في قول الله عز وجل: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٩]، قالوا: واليقين هو: درجة إيمانية في القلب تسقط معها التكاليف، فيكون هذا هو خاتم الأولياء، أو يكون من أكبر مريدي هؤلاء الأولياء، فإذا بلغ هذه المنزلة سقطت عنه التكاليف، وهذا اتهام للنبي عليه الصلاة والسلام؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام لم يسقط عنه شيء مما شرعه الله عز وجل عليه وعلى أمته حتى لقي الله عز وجل، وقد طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في الصلاة، فلما أغشي عليه ذكروه بقولهم له: الصلاة يا أمير المؤمنين! قال: لست أميراً للمؤمنين، ثم يقول: نعم. الصلاة الصلاة، لا حظ في الإسلام لمن لا حظ له في الصلاة، وغير ذلك الكثير والكثير من الآيات والأحاديث التي دلت على عدم سقوط التكاليف مطلقاً حتى يلقى العبد الله عز وجل، فكيف يزعم هؤلاء المهرجون أن التكاليف تسقط عن العبد إذا بلغ مرتبة الإيمان أو اليقين؟ هذا كلام لا يقبله أحد، حتى اليهود والنصارى ومشركوا العرب لا يقبلون هذا الكلام، فالصوفية وقعوا فيما لم يقع فيه أهل الجاهلية الأولى عياذاً بالله، فهذه المصطلحات التي يدندنون حولها ويلتفون حولها ويقدسون أشخاصها وأربابها لم تكن معلومة لدى سلف الأمة.

## معيار التفريق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. وبعد: فقد ذكر شيخ الإسلام ابن

تيمية في المجلد الحادي عشر من مجموع الفتاوى ما يسمى برسالة الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان إثبات الكرامة، وأنها معتقد أهل السنة والجماعة خلافاً للمعتزلة، وكل من تكلم في هذا الباب بكلام مسند في كتب الاعتقاد المسندة أو بكلام مشروح لهذه النصوص -أثبت أن عقيدة أهل السنة والجماعة إثبات كرامة الأولياء وأنها باقية بقاء الدنيا، ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية قال بالمعيار المعتبر في التفريق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، هذا المعيار هو موافقة ومتابعة الرسول ﷺ. حيث قال: فإنه هو الذي فرق الله تعالى به بين أوليائه السعداء وأعدائه الأشقياء، وبين أوليائه أهل الجنة وأعدائه أهل النار، وبين أوليائه أهل الهدى والرشاد وأعدائه أهل الغي والضلال والفساد، وأعدائه حزب الشيطان وأوليائه الذين كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم الله تعالى بروح منه. قال:

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾

[المجادلة:٢٢].. إلى آخر الآية، وقال تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [الأنفال:١٢] وهذه كرامة سَأُلْقِى﴿ فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾

[الأنفال:١٢]، وقال الله تعالى في جانب أعدائه: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ﴾ [الأنعام:١٢١] ، وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾

[الأنعام:١١٢]، وقال الله تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ [الشعراء:٢٢١-٢٢٤].. إلى آخر الآيات. وقال تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ

شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الحاقة:٣٨-٥٢]. وقال تعالى: فَذَكِّرْ فما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ [الطور:٢٩] فنزه سبحانه وتعالى نبينا محمداً ﷺ عمن تقترن به الشياطين من الكهان والشعراء والمجانين، وبين أن الذي جاءه بالقرآن ملك كريم اصطفاه من بين الملائكة، كما قال تعالى: اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ [الحج:٧٥]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٣] وهو جبريل عليه السلام عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء:١٩٤-١٩٥]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة:٩٧]، وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [النحل:٩٨]؛ للدلالة على أن الشيطان لا تأثير له على النبي ﷺ. وقال تعالى:﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ [التكوير:١٥-١٦].. إلى آخر الآيات التي أثبتت أن إبليس لا سلطان له على النبي ﷺ. فأولياء الله هم المتقون المقتدون بمحمد ﷺ.

# أمثلة من معجزات سيد الأنبياء محمد

إن كرامات الأولياء تحصل ببركة إتباع النبي محمد ﷺ ؛ ولذلك جاء في القرآن ذكر كثير من معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، وقد جاءت السنة بكرامات كثيرة من كرامات أتباع محمد عليه الصلاة والسلام. فمن معجزاته عليه الصلاة والسلام: إتيانه بالكتاب العزيز، وانشقاق القمر، وتسبيح الحصى في كفه عليه الصلاة والسلام، وإتيان الشجر إليه لما دعاه، وحنين الجذع إليه، وإخباره ليلة المعراج بصفة بيت المقدس، وإخباره بما كان وما يكون إلى قيام الساعة، وتكثير الطعام والشراب مرات كثيرة بين يديه عليه الصلاة والسلام، كما أشبع في الخندق العسكر من قدر طعام وهو لم ينقص كما في حديث أم سلمة المشهور، وأروى العسكر في غزوة خيبر من مزادة ماء لم تنقص، وملأ أوعية العسكر عام تبوك من طعام قليل لم ينقص وهم نحو ثلاثين ألفاً، ونبع الماء من بين أصابعه مرات متعددة حتى كفى الناس الذين كانوا معه في غزوة الحديبية، كانوا نحو (١٤٠٠) أو (١٥٠٠)، ورد النبي ﷺ عين أبي قتادة حين سالت على وجنته، فقال: يا رسول الله! ادع الله لي، فأخذها النبي من على وجنته، ووضعها في عينه ومسح عليها، فكانت أحسن عينيه حتى مات، ولما أرسل النبي محمد بن مسلمة لقتل كعب بن الأشرف فوقع وانكسرت رجله، فمسحها النبي وبرئت، وأطعم من شواء مائة وثلاثين رجلاً، كل واحد منهم حز له قطعة أشبعته وفضلت منها فضلة، ولما مات عبد الله والد جابر وترك ديناً، فقال النبي ﷺ لجابر : (خذ هذا التمر فاقض منه دين غرمائك، فقال: يا رسول الله! وكم يغنيني هذا؟ فوقف النبي ﷺ على التمر فقسمه أقساماً ووزعه 'وزاعاً ودعا في هذه الأقسام، فكان قدر كل قسم يكفي لسداد دين غريم من الغرماء) والأصل فيه أنه بضع تمرات. معجزات نبينا فاقت ذلك بكثير، ولكن المقام مقام سرد كرامات الأولياء، لا معجزات النبي ﷺ. ......

# أمثلة من كرامات الأولياء الصالحين

ومن كرامات الأولياء ما كان من أسيد بن حضير رضي الله عنه لما قرأ سورة الكهف، حيث نزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج على الخيل، وكانت هذه السرج هي الملائكة تنزلت لقراءته، وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين ، وكان سلمان و أبو الدرداء يأكلان في صحفة فسبح ما فيها من طعام. و عباد بن بشر و أسيد بن حضير خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة فأضاء لهما نور مثل طرف السيف، فلما افترقا افترق معهما النور. وقصة الصديق في الصحيحين: أنه لما ذهب بثلاثة أضياف معه إلى بيته، وجعل لا يأكل لقمة إلا ربا مكانها لقمتان، وما كان عنده من طعام إلا بعض كسر. هذا على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه. و خبيب بن عدي كان أسيراً عند المشركين، فنظرت امرأة الآسر له إليه وهو في أسره يأكل عنباً، وما بمكة عنبة واحدة. و عامر بن فهيرة قتل شهيداً فالتمسوا جسده فلم يقدروا عليه، فنظروا إلى السماء، فوجدوا أنه محمول مرفوع قد رفعته الملائكة. وأنتم تعلمون قصة حنظلة غسيل الملائكة الذي نودي للجهاد في ليلة زفافه، فخرج ولم يدرك غسل الجنابة، فلما مات قال النبي عليه الصلاة والسلام: (إنما غسلته الملائكة) أي: من الجنابة. وخرجت أم أيمن مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء، فكادت تموت من العطش، فلما كان وقت الفطر وهي صائمة سمعت حساً من فوق رأسها، فرفعته فإذا بدلو معلق، فشربت منه حتى رويت وما عطشت بقية عمرها. وسفينة مولى رسول الله ﷺ وخادمه، خرج عليه أسد في طريق، فقال سفينة للأسد: يا كلب الله! كيف تؤذيني وأنا رسول رسول الله ومولاه، فصحبه الأسد حتى أبلغه مأمنه، أسد يرعى إنساناً! وذئب يرعى غنماً! أمور عجيبة وخوارق للعادة، ليست في أعراف الناس، ولا في أخلاق الناس، جرت على يد أولياء الله عز وجل؛ إثباتاً لكرامتهم.

البراء بن مالك كان إذا أقسم على الله تعالى أبره، وكنت الحرب إذا اشتدت قال المسلمون للبراء : يا براء ! أقسم على ربك، فيقول: يا رب! أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم، وأن تجعلني أول الشهداء في هذه المعركة، فمكنهم الله تعالى من أكتاف أعدائهم، وكان البراء أول شهيد في المعركة. رجل مستجاب الدعوة. و خالد بن الوليد لما حاصر حصناً منيعاً فأمرهم أن يسلموا أنفسهم، فقالوا: يا خالد ! لا نسلم لك إلا بشرط. قال: هاتوا ما عندكم، قالوا: أن تشرب هذا السم، فشربه خالد ، فلم يضر، فلما رأوا ذلك سلموا وهم يظنون أن السم سيعمل فيه عمله وأنه يموت ويتخلصون من سيف الله المسلول. و سعد بن أبي وقاص كان مستجاب الدعوة، وما دعا قط دعوة إلا استجاب الله عز وجل له، وكان عمر يبجله، وكان عبد الله بن مسعود يبجله، وهما أعظم منه إيماناً وعلماً وعملاً وفضلاً، ومع هذا كان عمر بن الخطاب يهابه إذا رفع يديه إلى السماء، وكان له دين عند عبد الله بن مسعود ، فلما ذهب ليتقاضاه قال: أمهلنا. قال: إما أن تدفع وإما دعوت عليك، ورفع يديه إلى السماء، فتعلق بهما عبد الله بن مسعود ؛ لعلمه أن النبي ﷺ دعا لسعد أن يكون مستجاب الدعوة، وهو يقول: يا سعد ! إذا دعوت علينا فلا تلعن، وهذا إثبات لخصيصة سعد بن أبي وقاص أنه كان مستجاب الدعوة، فكان إذا دعا في جيش نصره الله، وإذا دعا على جيش هزمه الله كرامة من الله عز وجل. عمر بن الخطاب لما أرسل جيشاً أمر عليهم رجلاً اسمه سارية ، فلما حاصرهم العدو وكادوا ينهزمون وهم بأرض العراق، و عمر بالمدينة رضي الله عنه يخطب للجمعة – ألهم الله عمر إلهاماً وحدث حديثاً من الله عز وجل، أن سارية هناك بالعراق يكاد يهزم، وكأن الله تعالى أطلع عمر على وضع سارية وجيشه، فصاح عمر من على المنبر: يا سارية ! الجبل الجبل، أي: الزم الجبل، يا سارية ! واجعل الجبل قبل ظهرك، والعدو من أمامك، فلما سمع سارية – وهو بالعراق– صوت عمر رضي الله عنه –وهو بالمدينة– فعل ما سمع فنصره الله عز وجل. وجاء رسول عمر إلى سارية ، فقال سارية : لقد

سمعنا كذا وكذا، فامتثلنا ذلك وفعلناه، فنصرنا الله عز وجل، قال: أشهد أني كنت مع عمر في المسجد وهو يفعل ذلك، وهو يصيح بأعلى صوته ويقول: يا سارية ! الجبل الجبل، كرامة من الله عز وجل. ولما أصيبت الزنيرة في بصرها، فقال المشركون: سخطت عليها اللات والعزى، قالت: كلا والله! إن الله تعالى هو النافع الضار، فرد الله تعالى إليها بصرها، كرامة لتوحيدها ونفيها ما عليه المشركون من إثبات النفع والضر بيد آلهتهم وأصنامهم كاللات والعزى. ......

****

# من هم آل بيت النبي حقيقة

## آل البيت

آل البيت اختلف أهل العلم في أهل البيت من هم؟ فقال عطاء وعكرمة وابن عباس: هم زوجاته ﷺ خاصة ، لا رجل معهن : وذهبوا إلى أن البيت أريد به مساكن النبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ الأحزاب٣٤. وذهبت فرقة منهم أبو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة والزمخشري والكلبي أنهم: عليٌ وفاطمة والحسن والحسين خاصة.

وذهب فريق منهم الفخر الرازي والقسطلاني وآخرون إلى أنهم أولاده وأزواجه ﷺ والحسن والحسين ، وعليٌ منهم ؛ لمعاشرته فاطمة وملازمته النبي ﷺ.

وذهب زيد بن أرقم إلى أنهم من تحرم عليهم الصدقة، وهم آل عليٌ، وآل عقيل ، وآل جعفر، وآل العباس ، وهو الراجح. قال السيوطي: هؤلاء هم الأشراف حقيقة في سائر الإعصار وهو ما عليه الجمهور، وهو معنى رواية مسلم عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: (أما بعد..أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربى فأجيب ، وأنا تارك بينكم ثقلين: أولهما: كتاب الله ، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به) فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال: (وأهل بيتى، أذكركم الله في أهل بيتى) قالها ثلاثا، فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده ، قال: ومن هم؟ قال: آل عليّ، وآل عقيل ، وآل جعفر، وآل العباس رضى الله عنهم .

# حقوق آل البيت النبوي

استقرت لآل البيت النبوي في نفوس المؤمنين مكانة رفيعة، لقربهم من النبي ﷺ، واتصالهم بنسبه، ولنصرتهم رسول الله صلى الله عليه في أحلك الظروف وأشد الأزمات منذ بدء الدعوة، فحفظ لهم النبي ﷺ ذلك وأوصى بهم أمته خيرا، فقال عليه الصلاة والسلام:( أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي .. الحديث ) رواه مسلم في صحيحه، وعرف المسلمون لهم هذا الفضل، حتى قال أبو بكر رضي الله عنه: " والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه أحب إلي أن أصل من قرابتي " رواه البخاري ومسلم وقال أيضًا: " ارقبوا محمدًا ﷺ في أهل بيته " رواه البخاري أي: احفظوه فيهم؛ فلا تؤذوهم ولا تسيئوا إليهم. وقال عمر للعباس رضي الله عنهما: " والله، لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، لأن إسلامك كان أحب إلى رسول الله من إسلام الخطاب" رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح قاله الهيثمي في المجمع .

# من هم آل البيت ؟

اختلف العلماء في المراد بآل النبي ﷺ، على مذاهب، نذكر أشهرها: المذهب الأول: أنهم بنو هاشم فقط، وهو ما ذهب إليه أبو حنيفة ومالك ، ويعللون ذلك بأن آله ﷺ هم من اجتمع معه عليه الصلاة والسلام في هاشم، قالوا: والمطلب لم يجتمع معه عليه السلام في هاشم، لأن المطلب أخو هاشم، وكما أن عبد شمس ونوفل أخوان لهاشم وهما ليسا من آل البيت، فكذلك المطلب .

ويبين العيني المراد ببني هاشم فيقول: وبنو هاشم هم آل علي وآل عباس وآل جعفر وآل عقيل وآل الحارث بن عبد المطلب .

المذهب الثاني: أن آل البيت هم بنو هاشم وبنو المطلب فقط وهو المذهب عند الشافعية، والحنابلة . ويؤيد هذا ما رواه جبير بن مطعم رضي الله عنه، أنه قال: مشيت أنا و عثمان بن عفان إلى النبي ﷺ، فقلنا: أعطيت بني المطلب من خمس خيبر وتركتنا ونحن بمنزلة واحدة منك، فقال: ( إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد ) قال جبير : "ولم يقسم النبي ﷺ لبني عبد شمس وبني نوفل شيئا". وفي هذا يقول الشيخ الشنقيطي في الأضواء : " ولما ناصر بنو المطلب بن عبد مناف بني هاشم، ولم يناصرهم بنو عبد شمس بن عبد مناف وبنو نوفل بن عبد مناف، عرف النبي ﷺ لبني المطلب تلك المناصرة التي هي عصبية نسبية لا صلة لها بالدين، فأعطاهم من خمس الغنيمة مع بني هاشم، وقال:" إنا وبني المطلب لم نفترق في جاهلية ولا إسلام "، ومنع بني عبد شمس وبني نوفل من خمس الغنيمة، مع أن الجميع أولاد عبد مناف بن قصي".

## خصائص آل البيت وحقوقهم :

١. مودة آل البيت: اتفق العلماء على وجوب مودة آل البيت؛ لأن في مودتهم مودة للنبي ﷺ، وقد قال ﷺ: ( أذكركم الله في أهل بيتي، قالها ثلاثا ). ولا شك أن المراد بالمودة هنا قدرا زائدا عن مودة غيرهم من المؤمنين، ولو كانوا من الأقربين، حتى قال أبو بكر رضي الله عنه: " لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي "، وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله إن قريشاً إذا لقي بعضهم بعضاً لقوهم ببشر حسن، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها، قال: فغضب النبي ﷺ غضباً شديداً، وقال: ( والذي نفسي بيده لا يدخل قلب الرجل الإيمان حتى يحبكم لله ورسوله ) رواه أحمد .

٢. الصلاة عليهم: وقد بين ﷺ كيفية الصلاة عليه، وأن الصلاة على آله تبع للصلاة عليه، فعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك ؟ فقال رسول الله ﷺ قولوا:( اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ) متفق عليه.

٣. تحريم أكل الصدقة عليهم، قال ﷺ:( إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس، وإنها لا تحل لمحمد، ولا لآل محمد ) رواه مسلم . ومعنى أوساخ الناس أنها تطهير أموالهم ونفوسهم. قال الإمام ابن قدامة :" ولا نعلم خلافا في أن بني هاشم لا تحل لهم الصدقة المفروضة "، أما صدقة التطوع فتحل لهم لأنها ليست من أوساخ الناس.

٤. إعطاؤهم خُمُس الخمس من الغنيمة والفيء: قال تعالى:{ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الأنفال:٤١)، وقال:{ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾ (الحشر:٧).

٥. فضل النسب وطهارة الحسب: فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ( إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني

هاشم ) رواه مسلم . فنسبه ﷺ ونسب آله أشرف النسب وأعلاه في العرب والعجم .

وقد وردت أحاديث في بعض خصائص آل البيت، لكنها ضعيفة أو موضوعة، وقد سئل علي رضي الله عنه هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء ؟ فقال: ما خصنا بشيء لم يعمَّ به الناس، إلا ما في قراب سيفي هذا، فأخرج صحيفة فيها: ( لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من غير منار الأرض، ولعن الله من لعن والده، ولعن الله من آوى محدثا ) رواه مسلم . والاستثناء في كلام علي رضي عنه مقطوع بمعنى لكن، لأن ما ذكر في الحديث ليس خاصا بأهل البيت بل هو عام للأمة جمعاء.

أما مناقب آل البيت وفضائلهم الخاصة فقد ثبت لكثير منهم مناقب كثيرة، حفظتها السنة، مثل فضائل علي رضي الله عنه، وهي أشهر من أن تذكر، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وخديجة خير النساء، وفضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام، وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وحمزة سيد الشهداء يوم القيامة .

ومثل فضائل زوجاته ﷺ اللاتي فضلهن الله على سائر النساء إن تحلين بالتقوى، وقمن بحقها، قال تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ ﴾ (الأحزاب:٣٢)، وقد أكرمهن الله بأن جعل بيوتهن موطنا يتنزل فيه وحي السماء، قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ ﴾ ( الأحزاب:٣٤ ). ولما كانت مكانتهن تلك المكانة، فقد حذرهن الله جل وعلا من الوقوع فيما يسخطه، فيتخذ أعداء الإسلام ذلك سبيلا للطعن

في النبي ﷺ ورسالته، قال تعـــالى: ﴿ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ (الأحــــــزاب: ٣٠)، والغاية من وراء ذلك هو المبالغة في تطهير بيت النبـــوة أن يشـــوبه عيـــب أو نقص، وليكون موضعاً للتأسي والاقتداء لسائر الناس، قال تعـــالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (الأحزاب:٣٣ ).

*******

# عقيدة أهل السنة في آل البيت

تتلخص عقيدة أهل السنة في آل البيت في أنهم يحبون المؤمنين منهم، ويرون أن المؤمن من آل البيت له حقان: حق الإيمان، وحق القرابة.

ويرون أنهم ما شرفوا إلا لقربهم من الرسول ﷺ، وليس هو الذي شرُف بهم، ويتبرؤون من طريقة من يغالون في حبهم، كالذين رفعوا بعضهم إلى مقام العصمة، يتبرؤون كذلك من طريقة المبغضين الذين يسبونهم ويكفرونهم، ويحفظون فيهم وصية الرسول ﷺ.

ويرون أنهم على مراتب ومنازل، وأنهم وإن تميزوا فلا يعني أن لهم الفضل المطلق على غيرهم في العلم والإيمان، فالثلاثة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، أفضل من علي، وإن امتاز عنهم بخصوصيات.

ويرون تعظيم قدر أزواجه رضي الله عنهن، والدعاء لهن، ومعرفة فضلهن، والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين.

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ "ولا ننكر الوصاة بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم، وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض، فخراً وحسباً ونسباً، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية، كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه، وعلي وأهل بيته وذريته، رضي الله عنهم أجمعين".

ومع كل هذه المكانة التي أكرم الله بها آل بيت نبيه، إلا أن ذلك كله مشروط بالصلاح والتقوى، وهم فيما عدا ما لهم من خصائص كغيرهم من

المسلمين، لهم ما للمسلمين من حقوق، وعليهم ما على المسلمين من واجبات، فليس قربهم من النبي بمجيز لهم تجاوز أحكام الله وشرعه، أو أن ينالوا النجاة في الآخرة دون تقوى وعمل صالح، فكل عباد الله في ميزان الله سواء، وهذا ما أوضحته الأدلة الشرعية إيضاحاً تاماً بعيداً عن اللبس في أحاديث كثيرة منها ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها : ( أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ، فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فاختطب فقال: إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ) فهذا الحديث يبين بما لا يدع مجالا للشك أن الكل أمام شرع الله سواء، سواء أكان من آل البيت أم من غيرهم، وسواء أكان من أشراف الناس أم من ضعفائهم، هذا في الدنيا، أما في الآخرة فقد قال النبي ﷺ القول الفصل في ذلك عندما أعلنها صريحة أن: ( من بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه ) رواه مسلم فمدار النجاة على الإيمان والعمل الصالح، لا على الأنساب والأحساب.

هذه هي حقوق آل بيت النبي، وتلك هي مكانتهم، فمن أنزلهم فيها فقد رشد وهدي إلى صراط مستقيم، ومن غلا فيهم أو أجحف في حقهم، فقد ضل سواء السبيل .

## آلُ البَيْتِ للشيخ عثمان الخميس

اللهم صل وسلم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد أما بعد: قال ابن منظور صاحب لسان العرب: أهل البيت سكانه وأهل الرجل أخص الناس به

وأهل بيت النبي ﷺ أزواجه وبناته وصهره، أعني عليا عليه السلام وقيل نساء النبي والرجال الذين هم آله .

اللهم صل وسلم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد وبارك على مجمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد أما بعد:

قال ابن منظور صاحب لسان لعرب: أهل البيت سكانه وأهل الرجل أخص الناس به وأهل بيت النبي ﷺ أزواجه وبناته وصهره، أعني عليًا عليه السلام وقيل نساء النبي والرجال الذين هم آله .

وقال الراغب الأصفهاني: أهل الرجل من يجمعه وإياهم نسب أو دين أو ما يجري مجراهما من صناعة وبيت وولد. وقيل إن أصل كلمة آل: أهل، ثم قُلبت الهاء إلى همزة فصارت أأل ثم خففت بعد ذلك بلى آل. اهـ. فآل وأهل واحد ، وآل الرجل هم أزواجه وذريته وأقرباؤه كما ذكر أهل اللغة . قال تبارك وتعالى عن امرأة العزيز أنها قالت لزوجها: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾ يوسف ٢٥ . تريد نفسها وقال الله تبارك وتعالى عن موسى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ . وأهله زوجته التي كانت معه. وقال عن إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه وزوجته﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ هود ٧٣

## أما الأهل والآل في الشرع فعلى أربعة أقوال مشهورة .

**القول الأول :** إن الآل هم الأزواج والذرية:

واستدلوا على ذلك بآية التطهير ، التي ذكرت نساء النبي ﷺ كما في قول الله تباك وتعالى : ﴿يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ

بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [ الأحزاب ٣٣-٣٤ ]

فالآيات في أولها تتكلم عن نساء النبي ﷺ وكذلك في أخرها عن نساء النبي ﷺ وقال لهن في وسط هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ، وهنا لا مدخل ولا كلام لمن قال بأن الآل – هنا أو الأهل هنا هم غير نساء النبي ﷺ لأن هذا يخالف سياق الآية كما ترون فالآية ابتدأت بالنساء وختمت بالكلام عن النساء .

وأما قول من يقول: فلم أعرض عن نون النسوة وجاء بدلها بميم الجمع ؟

فقال في بداية الآيات: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ ] ، ثم قال: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ ، ثم قال: ﴿ وَٱذْكُرْنَ [، ثم قال : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ﴾ ولم يقل عنكن ، والجواب هو أن الأوامر في البداية هي للنساء خاصة، ثم جاء بميم الجمع لدخول رجل مع النساء وهو النبي ﷺ فهو سيد البيت – صلوات الله وسلامه عليه، فإذا دخل الرجل مع مجموع النساء انقلبت نون النسوة إلى ميم الجمع وهذا معلوم ظاهر في اللغة ، ولذلك قال بعدها مباشرة:
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾. الأحزاب ٣٤

**الدليل الثاني:** التشهد، وذلك أننا نقول في تشهدنا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد. وجاء في بعض صيغ التشهد عند البخاري تفسير الآل في قوله: اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته. فهذه الصيغة هي تفسير لقوله: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد فحذف الآل، وجاء بدلها بالأزواج والذرية.

وكذلك جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما شبع آل رسول الله ﷺ من خبز بُرٍّ. أخرجه الإمامان البخاري ومسلم . وقول عائشة ما شبع آل رسول الله. تريد نفسها وأزواج النبي ﷺ وإنما تريد أزواج النبي ﷺ اللاتي هن تبع له شرعاً.

**القول الثاني:** هم من حرمت عليهم الزكاة .

وفيمن حرمت عليهم الزكاة قولان:

١) أن الذين حرمت عليهم الزكاة: بنو هاشم وبنو المطلب، وذلك أن النبي ﷺ يرجع نسبه إلى هاشم . فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم. والمطلب أخو هاشم وهو عم عبد المطلب جد النبي ﷺ .

بل إن عبد المطلب نسبوه إلى عمه وذلك أن اسمه شيبة الحمد ولكنه تربى عند أخواله من بني النجار من أهل المدينة ، ولذلك ليقال لهم أخوال النبي ﷺ ، وتوفي هاشم وولده شيبة عند أخواله فذهب عمه انمطلب فأخذه إلى مكة فظن الناس أن شيبة الحمد عبدٌ للمطلب، فقالوا: هذا عبد المطلب، فقال لهم المطلب: لا، هذا شيبة ابن أخي هاشم، ولكن غلب عليه اللقب حتى ما صار يعرف في مكة إلا بعبد المطلب.

الشاهد أن الذين حرمت عليهم الزكاة على القول الأول بنو هاشم وبنو المطلب .

**القول الثاني** : أن الذين حرمت عليهم الزكاة بنو هاشم فقط:

وأما الدليل على أن هؤلاء هم أهل بيت النبي - ﷺ - فحديث زيد بن أرقم رضي الله عنه عن النبي - ﷺ - أنه قال: أذكركم الله أهل بيتي أذكركم الله

أهل بيتي، أذكركم الله أهل بيتي، فقيل لزيد من أهل بيته؟ قال أهل بيته من حرم الصدقة. وهم آل علي وآل عقيل وآل العباس وآل جعفر ، فعد هؤلاء الأربعة – أي أقارب النبي – ﷺ –أخرجه مسلم

وكذلك استدلوا بحديث الحسن بن علي رضي الله عنه أنه أخذ تمرة من الصدقة. فقال له النبي ﷺ : إنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد. متفق عليه

واستدلوا بحديث عبد المطلب أو المطلب بن ربيعة – على اختلاف في اسمه – والفضل بن العباس أنهما ذهبا إلى النبي – ﷺ – وسألاه أن يستعملهما على الصدقة حتى ينالا الأجر – يعني الأجر المادي – لأنه من الأصناف الذين يستحقون الزكاة . ﴿ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا ﴾ [ التوبة ٦٠ ] فأراد الفضل بن العباس ، وعبد المطلب بن ربيعة أن يكونا من العاملين عليها. فقال لهما النبي – ﷺ –: إنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد . ومنعهما من ذلك. أخرجه مسلم.

فدل هذا على أن الفضل بن العباس بن عبد المطلب وعبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب لا تحل لهما الزكاة. لأنهما من آل بيت النبي – ﷺ –.

**القول الثالث :** أن آل النبي ﷺ جميع أمة الاستجابة:

يعني كل مسلم يعتبر من آل النبي – ﷺ – أي من أتباعه. فآل الرجل أتباعه، فكل من تبع رجلا صار من آله . كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [ غافر ٤٦ ] .

أي فرعون ومن تبعه على دينه وكفره والعياذ بالله، ولذلك لما جاء أبرهة الحبشي ليهدم الكعبة قال عبد المطلب جد النبي ﷺ أبياتا من الشعر منها: لا هُمَّ إن العبد يمنع رَحْلَهُ فامنع رِحالك

لا يَغلِبنَ صليبُهم ومِحا لُهم غدواً مِحالك

وانصر على آل الصَّليبِ وعابديه اليوم آلك

**القول الرابع** : علي وفاطمة والحسن والحسين وذريتهما دون غيرهما واستدلوا بحديث الكساء وهو أن النبي – ﷺ – كما روت عائشة رضي الله عنها دخل عليه علي بن أبي طالب – فأدخله تحت كسائه {عباءته} ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم جلّلهم{أي غطاهم} ثم قرأ: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " أخرجه مسلم.

فدل على أن هؤلاء أهل بيت النبي – ﷺ –.

واستدلوا كذلك بآية المباهلة وهي قوله تبارك وتعالى : ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنْۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ .[ آل عمران ٦١ ] ، فقالوا: دعا النبي – ﷺ – أقرب الناس إليه وهم آله فكانوا عليا وفاطمة والحسن والحسين. أخرجه البخاري ومسلم. والصحيح من هذه الأقوال أن آل النبي – ﷺ – هم من حرموا الصدقة . والصحيح أن الذين تحرم عليهم هم بنو هاشم فقط ، أما بنو المطلب فالصحيح أنه لا تحرم عليهم الزكاة . والله أعلم

وأما نساء النبي فهن من آل البيت بالتبعية لا بالأصالة، وذلك أنهن قبل اقترانهن بالنبي لم يكنَّ من آل البيت.

# من هم بنو هاشم بن عبد مناف

عبد مناف جد النبي - ﷺ - الخامس له أربعة من الولد كما ذكر أهل العلم. وهم هاشم والمطلب وعبد شمس ونوفل.

عبد شمس ولد له الحكم وأمية والحكم والد مروان وجد عبد الملك مؤسس الدولة المروانية.

وأمية والد بني أمية: ومنهم عثمان بن عفان وأبو سفيان والد معاوية.

ونوفل من نسله مطعم بن عدي وعبد الله بن جبير بن مطعم بن عدي كان قائد الرماة الذين تركوا مكانهم في غزوة أحد.

والمطلب من نسله: ركانة الذي اشتهر أنه صارع النبي - ﷺ - فصرعه النبي.

ومن نسله كذلك: مسطح بن أثاثة الذي تكلم في عائشة - رضي الله عنها - في حادثة الإفك . فجلده النبي - ﷺ -.

ومن نسله الإمام الشافعي، ولذلك يقال للإمام الشافعي الإمام المطلبي . ولذلك لما تكلم رجل في علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند معاوية رضي الله عنه، رد معاوية على الرجل ودافع عن علي. فاستغرب أحد الحاضرين، خاصة مع القتال الذي كان بين معاوية وعلى، فسافر إلى الكوفة وأخبر عليا - رضي الله عنه - بما وقع فقال له علي: أتدري لم فعل معاوية

ذلك؟ قال: لا أدري. قال: لأجل المنافية. .يعني لأجل أنه ابن عمى. يلتقي معـــي في عبد مناف.

وكذا لما خرج أبو سفيان بعد صلح الحديبية إلى الشام والتقى بهرقل هو والذين معه سألهم هرقل: أيكم أقرب الناس نسبا بمحمد؟ قال أبو سفيان: أنا. لأنه كما قلنا يلتقي مع النبي ﷺ في عبد مناف.

أما هاشم فله ولدان: عبد المطلب الذي هو شيبة الحمد. وأسد وهو والـــد فاطمة أم علي بن أبي طالب. وله أولاد ذكور ولكن لا يذكر لهم ذرية. والله أعلم

أما عبد المطلب، فقد ذكر أهل التاريخ أن الله رزقه عشرة مـــن الولـــد. أولاد عبد المطلب:

١) عبد الله: والد النبي ﷺ وليس له غير النبي ﷺ

٢) حمزة: ولا عقب له.

٣) العباس: وهو أكثرهم ذرية، له ثمانية من الولد: عبد الله البحر الحبر وعبيد الله، وعبد الرحمن، وكثير، وتمام، وقثم، ومعبد، والفضل وبه كان يكنـــى. وهذان اللذان أسلما من أعمام النبي ﷺ.

٤) أبو طالب: وله أربعة من الولد: علي، وعقيل، وجعفر، وطالب الذي كان به يكنى.

٥) الزبير: ولم يعقب.

٦) أبو لهب . وأبو لهب اسمه: عبد العزى: له ثلاثه من الولد: عتبـــه، وعتيبة، ومعتب.

٧) الحارث: وله أربعة من الولد: ربيعة، وعبد الله، وأمية، وأبو ســفيان وأبو سفيان بن الحارث هو الذي هجا النبي ﷺ ثم بعد ذلك تاب وتابع النبـــي ﷺ وكان النبي لا يكلمه حتى بعد إسلامه حتى اشتكى إلى علي بن أبي طالب ابـــن عمه فقال: ما بال رسول الله ﷺ لا يكلمني؟ قال: أو ما علمت ما قد فعلت. يعني هجوت النبي صلوات الله وسلامه عليه وأنت ابن عمه. ثم قال له: أذهب إليه فقل له كما قال إخوة يوسف ليوسف صلوات الله وسلامه عليـــه [تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ﴾ "يوسف ٩١" فجاء أبو سفيان بن الحارث بن عبـــد المطلب . فقال للنبي: [تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ﴾ فقال النبي ﷺ كما قال أخوه يوسف صلوات الله وسلامه عليه: [لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ يوسف ٩٢.

٨) المقوم .

٩) الغيداق .

١٠) صفار فهؤلاء ومن جاء من بعدهم من الذرية كلهم آل النبي ﷺ

*******

# فضل آل البيت ومكانتهم وحقهم الذي لهم

أولا: نستطيع أن نقسم فضائل أهل البيت النبي ﷺ إلى قسمين:

## فضائل عامة، وفضائل خاصة

ـ أما الفضائل العامة فمنها حديث زيد وفيه قول النبي ﷺ : أذكركم الله أهل بيتي، أذكركم الله أهل بيتي، أذكركم الله أهل بيتي. وهذا عام في كل أهل بيت النبي ﷺ .

ومن الفضائل ما جاء في آية النساء ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ الأحزاب ٣٣ وذلك أن نساء النبي من آل البيت كما قدمنا، ودخل علي وفاطمة والحسن والحسين في هذا الفضل بحديث الكساء.

وكذلك حديث الصلاة عليهم في التشهد نقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد. وهذا لفضلهم ومكانتهم عند الله تبارك وتعالى .

وكذلك مما يدل على فضلهم حديث زيد بن أرقم، وفيه قول النبي ﷺ تركت فيكم ما إن تمسكتم فيه فلن تضلوا بعده أبدا كتاب الله وعترتي وفي رواية عترتي أهل بيتي" وهذا الحديث كنت أقول بحسنه فترة من الزمن ولكن بعد سبر أسانيده وإمعان النظر فيها تبين لي أنه ضعيف والله أعلم.

## ـ الفضائل الخاصة :

ـ فرأسهم وسيدهم وأفضلهم علي بن أبي طالب رضي الله وتبارك وتعالى عنه وشهرته أكبر وأظهر من أن ننبه عليها ويكفيه فخرًا قول النبي ﷺ: لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق. رواه مسلم

ـ العباس عم النبي ﷺ وفيه قول النبي ﷺ له: عم الرجل صنو أبيه. أي بمكانة أبيه. أخرجه الترمذي

ـ أزواجه وفيهن قول الله تبارك وتعالى [ وأزواجه أمهاتهم ] .

## أي أمهات المؤمنين.

ـ فاطمة رضي الله عنها وقول النبي ﷺ لها: فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها. متفق عليه

ـ الحسن والحسين وقول رسول الله ﷺ عنهما: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة " . أخرجه الترمذي وهو حديث صحيح.

ـ عبد الله بن العباس رضي الله عنهما ودعاء النبي ﷺ له: اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين. رواه أحمد بإسناد صحيح.

ـ المهدي وقول النبي ﷺ : المهدي من عترتي من ولد فاطمة " ، وهذا رواه أبو داود وهو حديث صحيح. .

فهذه بعض فضائلهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

# موقف السلف من آل بيت النبي ﷺ

أما موقف السلف الصالح، من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين من آل بيت النبي – ﷺ – وتعظيمهم لهم وتوقيرهم إياهم، فمن أمثلة ذلك:

ـ قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ارقبوا محمدًا في أهل بيته. رواه البخاري في صحيحه .

وقال رضي الله عنه: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليَّ من أن أصل من قرابتي. أخرجه البخاري كذلك في صحيحه .

ـ وقال الشعبي: صلى زيد بن أرقم على جنازة أمه ثم قربت إليه بغلة ليركبها، فجاء عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فأخذ بركابه – أي يمسك ركاب البغلة لزيد بن ثابت رضي الله عنه، فقال له زيد: خلِّ عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ. فقال عبد الله بن عباس: هكذا نفعل بعلمائنا، فنزل زيد من على بغلته وقبل يد عبد الله بن العباس، وقال هكذا أمرنا أن نفعل بآل بيت رسول الله ﷺ .

ـ عن شريك بن عبد الله وهو من أتباع التابعين قال: لو جاءني أبو بكر وعمر وعلي وسألني كل حاجته لقدمت حاجة علي لقربه من رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر أفضل من علي عند الله ، ولكن قرابة علي من النبي ﷺ توجب تقديم حاجته على حاجة غيره.

ــ وهذا مالك بن أنس إمام دار الهجرة لما آذاه أبو جعفر المنصور وضربه، قيل له: ألا تدعو عليه. فقال: والله إني لأستحيي أن آتى يوم القيامة فيُعذّب به هذا الرجل من قرابة النبي ﷺ بسببي، فتركه لقرابته من النبي ﷺ

ــ وذكر أن هارون الرشيد جاء إلى قبر النبي ﷺ ومعه موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، فجاء هارون الرشيد عند قبر النبي ﷺ يفتخر على الناس، فقال السلام عليك يا ابن عم. لأنه من نسل العباس بن عبد المطلب. فجاء موسى بن جعفر فقال السلام عليك يا أبت . فالتفت إليه هارون الرشيد وقال: هذا والله الفخر.

وما نقل يبطل قول الجهلة والمغرضين الذين يقولون: إن أهل السنة لا يقومون بحق آل بيت النبي – ﷺ – ، وهذه فرية قديمة ليست اتهم بها الشيخ / محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، حتى قال عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في الرسالة التي بعثها عام ١٢١٨هـ ، ورد فيها على من افترى عليه في أنه لا يرى حقاً لأهل بيت النبي – ﷺ –؟ فأجاب: سبحانك هذا بهتان عظيم. فمن روى عنا شيئاً من ذلك أو نسبه إلينا فقد كذب علينا وافترى.

فهذه هي مكانة آل بيت النبي – ﷺ – بشكل عام عند أهل السنة والجماعة.

وسأقتصر على ذكر بعض آل بيت النبي – ﷺ –

وهم الأئمة الاثنا عشر عند الشيعة. وهم:

١ــ علي بن أبي طالب

٢ ــ الحسن

٣ ــ الحسين

٤ــ علي بن الحسين{ زين العابدين}

٥ ــ ولده محمد { الباقر }

٦ــ ولده جعفر { الصادق }

٧ــ ولده موسى { الكاظم }

٨ــ ولده علي { الرضا }

٩ــ ولده محمد { الجواد}

١٠ــ ولده علي { الهادي }

١١ــ ولده الحسن {العسكري}

١٢ــ ولده محمد { المنتظر }

وهؤلاء يمكن أن نقسمهم إلى أربعة أقسام :

**القسم الأول** : الصحابة منهم وهم علي والحسن والحسين.

**القسم الثاني** : وهم علماء أتقياء من جملة علماء أهل السنة والجماعة وهم ستة :-

١ــ علي بن الحسين

٢ــ محمد الباقر

٣ــ جعفر الصادق

٤ــ موسى الكاظم

٥ــ علي الرضا

٦ــ محمد الجواد .

**القسم الثالث** : من جملة المسلمين لم يُعرف له كبير علم ولا طُعن في دينهم فهم مستورون ويكفيهم فخراً نسبهم إلى النبي – ﷺ – وهما اثنان:

١ــ علي الهادي

٢ــ الحسن العسكري.

وأنهما ممن يحق لهما أن يأتيا عند قبر النبي - ﷺ . وأن يقولا: السلام عليك يا أبت.

**القسم الرابع :** معدوم لم يخلق: وهو واحد وهو المنتظر، محمد بن الحسن أما مكانتهم عند أهل السنة والجماعة، أعني القسمين الأول والثاني:

**القسم الأول:**

ورأسهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فهو ابن عم رسول الله ﷺ وزوج سيدة نساء العالمين فاطمة بن محمد رضي الله عنها، وهو رابع الخلفاء الراشدين وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة،

قال الحسن البصري: قُتل أمير المؤمنين { يعني عثمان بن عفان } مظلوماً، فعمد الناس إلى خيرهم فبايعوه { يعني علي بن أبي طالب }. قال أحمد بن حنبل: من لم يُرَبِّع بعلي { أي بعد أبي بكر وعمر وعثمان } فهو أضل من حمار أهله.

**الثاني:** الحسن بن علي السبط السيد الإمام ابن الإمام أبو محمد سيد شباب أهل الجنة. قال مساور السعدي: رأيت أبا هريرة قائماً على مسجد رسول الله - ﷺ - يوم مات الحسن يبكي وينادي بأعلى صوته ويقول: يأيها الناس مات اليوم حبّ رسول الله - ﷺ - فابكوا.

**الثالث:** الحسين بن علي الشهيد السعيد الإمام ابن الإمام أبو عبد الله سيد شباب أهل الجنة مع أخيه رضي الله عنهما.

القسم الثاني:أولهم: علي بن الحسين ولقبه زيد العابدين، قال ابن سعد: كان ثقة مأمونا كثير الحديث عالياً ورفيعاً ورعاً.

قال الزهري: ما رأيت قرشياً أفضل من علي بن الحسين.

قال يحي بن سعيد: سمعت على بن الحسين وكان أفضل هاشمي أدركته.

قال الذهبي: كان له جلالة عظيمة وحق له والله ذلك، فقد كـان أهـلاً للإمامـة العظمى لشرفه وسؤدده وعلمه وتألهه وكمال عقله .

وقد حج هشام بن عبد الملك قبيل ولايته للخلافة فكـان إذا أراد اسـتلام الحجر زحم عليه الناس، فإذا جاء علي بن الحسين ابتعد الناس عن الحجر حتـى يأتي ويقبل ثم يكمل باقي الأشواط فغضب هاشم بن عبد الملك نائـب الخليفـة، وقال: من هذا فما أعرفه؟ وكان بجانبه الشاعر الفرزدق فقال الشاعر:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خيـر عباد الله كلـهم هذا التقي النقي الطاهر العلم

*******

# الفرق بين التوسل و التبرك

الحمد لله و الصلاة والسلام على رسول الله،

أما بعد..

فلما رأيت أن الإخوة يخلطون بين التوسل و التبرك و حتى نفند أقوال الذين قالوا بجواز التبرك بالعلماء و الصالحين فسنشرح كلا من التوسل ثم التبرك ثم نأتي إلى الرد على القائلين بجواز التبرك.و نسأل الله التوفيق .

## ما هو التوسل و ما هو حكمه؟

**التوسل :** مصدر توسل يتوسل ، أي اتخذ وسيلة توصله إلى مقصوده ، فأصله طلب الوصول إلى الغاية المقصودة .

## وينقسم التوسل إلى قسمين :

**القسم الأول :** قسم صحيح : وهو التوسل بالوسيلة الصحيحة الموصلة إلى المطلوب ، وهو على أنواع نذكر منها :

**النوع الأول :** التوسل بأسماء الله تعالى ، وذلك على وجهين :

**الأول :** أن يكون ذلك على سبيل العموم ومثاله ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ في دعاء الهم والغم ، قال : " اللهم إني عبدك ، ابن عبدك ، ابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيّ حكمك ، عدل فيَّ

قضاؤك ، أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدًا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ... " إلخ . ، فهنا توسل بأسماء الله تعالى على سبيل العموم " أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك" .

الوجه الثاني : أن يكون ذلك على سبيل الخصوص بأن يتوسل الإنسان باسم خاص لحاجة خاصة تناسب هذا الاسم ، مثل ما جاء في حديث أبي بكر ــ رضي الله عنه ــ حيث طلب من النبي ــ ﷺ ــ دعاءً يدعو به في صلاته ، فقال : " قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك ، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم " ، فطلب المغفرة ، والرحمة وتوسل إلى الله تعالى باسمين من أسمائه مناسبين للمطلوب وهما الغفور والرحيم .

وهذا النوع من التوسل داخل في قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ (الأعراف: من الآية١٨٠) ، فإن الدعاء هنا يشمل دعاء المسألة ، ودعاء العبادة .

**النوع الثاني** : التوسل إلى الله تعالى بصفاته ، وهو أيضًا كالتوسل بأسمائه على وجهين :

**الوجه الأول** : أن يكون عامًا كأن تقول : " اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا " ثم تذكر مطلوبك .

**الوجه الثاني** : " أن يكون خاصـاً كأن تتوسل إلى الله تعـالى بصـفة معينة خاصة لمطلوب خاص ، مثل ما جاء في الحديث : " اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي ، وتوفني إذا علمت الوفـاة خيرًا لي " فهنا توسل لله تعالى بصفة العلم والقدرة وهما مناسبان للمطلوب .

ومن ذلك أن يتوسل بصفة فعلية مثل : " اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم " .

**النوع الثالث** : أن يتوسل الإنسان إلى الله عـز وجـل بالإيمـان بـه ، وبرسوله ـ ﷺ ـ فيقول : " اللهم إني آمنت بك ، وبرسولك فاغفر لي أو وفقني " ، أو يقول : " اللهم بإيماني بـك وبرسـولك أسـألك كـذا وكـذا " ، ومنـه قولــه تعـالى : ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران/ ١٩٠ ، ١٩١) إلى قولـه : ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [ آل عمران /١٩٣] ، فتوسلوا إلى الله تعالى بالإيمان به أن يغفـر لهـم الـذنوب ويكفر عنهم السيئات ويتوفاهم مع الأبرار .

**النوع الرابع** : أن يتوسل إلى الله سبحانه وتعالى بالعمل الصالح ، ومنه قصة النفر الثلاثة الذين أووا إلى غار ليبيتوا فيه فانطبق عليهم الغار بصخرة لا يستطيعون زحزحتها ، فتوسل كل منهم إلى الله بعمل صالح فعلـه ، فأحـدهم توسل إلى الله تعالى ببره بوالديه ، والثاني بعفته التامة ، والثالث بوفاءه لأجيره ، قال كل منهم : " اللهم إن كنت فعلت ذلك من أجلك فافرج عنا ما نحـن فيـه " فانفرجت الصخرة ، فهذا توسل إلى الله بالعمل الصالح .

**النوع الخامس** : أن يتوسل إلى الله تعالى بذكر حاله ، يعني أن الداعي يتوسل إلى الله تعالى بذكر حاله ، وما هو عليه من الحاجة ، ومنه قول موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ **[القصص/من الآية ٢٤]** يتوسل إلى الله تعالى بذكر حاله أن ينزل إليه الخير ، ويقرب من ذلك قول زكريا ـ عليه الصلاة والسلام : ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ **[مريم/ من الآية ٤]** ، فهذه أنواع من التوسل كلها جائزة لأنها أسباب صالحة لحصول المقصود بالتوسل بها

**النوع السادس** : التوسل إلى الله عز وجل بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابته ، فإن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كانوا يسألون النبي ـ ﷺ ـ أن يدعو الله لهم بدعاء عام ، ودعاء خاص ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً دخل يوم الجمعة والنبي ـ ﷺ ـ يخطب فقال : " يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا " ، فرفع النبي ـ ﷺ ـ يديه ، وقال : "اللهم أغثنا " ـ ثلاث مرات ـ فما نزل من منبره إلا والمطر يتحادر من لحيته ، وبقي المطر أسبوعاً كاملاً ، وفي الجمعة الأخرى جاء ذلك الرجل أو غيره والنبي ـ ﷺ ـ يخطب فقال : " يا رسول الله غرق المال ، وتهدم البناء فادع الله أن يمسكها عنا ، فرفع النبي ـ ﷺ ـ يديه ، وقال : " اللهم حوالينا ولا علينا " فما يشير إلى ناحية من السماء إلا انفرجت ، حتى خرج الناس يمشون في الشمس ، وهناك عدة وقائع سأل الصحابة النبي ـ ﷺ ـ أن يدعو لهم على وجه الخصوص ، ومن ذلك أن النبي ـ ﷺ ـ ذكر أن في أمته سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ، ولا عذاب ، وهم الذين لا يسترقون ، ولا يكتوون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون ، فقال عكاشة بن محصن وقال : " يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم " ، فقال : " أنت منهم " ، فهذا أيضًا من التوسل الجائز ، وهو أن يطلب الإنسان من

شخص ترجى إجابته أن يدعو الله تعالى له ، إلا أن الذي ينبغي أن يكون السائل يريد بذلك نفع نفسه ، ونفع أخيه الذي طلب منه الـدعاء ، حتـى لا يـتمحض السؤال خاصة ، لأنك إذا أردت نفع أخيك ، ونفع نفسك صار في هـذا إحسـان إليه ؛ فإن الإنسان إذا دعا لأخيه في ظهر الغيب قـال الملـك : " آمـين ولـك بمثل " ، وهو كذلك يكون من المحسنين بهذا الدعاء والله يحب المحسنين .

*******

## ما هو التوسل غير الصحيح؟

أن يتوسل الإنسان إلى الله تعالى بما ليس بوسيلة ، أي بما لم يثبت في الشرع أنه وسيلة ؛ لأن التوسل بمثل ذلك من اللغو والباطل المخالف للمعقول ، والمنقول ، ومن ذلك أن يتوسل الإنسان إلى الله تعالى بدعاء ميت يطلب من هذا الميت أن يدعو الله له ؛ لأن هذا ليس وسيلة شرعية صحيحة ، بل من سفه الإنسان أن يطلب من الميت أن يدعو الله له ؛ لأن الميت إذا مات انقطع عمله ، ولا يمكن لأحد أن يدعو لأحد بعد موته ، حتى النبي ـ ﷺ ـ لا يمكن أن يدعو لأحد بعد موته ـ ﷺ ـ ، ولهذا لم يتوسل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ إلى الله بطلب الدعاء من رسوله ـ ﷺ ـ بعد موته ، فإن الناس لما أصابهم الجدب في عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ قال : " اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا " ، فقام العباس ـ رضي الله عنه ـ فدعا الله تعالى ، ولو كان طلب الدعاء من الميت سائغاً ووسيلة صحيحة لكان عمر ، ومن معه من الصحابة يطلبون ذلك من رسول الله ـ ﷺ ـ ؛ لأن إجابة دعائه ـ ﷺ ـ أقرب من إجابة دعا العباس ـ رضي الله عنه ـ ، فالمهم أن التوسل إلى الله تعالى بطلب الدعاء من ميت توسل باطل لا يحل ولا يجوز .

ومن التوسل الذي ليس بصحيح : أن يتوسل الإنسان بجاه النبي ـ ﷺ ـ ، وذلك أن جاه الرسول ـ ﷺ ـ ليس مفيداً بالنسبة إلي الداعي ؛ لأنه لا يفيد إلا الرسول ـ ﷺ ـ ، أما بالنسبة للداعي فليس بمفيد حتى يتوسل إلى الله به ، وقد تقدم أن التوسل اتخاذ الوسيلة الصالحة التي تثمر ، فما فائدتك أنت من كون الرسول ـ ﷺ ـ له جاه عند الله ؟! ، وإذا أردت أن تتوسل إلى الله على وجه صحيح فقل اللهم بإيماني بك وبرسولك ، أو بمحبتي لرسولك وما أشبه ذلك فإن هذا الوسيلة الصحيحة النافعة .

## حكم التوسل بالأنبياء والصالحين

الوليّ : كل من آمن بالله واتقاه ففعل ما أمر سبحانه به وانتهى عما نهاه عنه ، وعلى رأسهم الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، قال تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

## والتوسل إلى الله بأوليائه أنواع

**الأول :** أن يطلب إنسان من الولي الحي أن يدعو الله له بسعة رزق أو شفاء من مرض أو هداية وتوفيق ونحو ذلك فهذا جائز ، ومنه طلب بعض الصحابة من النبي ﷺ حينما تأخر عنهم المطر أن يستسقي لهم ، فسأل النبي ﷺ ربه أن ينزل المطر ، فاستجاب دعاءه وأنزل عليهم المطر، ومنه استسقاء الصحابة بالعباس في خلافة عمر رضي الله عنهم ، وطلبهم منه أن يدعو الله بنزول المطر فدعا العباس ربه وأمن الصحابة على دعائه ... إلى غير هذا مما حصل زمن النبي ﷺ وبعده من طلب مسلم من أخيه المسلم أن يدعو له ربه لجلب نفع أو كشف ضر .

**الثاني :** أن ينادي الله متوسلاً بحب نبيه وإتباعه إياه وبحبه لأولياء الله بأن يقول : اللهم إني أسألك بحبي لنبيك وإتباعي له وبحبي لأوليائك أن تعطيني كذا فهذا جائز ، لأنه توسل من العبد إلى ربه بعمله الصالح ، ومن هذا ما ثبت من توسل أصحاب الغار الثلاثة بأعمالهم الصالحة .

**الثالث :** أن يسأل الله بجاه أنبيائه أو ولي من أوليائه ، بأن يقول : ( اللهم إني أسألك بجاه نبيك أو بجاه الحسين ) مثلاً ، فهذا لا يجوز ، لأن جاه

أولياء الله وإن كان عظيما عند الله وخاصة حبيبنا محمد ﷺ ، غير أنه ليس سبباً شرعيا ولا عادياً لاستجابة الدعاء ، ولهذا عدل الصحابة حينما أجدبوا عن التوسل بجاهه ﷺ في دعاء الاستسقاء إلى التوسل بدعاء عمه العباس مع أن جاهه عليه الصلاة والسلام فوق كل جاه ، ولم يعرف عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم توسلوا به ﷺ بعد وفاته وهم خير القرون وأعرف الناس بحقه وأحبهم له.

**الرابع** : أن يسأل العبد ربه حاجته مقسماً بوليه أو نبيه أو بحق نبيه أو أوليائه بأن يقول : ( اللهم إني أسألك كذا بوليك فلان أو بحق نبيك فلان ) فهذا لا يجوز ، فإن القسم بالمخلوق على المخلوق ممنوع ، وهو على الله الخالق أشد منعا ، ثم لا حق لمخلوق على الخالق بمجرد طاعته له سبحانه حتى يقسم به على الله أو يتوسل به ، هذا الذي تشهد له الأدلة ، وهو الذي تصان به العقيدة الاسلامية وتسد به ذرائع الشرك

## حكم التوسل بسيد المرسلين ﷺ

التوسل بالنبي ﷺ فيه تفصيل ، فإن كان ذلك بإتباعه ومحبته وطاعة أوامره وترك نواهيه والإخلاص لله في العبادة فهذا هو الإسلام وهو دين الله الذي بعث به أنبياءه ، وهو الواجب على كل مكلف ... وهو الوسيلة للسعادة في الدنيا والآخرة ، أما التوسل بدعائه والاستغاثة به وطلبه النصر على الأعداء والشفاء للمرضى - فهذا هو الشرك الأكبر ، وهو دين أبي جهل وأشباهه من عبدة الأوثان ، وهكذا فعل ذلك مع غيره من الأنبياء والأولياء أو الجن أو الملائكة أو الأشجار أو الأحجار أو الأصنام . وهناك نوع ثالث يسمى التوسل وهو التوسل بجاهه ﷺ أو بحقه أو بذاته مثل أن يقول الإنسان : أسألك يا الله

بنبيك أو جاه نبيك أو حق نبيك أو جاه الأنبياء أو حق الأنبياء أو جاه الأولياء والصالحين وأمثال ذلك فهذا بدعة ومن وسائل الشرك ولا يجوز فعله معه ﷺ ولا مع غيره ؛ لأن الله سبحانه وتعالى لم يشرع ذلك والعبادات توقيفية لا يجوز منها إلا ما دل عليه الشرع المطهر ، وأما توسل الأعمى به في حياته ﷺ فهو توسل به ﷺ ليدعو له ويشفع له إلى الله في إعادة بصره إليه ، وليس توسلا بالذات أو الجاه أو الحق كما يعلم ذلك من سياق الحديث وكما أوضح ذلك علماء السنة في شرح الحديث .

وقد بسط الكلام في ذلك شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله في كتبه الكثيرة المفيدة ، ومنها كتابه المسمى : القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة ، وهو كتاب مفيد جدير بالاطلاع عليه والاستفادة منه.

وهذا الحكم جائز مع غيره ﷺ من الأحياء كأن تقول لأخيك أو أبيك أو من تظن فيه الخير : ادع الله لي أن يشفيني من مرضي أو يرد عليّ بصري أو يرزقني الذرية الصالحة أو نحو ذلك بإجماع أهل العلم .

## التبرك

التبرك هو طلب البركة ، و البركة هي الخير الكثير ، و التبرك بالشيء : طلب البركة منه أو به .

**و هو ينقسم إلى قسمين :**

**الأول** : تبرك مشروع : و هو مادل الدليل على مشروعيته كالتبرك بقراءة القرآن و بشرب ماء زمزم أو التبرك بالصلاة في المساجد الثلاثة و منه : التبرك بمجالسة الصالحين و كذلك يشرع للشخص أن يطلب ممن يظن فيه الخير الدعاء ( و هو نوع من التوسل ) .

الثاني : تبرك مذموم و هو ما لم يدل عليه دليل . كالتبرك بالأحجار و الأشجار و الكهوف و القبور و ذوات الصالحين و نحو ذلك .

## باب من تبرك بشجرة ونحوها

قوله : ( باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما)

كبقعة وقبر ونحو ذلك ، أي فهو مشرك .

قوله : وقوله الله تعالى : ٥٣' : ١٩ -٢٣ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ (الآيات) وكانت اللات لثقيف ، والعزى لقريش وبنى كنانة ، ومناة لبنى هلال . وقال ابن هشام : كانت لهذيل وخزاعة .

فأما اللات فقرأ الجمهور بتخفيف التاء ، وقرأ ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وحمدي وأبو صالح ورويس بتشديد التاء .

فعلى الأولى قال الأعمش : سموا اللات من الإله ، والعزى من العزيز .

قال ابن جرير : وكانوا قد اشتقوا اسمها من الله تعالى ، قالوا : اللات مؤنثة منه ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً قال : وكذا العزى من العزيز .

وقال ابن كثير : اللات كانت صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت الطائف له أستار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهل الطائف ، وهم ثقيف ومن تبعها يفتخرون به على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش ، قال ابن هشام : فبعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار .

وعلى الثانية قال ابن عباسٍ : كان رجلاً يلت السويق للحاج ، فما مات عكفوا على قبره ذكره البخاري قال ابن عباس : كان يبيع السويق والسمن عند صخرة ويسئلوه عليها ، فلما مات ذلك الرجل عبدت ثقيف تلك الصخرة إعظاماً لصاحب السويق وعن مجاهد نحوه وقال : فلما مات عبدوه رواه سعيد بن

منصور . وكذا روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنهم عبدوه وبنحو هـذا قـال جماعة من أهل العلم .

قلت : لا منافاة بين القولين . فإنهم عبـدوا الصـخرة والقبـر تأليهـاً وتعظيماً .

ولمثل هذا بنيت المشاهد والقباب على القبور واتخذت أوثاناً . وفيه بيان أن أهل الجاهلية كانوا يعبدون الصالحين والأصنام .

وأما العزى فقال ابن جرير : كانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلـة ــ بين مكة والطائف ــ كانت قريش يعظمونها ... كما قال أبو سفيان يوم أحد : لنا العزى ولاعزى لكم فقال رسول الله ﷺ قولوا : الله مولانا ولا مولى لكـم وروى النسائي وابن مردوية عن أبي الطفيل قال : لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة ــ وكانت بها العزى ، وكانت على ثلاث سمرات ــ فقطـع السمرات ، وهدم البيت الذي كان عليها. ثم أتى النبي ﷺ فأخبره. فقـال ارجـع فإنك لم تصنع شيئاً ، فرجع خالد ، فلما أبصرته السدنة أمعنوا في الجبـل وهـم يقولون : يا عزى يا عزى ، فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحفـن التراب على رأسها فعمها بالسيف فقتلها ثم رجع إلى رسـول الله ﷺ فـأخبره . فقال : تلك العزى قلت : وكل هذا وما هو أعظم منه يقع في هذه الأزمنة عنـد ضرائح الأموات وفي المشاهد .

وأما مناة فكانت بالمشلل عند قديد ، بين مكة والمدينة ، وكانت خزاعـة والأوس والخزرج يعظمونها ويهلون منها للحج ، وأصل اشتقاقها : من اسـم الله المنان ، وقيل : لكثرة ما يمنى ــ أي يراق ــ عندها من الدماء للتبرك بها .

قال البخاري رحمه الله ، في حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها : إنها صنم بين مكة والمدينة قال ابن هشام : فبعث رسول الله ﷺ علياً فهدمها عام الفتح فمعنى الآية كما قال القرطبي : أن فيها حذفاً تقديره : أفرأيتم هذه الآلهـة ، أنفعت أو ضرت ، حتى تكون شركاء لله تعالى ؟

وقوله : ألكم الذكر وله الأنثى قال ابن كثير : تجعلون له ولداً وتجعلــون ولده أنثى وتختارون لكم الذكور ؟ قوله : تلك إذا قسمة ضيزى أي جور وباطلة . فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التي لو كانت بين مخلوقين كانت جوراً وسفهاً فتنزهون أنفسكم عن الإناث وتجعلونهن لله تعالى .

وقوله : إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم أي من تلقاء أنفسكم ما أنزل الله بها من سلطان أي من حجة إن يتبعون إلا الظن أي ليس لهــم مســتند إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم وما تهوى الأنفــس وإلا حظ أنفسهم في رياستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين . قوله : ولقد جــاءهم مــن ربهم الهدى قال ابن كثير : ولقد أرسل الله تعالى إليهم الرســل بــالحق المنيــر والحجة القاطعة ، ومع هذا ما اتبعوا ما جاءوهم به ولا انقادوا له أ هـــ .

ومطابقة الآيات للترجمة من جهة أن عباد هــذه الأوثــان إنهــم كــانوا يعتقدون حصول البركة منها بتعظيمها ودعائها والاستعانة بها والاعتماد عليهـــا في حصول ما يرجونه منها ويؤملونه ببركتها وشفاعتها وغير ذلــك ، فـــالتبرك بقبور الصالحين كاللات ، وبالأشجار كالعزى ومناة من ضـــمن فعــل أولئــك المشركين مع تلك الأوثان ، فمن فعل مثل ذلك واعتقد في قبر أو حجر أو شجر فقد ضاهى عباد هذه الأوثان فيما كانوا يفعلونه معها من هذا الشرك ، علـــى أن الواقع من هؤلاء المشركين مع معبوديهم أعظم مما وقـــع مـــن أولئــك . فـــالله المستعان .

## حديث أبي واقد الليثي في ذات أنواط

قوله : عن أبي واقد الليثي قـــال : خرجنـــا مـــع رســـول الله ﷺ إلـــى حنين ، ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة ، فقلنا يا رسول الله ، اجعـــل لنـــا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر إنها السنن قلـــتم

والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم رواه الترمذي وصححه .

أبو واقد اسمه الحارث بن عوف ، وفي الباب عن أبي سعيد وأبي هريرة قاله الترمذي وقد رواه أحمد وأبو يعلى وابن أبي شيبة والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني بنحوه .

قوله : عن أبي واقد قد تقدم ذكر اسمه في قول الترمذي وهو صحابي مشهور مات سنة ثمان وستين وثمانون سنة .

قوله : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين وفي حديث عمرو بن عوف وهو عند ابن أبي حاتم وابن مردويه والطبراني . قال غزونا مع رسول الله ﷺ يوم الفتح ، ونحن ألف ونيف حتى إذا كنا بين حنين والطائف ــ الحديث.

قو له : ونحن حدثاء عهد بكفر أي قريب عهدنا بالكفر ، ففيه دليل على أن غيرهم ممن تقدم إسلامه من الصحابة لا يجهل هذا وأن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قبله لا يأمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة . ذكره المصنف رحمه الله .

قول : وللمشركين سدرة يعكفون عندها العكوف هو الإقامة على الشيء في المكان ، ومنه قول الخليل عليه السلام : '٢١ : ٥٢' ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون وكان عكوف المشركين عند تلك السدرة تبركاً بها وتعظيماً لها وفي حديث عمرو كان يناط بها السلاح فسميت ذات أنواط وكانت تعبد من دون الله .

قوله : وينوطون بها أسلحتهم أي يعلقونها عليها للبركة .

قلت : ففي هذا بيان أن عبادتهم لها بالتعظيم والعكوف والتبرك ، وبهذه الأمور الثلاثة عبدت الأشجار ونحوها .

قوله : فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط قال أبو السعادات : سألوه أن يجعل لهم مثلها فنهاهم عن ذلك . وأنواط جمع نوط وهو مصدر سمى

بها المنوط . ظنوا أن هذا أمر محبوب عند الله وقصدوا التقرب به ، وإلا فهم أجل قدراً من أن يقصدوا مخالفة النبي ﷺ .

قوله : فقال رسول الله ﷺ الله أكبر وفي رواية سبحان الله والمراد تعظيم الله تعالى وتنزيه عن هذا الشرك بأي نوع كان ، مما لا يجوز أن يطلب أو يقصد به غير الله وكان النبي ﷺ يستعمل التكبير والتسبيح في حال التعجب تعظيماً لله وتنزيهاً له إذا سمع من أحد ما لا يليق بالله مما فيه هضم للربوبية أو الإلهية .

قوله : إنها السنن بضم السين أي الطرق .

قوله : قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة شبه مقالتهم هذه بقول بني إسرائيل ، بجامع أن كلاً طلب أن يجعل له ما يألهه ويعبده من دون الله ، وإن اختلف اللفظان . فالمعنى واحد ، فتغيير الاسم لا يغير الحقيقة .

ففيه الخوف من الشرك ، وأن الإنسان قد يستحسن شيئاً يظن أنه يقربه إلى الله ، وهو أبعد ما يبعده من رحمته ويقربه من سخطه ، ولا يعرف هذا على الحقيقة إلى من عرف ما وقع في هذه الأزمان من كثير من العلماء والعباد مع أرباب القبور ، من الغلو فيها وصرف جل العبادة لها ، ويحسبون أنهم على شيء وهو الذنب الذي لا يغفره الله .

قال الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل الشافعي المعروف بابن أبي شامة في كتاب البدع والحوادث : ومن هذا القسم أيضًا ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد وإسراج مواضع مخصوصة في كل بلد ، يحكى لهم حاك أنه رأى في منامه بها أحداً ممن شهر بالصلاح والولاية ، فيفعلون ذلك ويحافظون عليه مع تضييعهم لفرائض الله تعالى وسننه ، ويظنون أنهم متقربون بذلك ، ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم فيعظمونها ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لها ،

وهي من عيون وشجر وحائط وحجر . وفي مدينة دمشق مـن ذلـك مواضـع متعددة كعوينة الحمى خارج باب توما والعمود المخلق داخل بـاب الصـغير ، والشجرة الملعونة خارج باب النصر نفس قارعـة الطريـق سـهل الله قطعهـا واجتثاثها من أصلها ، فما أشبهها بذات أنواط الواردة في الحديث . انتهى .

وذكر ابن القيم رحمه الله نحو ما ذكره أبو شامة ، ثم قال : فما أسـرع أهل الشرك إلى اتخاذ الأوثان من دون الله ولو كانت ما كانت ، ويقولـون : إن هذا الحجر وهذه الشجرة وهذه العين تقبل النذر ، أي تقبل العبادة من دون الله ، فإن النذر عبادة وقربة يتقرب بها الناذر إلى المنذور له ، وسيأتي ما يتعلق بهذا الباب عند قوله ﷺ : اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد .

وفي هذه الجملة من الفوائد : أن ما يفعله من يعتقد في الأشجار والقبور والأحجار من التبرك بها العكوف عندها والذبح لها هـو الشـرك ، ولا يغتـر بالعوام والطغاة ، ولا يستبعد كون الشرك بالله تعالى يقع في هذه الأمة ، فإذا كان بعض الصحابة ظنوا ذلك حسناً وطلبوه من النبي ﷺ حتى بين لهم أن ذلك كقول بني إسرائيل : ' ٧ : ١٣٨ ' اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة فكيف لا يخفى على من دونهم في العلم والفضل بأضعاف مضاعفة مع غلبة الجهل وبعد العهـد بآثـار النبوة ؟ ! بل خفى عليهم عظائم الشرك في الإلهية والربوبية ، فـأكبروا فعلـه واتخذوه قربة .

وفيها أن الاعتبار في الأحكام بالمعاني لا بالأسماء ، ولهذا جعل النبي ﷺ طلبتهم كطلبة بني إسرائيل ، ولم يلتفت إلى كونهم سموها ذات أنواط . فالمشرك مشرك وإن سمى شركه ما سماه . كمن يسمى دعاء الأموات والذبح والنذر لهـم ونحو ذلك تعظيماً ومحبة ، فإن ذلك هو الشرك ، وإن سماه ما سماه . وقس على ذلك .

**لتركبن سنن من قبلكم**

قوله :لتركبن سنن من كان قبلكم بضم الموحدة وضم السين أي طـــرقهم ومناهجهم وقد يجوز فتح السين على الإفراد أي طريقهم. وهذا خبر صــــحيح . والواقع من كثير من هذه الأمة يشهد له .

وفيه علم من أعلام النبوة من حيث إنه وقع كما أخبر به ﷺ .

وفي الحديث : النهى عن التشبه بأهل الجاهلية وأهل الكتاب فيما كـــانوا يفعلونه ، إلا ما دل الدليل على أنه من شريعة محمد ﷺ .

قال المصنف رحمه الله : وفيه التنبيه على مسائل القبـــر ، أمـــا : مـــن ربك ؟ فواضح. وأما : من نبيك ؟ فمن إخباره أنباء الغيب. وأما : مـــا دينـــك ؟ فمن قولهم اجعل لنا إلهاً إلخ . وفيه : أن الشرك لا بد أن يقع في هذه الأمة خلافاً لمن ادعى خلاف ذلك ، وفيه الغضب عند التعليم ، وإن مـــا ذم الله بـــه اليهـــود والنصارى فإنه قال لنا لنحذره قاله المصنف رحمه الله .

وأما ما ادعاه بعض المتأخرين من أنه يجوز التبرك بآثـــار الصـــالحين فممنوع من وجوه :

منها : أن السابقين الأولين من الصحابة ومن بعدهم لم يكونـــوا يفعلـــون ذلك مع غير النبي ﷺ ، لا في حياته ولا بعد موته . ولو كان خيراً لسبقونا إليه ، وأفضل الصحابة أبو ب كر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم . وقد شـــهد لهم رسول الله ﷺ فيمن شهد له بالجنة ، وما فعله أحد من الصحابة والتابعين مع أحد من هؤلاء السادة ، ولا فعله التابعون مع ساداتهم في العلم والـــدين وأهـــل الأسوة . فلا يجوز أن يقاس على رسول الله ﷺ أحد من الأمة ، وللنبي ﷺ فـــي حال الحياة خصائص كثيرة لا يصلح أن يشاركه فيها غيره .

ومنها : أن في المنع عن ذلك سداً لذريعة الشرك كما لا يخفى

*******

# الفهرس

